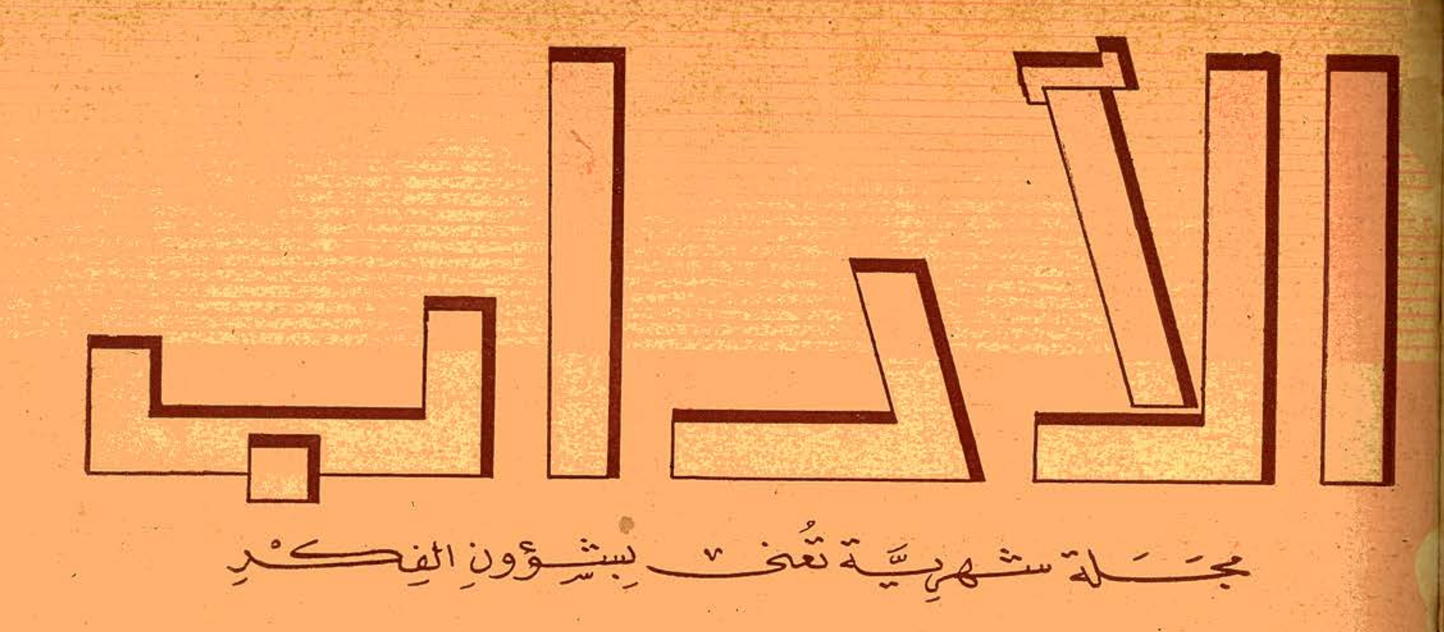
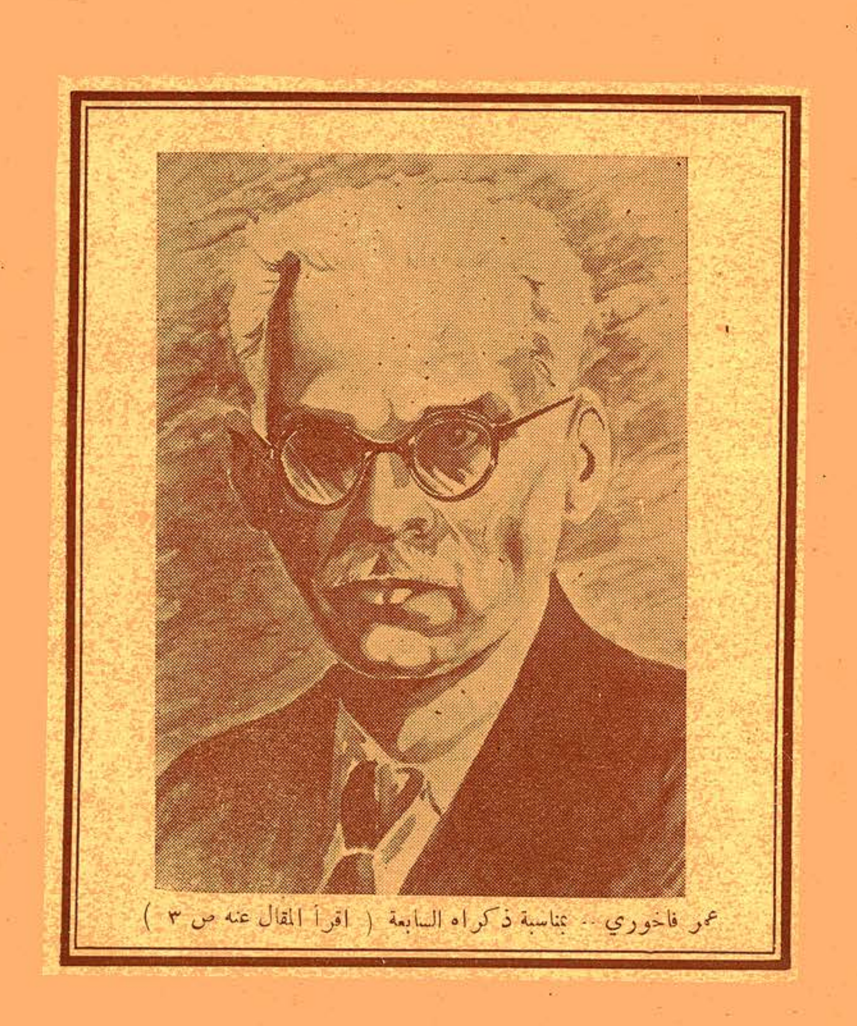


مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر



عمر فاخوري .. بمناسبة ذكراه السابعة (اقرأ المقال عنه ص ٣)

تصدر عن دار العلم للملايين . بيروت

العدد السادس ، السنة الاولى

حزيران (يونيو) ١٩٥٣

دار المعارف

تقدم مجموعة

نوابغ الفكر العربي

•

هذه المجموعة تعرض لنا الفكر العربي على مر العصور، وفي كل ارض عربية، وتجلو لنا هذا الفكر سواء أكان في صورة الفلسفة او في خيال الشعر، او في ثوب الأدب، او في رواق الحكمة، او في معرض التاريخ. وسيحدث عن كل نابغة في الفكر العربي مختص بالموضوع خبير فيه ممن تزخر بهم أقطار العروبة. ويهتم كل كتاب في هذه المجموعة بعرض أروع المختار من كلام المترجم له، شعراً كان ام نثراً. وقد لوحظ في الاختيار ان يكون صادق الدلالة على رأي صاحبه كما تصدُق المرآة الصافية في دلالتها على الأصل.

ان هذه المجموعة الجديدة ستزيد ابناءنا معرفة بقدر آبائهم.. تلك المعرفة الحق التي لا بد منها لقيام جيل ناهض، مفكر، متحرر، واع لقيمة تراث قومه الميامين.

صدر منها :

• ابن رشد	بقلم عباس محمود العقاد
• الجاحظ	» حنا الفاخوري
• الشيخ نجيب الحداد	» عادل الغضبان

يصدر قريباً :

محمود سامي البارودي	بقلم عمر الدسوقي
ابن زيدون	» شوقي ضيف
الشيخ ناصيف اليازجي	» عيسى ميخائيل سابا

تحت الطبع :

بديع الزمان الهمذاني	بقلم مارون عبود
عبد الرحمن الكواكبي	» سامي الدهان
بشار بن برد	» طه الحاجري
اخوان الصفاء	» جبور عبد النور
ابن المقفع	» رئيف خوري
جميل صدقي الزهاوي	» رفائيل بطي
ابو نواس	» عبد الرحمن صدقي
ابن الرومي	» محمد خلف الله احمد
ابو الفرج الأصبهاني	» شفيق جبري
ابو بكر الخوارزمي	» احمد الشايب
السهروردي	» سامي الكيالي

مطبوعات جديدة :

البرامكة في ظلال الخلفاء — للاستاذ محمد احمد برانق.
فرز القطن وحلجه — للمهندس الزراعي صلاح دياب
الف ليلة وليلة الـ(ج٣) — للاساتذة حسن جوهر، محمد احمد برانق، امين احمد العطار

تطلب من :

دار المعارف ببيروت

بناية العسيلي، شارع السور، تليفون ٩٢ العسيلي

ومن جميع المكتبات الشهيرة

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

اصحاب الامتياز

منير البعلبكي ؛ سهيل ادريس ؛ بهيج عثمان

AL-ĀDĀB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban. B.P. 1085

المدير المسؤول : بهيج عثمان

رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

هكذا تمر بنا الأعوام ...

بقلم جبرا ابراهيم جبرا

[كتبت بمناسبة مرور خمسة اعوام على منتصف ايار ١٩٤٨
الذي وقعت فيه نكبة فلسطين]

أيتها الأرض الخضراء ، أزهارها
كالنقوش على أثواب النساء ،
وتلالها تعلو وتنخفض أمواجاً كأنها تُرى
من أراجيح الطفولة ، يا أرض الربيع الضاحك
سماؤها البرّاقة كصدفة هائلة الاتساع
تنطلق منها كل فجر فينوس جديدة مع النسيم ،
يا أرض السنابل الندية وقناديل البرتقال الذهبية ،
تتصاعد الأغاني من بين اوراقها مع نفحات الشذى ،
والاطفال يحلمون في الظلال او يتلاعبون حفاةً
بين أشجار الزيتون وصخور المغاور :

أتذكريننا ونحن نهيم الآن على وجوهنا
في القفار الصفراء تحت سياط الشمس
حيث يحترق العشب ، كالحب في الصدر
يجفّ من أعين العاذلين ؟
أتنسانا الحواكير التي ملأناها صياحاً
حين كنا نمثل فيها روايات اللصوص والابطال ،
واشجار اللوز التي كانت تنحني طيّعة
لنسلب ثمارها في غفلة من أصحابها وكلابها ؟
أو لا تذكرونا طرقاتك التي هفيناها بأقدامنا
ونحن نخترع أخبار عشقنا وملذاتنا ،
والحجارة التي اقتعدناها ، والجدران التي تسلقناها ،
والأفياء التي نمنا فيها وكتبنا الجديدة مفتوحة على صدورنا ؟

تلك كانت يقظتنا الاولى على جمالك .

ولكن ما كدنا نفرّق بين الحلم والوعي حتى
رأينا البيوت تُنسف فوق رؤوسنا
والمدافع في الليل تبعثر اشلاءنا ،
واذا الفلوات تنبسط امامنا ، والجوع يدفعنا
الى الحقول الغبراء حيث لا نسمع اغانيك
ولا يجيئنا من اخبارك الا اصداء نائيه
لولولاتٍ ليس من يغيثها .
ما الذي نحن فاعلون بحبنا
وتراب الصحراء يملأ افواهنا ؟

رأينا الوديان تتلوى احشاؤها
والتلال الصفراء تتفطر ، والأشواك تنحني
على جثث تنتظر مقدم الغربان .
وضحك الموت إذ رأى عظـــام البشر بين جماجم
لدوابْ ،
وبنات القدر في الظلمة ترقص على رؤوس الباكيات .
وحين قيل لنا إن من تلك الاعالي قبل ألفين من السنين
رتّلت الملائكة لمسرة الناس ، اصغينا
فلم نسمع سوى قهقهة الموت وراء دمدمة الرصاص .
هذا كان اول شبابنا ، ايتها الأرض التي
ضاع منا زمردها وعقيقها ، حين فتحنا عيوننا
فلم نجد الا نقيعاً يهبّ في وجوهنا .
ما الذي نحن فاعلون بحبنا
وتراب الصحراء يملأ عيوننا ؟

جامعة هارفرد — الولايات المتحدة

جبرا ابراهيم جبرا

الرّبيع الناهض

•

آه من حسنكِ العريق تمادى
في افتتان القلوب طبعاً وفنا
تبهرينا بشمس وجهكِ حتى
كل عينٍ تغضّ دونك جفنا
وقوامٍ كأنه الحُلْم يمشي
في ضياء ورغبةٌ تتثنى
مِسْتِ في حلة الجلالة تيهاً
واعتزازاً بما حباكِ ومَنّا
أسرف الله في العطاء سخاءً
ام لأمر يريـــده غاب عنا
روعةٌ في نضارةٍ بل ربيعٌ
ناهضٌ في صباحـــه يتغنى
يوقظ الشوق في الصدور ويحيي
من بقايا الحنين ما كاد يفنى
إن تكن بسمة فدفقةُ نورٍ
او تكن نظرةٌ فقلب معنّى
مِهرجانٌ للنـــاس تنثر فيه
راحتـــاه عـلى البرية حسنا
واغتباطاً ونشوةً اين منها
كلُّ ما نشتهي وما نتمنى
انتِ شعر الحياة ويلٌ لنفسٍ
لم تكن في نشيد شعركِ لحنا

يوسف غصوب

من ذكريات عمر ..

بقلم مارون عبود

لا اظنني امنح عمر فاخوري وساماً بعد الموت إذ أكتب عنه هذه الكلمة المغمومة . لقد تناولت عمر في ما مضى جملة وتفاريق ، والعهد بآخر كلمة غير بعيد . كنت فيها مصوراً ومقارناً وباحثاً جهد الطاقة .

لست آسف على سنوات عجاف يعيشها عمر ويمشي فيها ادبه مشية السرطان في بدنه . لقد احسن القضاء صنعاً إذ جذب ثِني الطِّوَل المرخى وأراح عمر من بقاء .

عليـــل في مكانين من الاسقام والدين

كما قال الجاحظ عن نفسه في آخر العمر .

عدت عمر اول مرة فخلتني امام مومياء تحدثني ، فارتعت ثم تجلدت لئلا أريعه ، ولعله قد رأى ذلك في وجهي حتى قال لي : وجهك أصفر ! !

فأجبته : الدرب طويل والسُّلم عـــال ، وانا ابن ستين ، فاصبر علي قليلاً يعد جمالي الهارب ! !

فابتسم ابتسامة دميمة جداً وقال : تتهكم عليك إذا لم تجد واحداً غيرك ..

فقلت : ما وجدت ترياقاً لسمّ الحياة أشفى من الهزء بها وبناسها ..

★

رأيت اليرقان قد خلع على عمر كل ما عنده من زعفران ، فسألته عما به ، فأجاب بعد سكوت لاأجد له نعتاً : قلة العافية ، وعناء الحمية . الغمرة انجلت ، ولكن ..

قلت : دعنا من لكن . السلامة غنيمة يا أخي .

فأطرق ولم يجب ، وأطرقت مثـــله ألوم نفسي . وطال السكوت فقلت له : متى تعود الى عشّك ؟

فأجاب بهز شفتيه ، فعلمت ان لليرقان أحلافاً تشد أزره في حرب عمر . ثم مشى بيننا حديث متقطع موجع انصرفت على أثره بأمل قصير الخطى .

وبلغني ان عمر عاد من عند امه فهرعت لأهنئه بالسلامة ، فقالت لي الخادمة : معلمي في السبيتال .

فقلت : والست ؟

فأجابت : معه . فكملت طريقي الى المستشفى الأميركي فلم أستطع مقابلته . وتلفنت مراراً أسأل عن صحته فكان الجواب برداً وسلاماً .

ثم فصل بيني وبينه الصيف ، فما ضيعت اللبن فيـه . وعاد عمر الى بيته فجئته مستكشفاً ، فرأيته لا حياً يرجى ولا ميتاً فيسلى . وتسقطت رأيه في نفسه فوجدته عريض الأمل كبير الرجاء . وقعدنا حيث اعتدنا ان نجلس فلم يشكُ عمر الداء ، بل شكا سوء الحال وقلة الوفاء ..

رجونا ان يكون « سفيراً احمر » فاذا به يمسي شهيـــداً اخضر .. وتباحثنا الغد ، فاذا بصاحبي متبرم ساخط . تعاون عسره ومرضه على هيكله الواهي . عاف عمله في الاذاعة انتصاراً لوطنه فذاعت القلّة في كيسه ، وخسر موردين : الاذاعـــة ومعهد الآداب، وأثقل دينه ظهره . لم يبق له غير جراية وظيفته الحكومية وهي لا تسد ثغرة العقاقـير ، فاضطر الى بيع أعز المقتنى ، كانت مكتبته كبش المحرقة .

قال لي : غداً — وغداً بمعناها اللبناني الواسع — ادع كل هذا وانصرف الى العمل حراً .

فقلت : وما نويت ان تعمل ؟

قال : اعود الى المحاماة ، واعلّم اذا اقتضت الحال .

وحدقت اليه لعلي ادرك عمق يأسه المريح ، ومدى أمله ، فرأيت بريق زجاجتيه قد تضاءل ، وزيت قنديـله قد شحّ ، فقلت له : ياقليل العقل ! تعود الى المحاماة والتعليم بعدما خيّمت في الشاطىء يا ابا منذر !

فانفرجت شفتاه زهاء ميليمتر ولم يجب .. فقلت له: كفاك الله شرهما يا عزيزي ، فالذي لم يسهل عليك عمـله شاباً يعتاص

عليك كهلًا . اما سمعت قول المثل اللبناني: بعدما كبر وشاب حطّوه في الكتّاب ...

قال : ولمَ لا تقول شيخاً ؟

قلت : لكيلا اصير انا هرماً .

فضحك ضحكة فزّعتني.. ليس بينها وبين ضحكة الهيكل العظمي فرق كبير .

كان عمر قليل الكلام معافى ، فكيف به وقد هدّ حيله اليرقان ؟ وله كبد مقروحة لا يبيعه احد بها كبداً ليست بذات قروح . كان يعاني مرضاً كالنعاس يهدّ ولا يؤلم .

وثنيت عنان الحديث صوب النوادر والفكاهة فوجدته لا ينشط لها ، فعدت الى دار المكشوف احدث صديقه الشيخ عن الخطر العنيد .

★

وفي خطرة ثانية سألت الشيخ عن حال عمر فقال لي: بخير. كان هنا ، فقلت في قلبي : اذن ما ابعد الموت عنك يا مارون، ان صحّ عمر وسَلِم .

وذهبت اليه لاهنئه بالسلامة فوجدتني اقول له عفواً : لا تخدع نفسك ، توقّ ما استطعت . ما اراك كما اشتهي .

فأجاب : ما كنت يوماً في حياتي كما تروم انت .. احسّ انني اتحسن ، ولا ادري اذا كنت ابلغ المرتبة التي اجلس فيها امام قدح من عرقك المثلّث ، وخمرتك الدهرية .

فقلت : الله كريم .. ونظرت اليه فخلتني أرى ملامح رجل من وراء برقع ، وانني امام شبح يمثل عمر . وقرأت ان احدهم حمل الى عمر وسام الاستحقاق اللبناني فقلت : ولم هذه العجلة ؟ خامرني الريب فيها فسألت اصحابنا فقالوا لا ، ولكنني رجعت الى نفسي وقلت : انه فأل غير مليح ..

وعدت من (فرصة الربيع) ومعي لأخي عمر شيء من تلك التي شبه بها سليمان حب الشولمية في نشيد انشاده وما وضعت الأثقال لأفعل ، كما قال الأخطل عن قطار فلسطين ، حتى حمل إليّ الأثير صوت الأستاذ رئيف خوري يؤبن صديقنا عمر . فضربت المكتب بجمع يدي، وهجم الدمع الى الحدود، ولكنه لم يتجاوزها ، كعادته في المصائب الجلى .

ان حصة عمر محفوظة وستبقى مختومة على (السدّة) ، ولا ترى النور الا حين نشربها في عين كفاع مع اخوان عمر واصدقائه ، صانعين هذا لذكر كاتب عظيم مات . .

سنصنع هذا لذكر ركن من أركان هذه النهضة ، لذكر موظف عاش نظيف اليد والجيب . ما مد يده قط ولا اشتهى مقتنى غيره. عاش لا يفصل بينه وبين الناس ذاك التعنفص الذي يتنكر به بعض الأدباء والمتأدبين لأصحابهم متى وظفوا .

كان لاطائفياً ، ولكنه لم يتشدق يوماً بذم الطائفية كأصحابنا الأشد تعصباً من الكهان ثم يتفانون غيرة على الأوطان . كان عمر لا يصيح ولا يماحك ولا يطفيء سراجاً مشعلا ، فظل حيث هو لأنه لا يحسن المداجاة والمصانعة والمداهنة . لأنه أبيّ ثابت يزدري المنافقين والزنادقة الذين يكرون مع كل خيل مغيرة .

ترك ماترك من موارد رزق تعصباً لبلاده،وانتصاراً لها،ولم يشعر احد بما صنع، ولو فعل ذلك غيره لأقام الدنيا واقعدها .

عاف موارد رزقه وعاش مكثوراً عليه ليتضامن مع بلاده . فعل كل ذلك صامتاً لأنه من غير الذين يجعلون من الحبة قبة ومن القباء جبة ، لانه من غير الذين يجمزون كالقبابيط في حقل المراتب ، ويدعسون على جثث اصدقائهم ليرتقوا درجة ويكسبوا ليرة ورقاً .

ان هذا الاستطراد يجرني الى الكلام عن شخصيته . لم يكن عمر حسوداً ولا حقوداً . كان على ما فيه من شمم وإباء لا يزهى ولا يتكبر . كان محبا وإذا أبغض أعرض وازدرى ، وخرج بالصمت عن لا ونعم كصاحبة بشار .

كان فمه نظيفا لا يتبذل حتى في المجالس الخاصة التي كنا نعطي فيها المرح حقه . فكان يقابل تلك النكات الصارخة بربع ابتسامة ، ويشارك بكلمات كان يستعد لتأديتها استعداد طالب غير واثق من ذاكرته .

ولم يكن عمر عدواً في ثياب صديق ، ولم يكن من الذين يقتلون الرجل ويمشون في جنازته شاقين الجيوب حزناً على الفقيد الغالي . اما في الأدب فكان مؤمناً ولكنه غير ممارس الطقوس المنظمة .. يصلي لآلهة الفن بما يدور على لسانه .. لم يكن اديباً محترفاً بل كان اديباً هاوياً. كان كسميّه عمر ، غفر الله لهما ، موكّلًا بالجمال يتبعه . كان لعمر بن أبي ربيعة ، لذة النظر ، كما زعم ، وكانت لعمر الفاخوري لذة العمل الفني ؛ وما معشوقاته غير الكلمات اللواتي يؤلف بينهن ولا يجعلهن ضرائر .. اولع بالجديد ولم يتنكر للقديم فكان خير من كتب بلسان العرب من المحدثين .

قرأت ، بعد موته ، صفحة من انشائه فكدت انكرها لولم

في طريق الحياة

في طريقٍ* من لقى الانضاء والصرعى صُواهْ
وفضــاءٍ لم تعـانق ارضه يومـــاً سماه
مفرغاً ترتجع الابصار حسرى عن مــداه
أضربُ الأرض طليحـــاً تحت اعباء الحياه
وشبابٍ لم يمتع بالشبـاب .

★

أغتدي في زحمـــة الأطماع مشدوهَ الرجاء
وأرود الودَّ في دنيا من الودّ خــلاء
مفردَ القلب وللقلب حنـــين واشتهــاء
ظـــامىء الروح وللنبع بأسماعي غناء
من وراء الغيب .. من خلف الحجاب .

★

أغتدي في مَهْمَهِ الدنيا وما لي من رفيقْ
غير روح سادر النجوى وقلب لا يفيق
كلـــما أوغلتُ في القفر تراءت لي بروق
وامضاتٌ بأمانيَّ كأطيـــاف الشروق
بعـــد ليل مدلهمٍّ وضبابْ .

★

طالما أدركتُ أن البرق خلاب جهـــامْ
ولمحتُ القَطر محبوساً بأطبـــاق الغمام
غـــير أني كلما راوَدَ اجفاني المنـــام
قذفت بي ظامئات من رغـــابي للأمام
ولقد ينجي من اليأس السراب .

★

أتخطى الصخر لا عزمـــاً ولكني أسير
وعـــلى السائر أن يمضي وإن شقَّ العبور
لم أعُد أسأل ما الجدوى ولا اين المصير
ما سؤالي ؟ وفؤاد القفر مسلوب الضمير
ليس يصغي لسؤال او جواب .

★

في طريقي كم تراءت لي جنانٌ وادعات
مثقلات الدَّوح بالأثمـــار شتى ناضجات
يرفل الظل بها في مسرح جمٍّ الشيّات
ويميسُ النهر في أعطافهـــا رحب الجهات
بين أفوافٍ وألفافٍ وغاب .

★

* قصيدة من الديوان الذي رفضه المجمع (راجع باب النشاط الثقافي في مصر) .

يثبت لي ذلك خطه . تسمعون، ولا شك، بالعملية القيصرية .. هكذا كان عمر يضع مواليده .

اثنان كانا مقلين مجيدين : جـــبران وعمر ، وكلاهما كان صائغاً متأنقاً ، وقد عرفت ذلك اثناء اطلاعي على مخلفاتها التي لم تُبع كمخلفات الجيش .

كان عمر صريحاً لا يواري ولا يوارب ، وحسبك منه قوله: « فاذا بما يفيض من عبقرية جبران يروي بطاح المستقبل ، بينا عبقرية شوقي مسفوحة على هضاب الماضي . شـوقي من الشرق وجبران من الغرب ، فلا يلتقيان الى يوم القيامة . ويغلب على الظن ان هذا الشرق سيظل كامرأة لوط ، في موكب الزمان ناظراً الى وراء فيمسخه الله صنماً من ملح ، اي من دمـــوع جوامد ، على حد قول اندره جيد الذي يزعم ان لوطاً ضاجع ابنتيه في احدى منعطفات التاريخ، وهو ناظر الى المستقبل..)

اجل ،كان لعمر فصول ، ولكنها روائع حقاً لانها ملك صاحبها ، وعليها ماركته المسجلة .

واخيراً مات هذا النسر وعينه الى القمة ، لم ينظر قط الى الاوحال التي يتمرغ بها بعض زرازير الادب . لا اقول ان خسارة الأدب العربي لا تقـــدر ولا تعوض ، فحسب الذرية ما تركه لها عمر من نماذج ، وقد لا يصنع اجمل منها لو عمّر كمتوشالح ..

مارون عبود

كم رأت عيني وكم قد حنّ للروضات قلبي
فتركتُ الدربَ مهجوراً وخلتُ الروض دربي
وهفت للعُشب أقدامي وقال الجهدُ : حسبي
ورفعتُ الكفّ لله أقضّي حــق ربي
من صــلاة وثناء ومتاب .

★

وإذا بالروض قــد حفّت به جندٌ عُتاه
لم يبالوا حُرمة الحمــد ولا قدس الصلاه
صاح منهم صائحٌ : ردّوا عن الروض الجناه
أغريبٌ ، ملكُنا المحبوبُ من بعض مناه
اشهروا البيض وهزوا للحراب

★

فهوت من حضرة الربّ إلى الأرض يداي
وتلاشى حمديَ المبتورُ وانجابت رؤاي
قلتُ : هذي الحرب يا قوم أعِدّت لسواي
أنا منكم . طال في البيد ثوائي وسُراي
كيف تلقون أخاكم كالذئاب !

★

قد صحبتُ الليل .. والليلُ على البيد رهيب
ونهاراً للحصى من قيظــه العاتي وجيب
منحتني البيــدُ بلواها واخفت ما يطيب
من رُواء الفجر في الشرق ومن سحر الغروب
لم أنل منهــا سوى قبض التراب .

★

يا صحابي روضكم ريّان ممتــدٌ الظلال
لن تضيق اليوم بي سرحاته الفيح الطوال
فدعوني يلتئم جرحي .. ولي بعدُ ارتحال
لن أقــيم الدهر فيه وبجنبيّ مــلال
يحفزُ القلبَ إلى هذي الشعاب .

★

يا صحابي .. أيها الواغل لسنا من صحابكْ
اسعَ في قفرك ما شئت وهوّم في شعابك
نحن من اصلاب مجد .. امضِ لسنا من ترابك
واذا ما مسّك الضرُّ فكفكف من رغابك
واترك الدنيا لأرباب الرغاب .

★

سكن الروضُ فما في الروض من معنى يُقدّس
لا الغدير الوادع انساب ولا الزهر تنفّس
ودجا الظلُّ فخلتُ الظلّ في وجهي يعبس
وجدي في وهمي المخبول ان الريح تهمس :
لست يا أفّاقُ أهلًا للصحاب .

★

قلتُ يا أقداميَ الحسرى إلى دربك عودي
وتأسّي يا لهــاتي من خيــالي بالوعود
واصبري للظمــأ القاتل يغتــال نشيدي
فغداً في روضتي العذراء يحلو لي ورودي
وأروّيك من الشهـد المذاب

★

روضتي العذراء في الربوة لم يُطمث ثراها
خلف هذي القفرة الجرداء قد طاب جناها
ضلّ عنها الناس واستخفى عن الناس شذاها
قلبي العــامر بالأيمــان يوماً ســيراها
وسيلقاها وإن طال الغياب .

القاهرة — **عبد القادر القط**

حيرة الفنّ والإنسانية

بقلم انور المعداوي

استاذي العزيز

أتعرف الشعور بالحيرة ؟ . . الحيرة المقلقة المضنية التي تتغلغل في طوايا الانسان فلا يلبث إلا ان ينتفض كالمحموم ثم لا تلبث الدنيا كلها .. دنيا ذلك الانسان إلا ان تنتفض .. تنتفض بكل ما فيها من مُثل وقيم ، وبكل ما تحمل من تماثيل ومحاريب ؟ .. حتى اذا استحال ذلك كله الى ركام .. ركام ثقيل يخنق حتى الأنفاس، تمنى ذلك الانسان مخلصاً ومن اعماق قلبه، ان يموت ؟!

أتعرف قصة ذلك الشعور ؟ أليس لها فصول في حياتك ؟ ألم تندس تلك الأمنية السوداء يوماً بين أمانيك؟ معذرة لكل هذه الأسئلة لأنني اشبه برجل فقد وحيده ، وفقد معه عقله ، ومضى في الطرقات مذعوراً يسأل كل من يلقاه : ألم تره يا سيدي ؟ .. ولدي .. ولدي الجميل المحبوب .. ألم يجذب طرف ردائك وهو يسألك عن الطريق الموصل الى البيت . . بيتي بالطبع .. ألم تره يا سيدي ؟ ! إنني اشبه هذا الرجل لأنني انا الآخر قد فقدت ولدي .. معذرة يا سيدي ! إنه لم يكن ولداً واحداً بل كانا شقيقين .. ومع ذلك فقد فقدتها هنا في شوارع القاهرة .. تلك المدينة التي تسرق الأطفال ! !

ولكن لماذا ابكي عليهما ؟ انني لم افقدهما يا سيدي ! لقد اضعتهما .. بل انني اشعر بانني ما زلت اخفي عنك شيئاً .. انني .. انني قتلتهما .. واليك يا سيدي قصة ولديّ :

لقد كان الولد الاول وديعاً حلواً حملت فيه مشاعري يوم كانت ترضع لبانها من امي .. وكان اسمه « الدين » ! كان يبعث في قلبي حماسة حلوة ، وسعادة أليفة ، وكان يشعشع حياتي بضياء شفيف ، وكان يصنع لي احلاماً رائعة عشت في ظلها عمري الاول .. ثم .. ثم كبرت .. ولم تكبر الاحلام ! انه يصنعها دائماً من نفس الخيوط القديمة . التي كنت أهدهد في ارجوحتها صباي الغرير ! إنه يرسم لي طريقاً تضيق به قدمي البشرية ، ويعزف لي لحناً لا يرقص على إيقاعه قلبي . . ويهتف بي دائماً في شبه صلاة : انا .. اتعرف من انا ؟ انا مستقبلك . . مستقبلك القريب والبعيد فلا تنشد مستقبلاً سواي . . انا امتدادك فلماذا تتطلع الى آفاق اخرى ؟ انا كل شيء بالنسبة اليك .. لديّ افراح سماوية .. لديّ آلام مقدسة .. لديّ رؤى واحلام .. لديّ كل ما تريد .. فلماذا تغلق عينيك المتطلعتين خارج اسواري المقدسة ؟ انا وريثك الوحيد فلا تنجب اطفالاً سواي .. انا منظارك الوحيد الذي لن تبصر بدونه حقائق الاشياء ! ..

واحسست إحساساً رهيباً بان هذا الصغير انما يرسم لي خط السير ، ويحدد الغاية والهدف ، ومن هنا ادركت في وضوح انه يسلبني ذاتي .. ويعطيني ذاتاً اخرى .. ذاتاً قد تكون قوية وقد تكون موفورة .. ولكنها لن تكون ذاتي بأية حال ! ومن هنا ضقت بهذا الصغير وارتكبت جريمة لا ادري ماذا سيكون حسابها عند الله .. لقد خنقت صوته الرقيق بين ضلوعي .. وتلك يا سيدي قصة الولد الاول ! !

اما قصة الولد الثاني فتبدأحينما حملت مشاعري بجنين آخر، احسست به يتحرك حين كانت تلك المشاعر ترضع اثداء الكتب .. وكان اسمه « الفن » ! ولا اكتمك انني احببت هذا الصغير الجديد حباً جارفاً .. لقد تأملته طويلاً فماذا رأيت ؟ احلامي الخفية .. ملامحي المستسرة .. اشواقي الحبيسة .. اعماقي كلها .. كلها .. بما فيها من رؤى ومشاعر ، واصداء وهواتف ، وأنات وأغنيات ! وسرت مع طفلي في شوارع الحياة .. كانت يده الصغيرة لا تفارق يدي .. وكلانا لا يكف عن الثرثرة .. واذا احببت ان ابصر صورتي نظرت في عينيه ! كنت لا اتركه حتى وانا في فراشي احلم ، حتى وانا في الحمام اغني .. ولم اكن وحدي اغني .. كان هو الآخر يغني لي اغنية حلوة يهدهدني بها حتى انام .. وكانت تبدأ بهذه الكلمة الساحرة : انت .. انت .. اتعرف من انت ؟ انت إله صغير، ولكنه يخلق كائنات جميلة لا تقل روعة عما يخلق الاله الآخر .. الاله الكبير .. لماذا تنظر الي هكذا في دهشة ؟ ألست من مخلوقاتك التي ستشهد دائماً بقدرتك ، انت ايها الاله الصغير ؟ وكنت حين يتحدر النوم في جسدي الراقد اشعر كأن الفراش الذي انام فوقه عرش عظيم ! يا عجباً لقد بدأت كلماته تحدث اثرها في نفسي .. انني اشعر شعوراً هائلاً بانني وحدي الذي يحمل سر الحياة في قلبه لانه يعرف سر « الخلق » ، تلك المعجزة التي تفرد بها الاله الكبير .. اما غيري ؟ وهنا احسست بأن

ذاتي تمتلىء .. تمتلىء حتى لا تتسع لشعور عـابر بالضعف او اليأس او الخذلان .. وانى لهذه المشاعر ان تجد طريقها الى قلبي .. قلبي الخالد في دنيا الخالدين ؟!

وجاء يوم لا استطيع ان انساه .. يوم عرفت فيه ضآلتي كمخلوق وتفاهتي كخالق .. وعرفت فيه ايضاً عقوق ذلـك الطفل المحبوب ! كان ذلك حين مرضت ذات مساء وتوالت عليّ بعد ذلك امسيات قاتمة ، واحسست ان كياني كله يـذوب كما تذوب قطعة السكر في قدح من المـاء .. أرأيت الى تلك الفقاعات التي تعلو سطح القدح اذ ذاك حاملة ضراعات السكر الغريق ؟ انها يا سيدي كانت خواطري ومشاعري تطفو عـلى السطح الخانق ضارعة جازعـة .. تنشد العون والعزاء من ولدي .. ولدي الذي لم تكن تفارق يده الصغيرة يـدي .. انه الآن راح .. راح بعيداً حتى انني لم أعد أراه! واحسست ان كل ما قاله لي خرافة ضخمة .. خرافة بغيضة .. بل انـه نفسه اكذوبة لا تفترق عن مجموعـة أكاذيبه الماضية ! من انا ؟ غريق .. ما الخلود ؟ انه لا يساوي حتى طوقاً من الفلين .. انه عود من القش لا تناله يدي الغارقة ! ولدي ؟ انه احـدى الاكاذيب التي صدقتها ببلاهة .. اوه ، ماذا قلت ؟ احـدى الاكاذيب ؟ يا لي من عاق يجحد افضال بنيه .. ها هو ذاولدي يعود مسرعاً .. انه آت من بعيد .. آت لينقذني من غـير شك .. ها هو ذا يقترب .. شد ما تغيرت ملامحه ! يا عجباً انه .. انه ولدي الاول الذي قتلته .. انه وحـده الذي استطاع ان يقف الى جانبي في تلك اللحظات ، وها هـو ذا كياني يندفع نحوه كما تندفع الفقاعـة نحو السطح ، وان كانت بعد قليل ستنداح !!

إنه يمنحني قوة عجيبة وأملاً عريضاً اشعر معهما بانني لا اخاف الموت ولا ارهب العدم ، ولا اجد فارقاً بين العـالم المنظور وغير المنظور . انني وهو الى جانبي لا اخاف الموت .. ولكن لماذا انسى ان حياتي معه نوع من انواع العدم ؟ لأنها لم تكن حياتي بحال ؟! انني امقتهما معاً ! امقت الأول لأنه لا يقف إلى جانبي الا في لحظات الضعف ، وامقت الثاني لأنه يتخلى عني في تلك اللحظات !! انني اريد ولداً آخر يا سيدي ! ولداً لا يتخلى عني في اية لحظة من اللحظات ، ولداً وفياً لا تفارق يده الصغيرة يدي حتى ونحن في طريقنا الى القبر !

انني الآن اعيش بغير اولاد حياة مشدوهة حائرة ، حيـاة يغتال الزمن لحظاتها المذعورة ويلعق بلسانه العريض مـا تبقى فوق شفتيه من أنات .. انني يا سيدي في حاجة إلى مثل .. مثل اعلى يلبي اشواقي كلها ويمتص طاقاتي كلها ، ولا يتخـلى عني في لحظة من لحظات الحياة ! فهل يا ترى أجده لديك ؟!

محمد ابو المعاطي ابو النجا

يسألني القصاص المصري الفاضل ، الذي تتبعت باعجـاب انتاجه القصصي على صفحات «الرسالة» و «الرواية» و «الآداب» يسألني هل عرفت هذا اللون من الحيرة ؟ هذا اللون القاتم الذي تستخدمه ريشة القدر احياناً وهي ترسم لوحة المصير في حيـاة الناس ، وتعكس هذا القتام على حواشي اللوحة فيبدو المشهـد في رؤية العين وإحساس القلب وهو غارق في الظـلام ؟ نعم يا صديقي لقد عرفته ، وتذوقته .. عرفته مرتين ، وتذوقتـه في جرعتين ، وما زال فم وجودي يغص حتى اليوم بمرارة ذكراه !

ذات صباح ، وكان ذلك منذ بضعة اعوام ، سأل صاحب هذا القلم نفسه .. سألها وهو يشهد ليـلة تنطوي وفجراً يبزغ : «ايمكن ان تمر تلك الليلة على انسان كما مرت عليه؟» وسمع جواب نفسه منبعثاً من اعماقه : محال ! وكانت ليلة عيد .. ولا يذكر انه احس القفر في حياته كما أحسه في تلك الليلة ، ولا يذكر انه انكر دنياه كما انكرها في تلك الليلة ، ولا يذكر انه استشعر الوحدة والغربة والحرمان كما استشعرها في تلك الليلة .. لقد كان يشم في كل شيء حوله رائحة الموت ، الموت الكريه البشع الذي يتراءى للاحياء في الليالي السود ، ويلف الآمال في اكفانـه ، ويهيل على جمال الحياة اكوام التراب !

واشرقت شمس العيد ترسل ضياءها الى قلوب النـاس الا قلبه .. لقد بقي وحده في الظلام ؛ ظلام الأماني الـتي ذوت ، والفرحة الكبرى التي انطوت ، والدنيا التي ذهبت الى غـير معاد . ولأول مرة منذ سنين شعر بدافع قوي الى البكاء .. حاول ان يبكي ولكنه لم يستطع ، لقد تجمدت الدموع في عينيه ، ثم تحدرت الى قلبه قطرات : فيها من فورة عاطفته ، وفيها من وقدة وجدانه ، وفيها من لوعة حرمانه .. وفيها من وهج أساه !

أرأيت يا صديقي الى تلك الحيرة ؟ حيرة الأمس التي كانت اشبه بحيرة الفكرة الشريدة المعذبة التي لم تجد دفء خاطر تأوي اليه ؟ او حيرة الجندي الذي خرج من المعركة وهو معفر الرأس بغبار الهزيمة .. ثم عاد بعد ذلك ليجد احبابه تحت ركام الانقاض! لقد كانت حيرة فيها الشعور بالقلق ، والشعور بالعجز ، والشعور

بالضياع ، ومصدر هذه المشاعر المتعددة واحد لا جدال فيه ، هو فراغ الحياة من امرأة .. امرأة « بعينها » يا ويحنا اذا لم نجدها ، ويا ويلنا اذا وجدناها .. ثم فقدناها .. ثم عشنا من بعدها نفتش عن النموذج ونبحث عن المثال !!

قبل ان يجدها صاحب هذا القلم كان يعيش في مثل حيرتك ؛ هذه الحيرة التي يفقد صاحبها الايمان بكل شيء : الايمان بالنفس ، والايمان بالدين ، والايمان بالفن ، والايمان بكل مثل أعلى يدثر امجاد الحياة بوشي الطموح !

.. « كان يسير في طريق الحياة ولا يعرف الى اين .. لم يكن له هدف يسعى اليه ، ولم تكن له غاية تسدد خطاه ، ولم يكن له امـــل . كل ما يذكره انه لقي من مرارة السير في الصحراء ما لم يلقه انسان : لقي فيها الشوك ، ولقي فيها القيظ ، ولقي فيها الصخر ، وذاق ما ذاق من سفي الرمال ولفح السمائم » وحين وجدها هتف من اعماقه وهو يصور نقلة الشعور من حال الى حال : « ويذكر انه لمح يوماً على البعد واحة ، وانه وقف مشدوهاً لا يصدق عينيه ، وقـال لنفسه : سراب ! ومضى في طريقه لا يلوي على شيء .. وفجأة ، قالت له قدماه تمهـــل ، وقالت له عينـــاه تأمل ، وقالت له نفسه : من هنا يا صاحبي الطريق .. لقـد آن للاغب ان يستجم ، وللمجهد ان يستريح وللسفينة الحيرى في خضم الحياة ان تبلغ الشاطىء !

ونظر الى السماء نظرة طويلة ، حـار فيها دمع واضطرب بريق .. واحة في صحراء ؟ ونبع يتدفق ماؤه ؟ وزهرة ندية بالعطر فواحة بالأرج ؟ كل هذه الاشياء يا رب له ؟ أين كانت وأين كان ؟! وابتسم للحياة من قلبه ، وأضفى عليها من روحه وقبس لها من حبه ، وألقى بالماضي كله في مهاوي العدم .. لقد كان يعيش في حاضره ؛ حاضره الذي داعبته رؤى من المستقبل الباسم ، ورقصت على حواشيه أطياف من الأمل الوليـــد ، وانطلقت من أرجائه صيحة العمر الذي بعث .. هناك حيث ينتظره المجد تدفعه اليه يد حانية ، وقلب يخفق ، وبسمة تشرق ، وروح برح بها الشوق الى لقاء روح ، ويا بعد الدنيا التي كانت في وهمه والدنيا التي تراءت لعينيه » !

قال ذلك قبل ان يلقاها ، وحـــين لقيها ، وسكبت في وجوده اول قطرة من قطرات الايمان .. وعندمـــا تعاهدا على ان يهب كل منهما للآخر نفسه ، ويومـه ، وغـده ، وكل دنياه ، لم يكن يعلم ان هناك يوماً في قبضة المجهـــول سينزع من كتاب العمر كل صفحة سجلت فترة البعث وحددت لحظة الميلاد ! إنه اليوم الذي فقدها فيه وفقد معها كل ما انجبت له من اطفال ؛ اطفال لا تلد مثلهم كل الأمهـــات لأنهم كانوا عباقرة .. كان فيهم طفل يهيم بالجمال ويعشق النغم ، واسمـــه الفن .. وكان فيهم طفل يعيش بين البشر ولكنه يتصل بالله ، واسمه الدين .. وكان فيهم طفل يسير على الأرض ولكنـــه يتطلع الى السماء ، واسمه الطموح .. وكان فيهم طفل يذوب حناناً ويفيض رقة ، واسمه الحب .. وكان فيهم طفـل ترتسم على قسماته مخايل النبوة وبوادر المعجزة ، واسمـــه الالهام .. خرجت امهم من حياتي في ليلة عيـــد ، وخرجوا هم وراءها يشيعونها الى القبر ، ثم هاموا بعد ذلك على وجوههم في الطرقات !!

أعرفت يا صديقي لماذا فقدت أطفالك ، أو لماذا تعيش بغير أطفـــال ؟ إن الاطفال العبـاقرة لا تنجبهم غـــير امّ عبقرية .. امرأة « بعينها » كما قلت لك .. امرأة إذا فقدنا الايمان بالنفس ، كانت هي اليد الخفيـة التي تدفعنا بعنف الى الامام .. وإذا فقدنا الايمان بالفن ، كانت هي الشرارة الفكرية التي تشعل النار في الرماد .. وإذا فقدنا الايمان بالدين ، كانت هي السلم الذي نرتقيه لنصعد قدماً إلى حقيقة الله !!

إنها المرأة التي « تلمح » الدمعة وهي تتحدر من حنـــايا الضلوع الى اهداب الجفون ، فتجففها قبل ان تنسكب ..

إنها المرأة التي « ترصد » البسمة وهي تتدفق من اغـــوار الشعور الى اطراف الشفاه ، فتعانقها قبل ان تنطلق ..

إنها تلك التي تغرس طريق الحياة بزهر الشوق ، وترش دروب النفس بعطر الأمل ، وإذا شـــاءت صبّت الزهر والعطر في قارورة الوجدان !!

إنها المرأة التي نصطلي دفء هواها ونحن في شتـاء العمر ، فلا تصطك ايامنا من برد الوحدة ولا ترتجف ليالينا من صقيع الوحشة ، ولا تهتز نوافذ أرواحنا كلما عصفت من حولهـا رياح الفراغ .. إنهـــا تلك التي تغني مشاعرنا فلا تتسول ، وتؤوي عواطفنا فلا تتشرد ، وتشعرنا ونحن بجوارها اننا لم نكن يوماً فقراء بلا ثروة .. وغرباء بلا وطن !!

هذه المرأة ، ابحث عنها يا صديقي .. فتش عنها في كل مكان .. وإذا لم تجدها اليوم فعش على الأمل الجميـل في انك ستجدها غداً .. ان جمال الأمل يتمثل في قدرته على جعـل الخيال واقعاً والوهم حقيقة .. وإذا وجدتها يوماً ما ، فهنيئاً لك . عندئذ ستشعر بكبريائك كمخـــلوق ، وبعظمتك كخالق .. وعندئذ لن يحار الفن ، ولن تحار الانسانية !!

القاهرة **انور المعداوي**



شجرة القمر

للآنسة نازك الملائكة



— ١ —

على قمة من جبـال الشمال كساها الصنوبر
وغلّفها أفق مخمليّ وجـوّ مُعَنْبَرْ
وترسو الفراشات عنـد ذراها لتقضي المساء
وعنـد ينابيعهـا تستحم نجوم السماء
هنالك كان يعيش غـلام بعيد الخيـال
إذا جاع يأكل ضوء النجوم ولون الجبال
ويشرب عطر الصنوبر والياسمين الخضِـل
ويملأ أفكاره من شـذى الزنبق المنفعل
وكان غلاماً غريب الرؤى غامض الذكريات
وكان يطارد عطر الربى وصدى الاغنيـات
وكانت خلاصةَ احلامـه أن يصيـد القمر
ويودعـه قفصاً من ندىً وشـذى وزهر
وكان يقضّي المساء يحوك الشباك ويحـلم
يوسّـده عُشُب باردٌ عنـد نبع مغمغِم
ويسهر يرمق وادي المساء ووجـه القمر
وقـد عكسته ميـاه غدير بَرودٍ عَطِرْ
وما كان يغفو إذا لم يمرّ الضيـاء اللذيـذ
على شفتيه ويسقيه إغمـاء كأس نبيـذ
وما كان يشرب من منبع الماء ... إلا إذا
أراق الهـلال عليه غلائل سكرى الشذى

— ٢ —

وفي ذات صيفٍ تسلل هـذا الغلام مساء
خفيف الخطى ، عاريَ القدمين ، مشوق الدماء
وسار وئيداً وئيداً الى قمة شاهقـه
وخبّـأ هيكله في حمى دوحـة باسقـه
وراح يعدّ الثواني بقلبٍ يدقُّ .. يدقُّ ..
وينتظر القمر العَذْبَ والليل نشوانُ طلْق
وفي لحظـةٍ رفع الشرق أستاره المعتمـه
ولاح الجبـين اللجينيّ والفتنـة الملهمـه

وكان قريباً ، ولم يرَ صيّادنا الباسما
على التلّ ، فانساب يذرع أُفْق الدجى حالما

... فطوّقه العاشقُ الجبليُّ ومسَّ جبينه
وقبّل أهدابَهُ الذائباتِ شذى وليونه

وعاد به ببحار الضياء ، بكأس النعومه
بتلك الشفاه التي شغلت كل رؤيا قديمه

وأخفاه في كوخه لا يملّ إليه النظر
أذلك حلمٌ ؟ وكيف وقد صاد .. صاد القمر

وأرقده في مهاد عبيرية الرونقِ
وكلّله بالأغاني ، بعينيه ، بالزنبق

— ٣ —

وفي القرية الجبليّة ، في حلقات السمر
وفي كل غابٍ تنادى المنادون : « أين القمر ؟ »

« وأين أشعته المخملية في مرجنا ؟ »
« وأين غلائله السُحُبيّة في حقلنا ؟ »

« ونادت صبايا الجبال جميعاً : « نريد القمر ! »
فرددت القنن السامقات : « نريد القمر ! »

« مُسامرُنا الذهبيُّ وساقي صدى زهرنا »
« وساكب عطر السنابل والورد في شعرنا »

« مُقبّل كل الجراح وعاصرُ لون الورودْ »
« وناقل شوق الفراش لينبوع ماءٍ بَرود »

« يضيء الطريق إلى كل حُلْم بعيد القرار »
« ويُنْمي جدائلنا ويريق عليها النُضار »

« ومن أين تبرد أهدابُنا إن فقدنا القمر ؟ »
« ومَن ذا يرقّق ألحاننا ؟ من يغذي السمَر ؟ »

ولحنُ الرعاة تردّد في وحشة مُضنيه
فضجّت برجع النشيد العرائش والأوديه

وثاروا وساروا إلى حيث يسكن ذاك الغلامْ
ودقوا على الباب في ثورةٍ ولظى واضطرام

وجنّوا جنوناً ، ولم يبقَ فوق المراقي حجرْ
ولا صخرةٌ لم يعيدا الصراخ : « نريد القمر »

وطاف الصدى بجناحيه حول الجبال وطارْ
الى عربات النجوم وحيث ينام النهار

وأشربَ من ناره كل كأس لزهرة فلّ
وأيقظ كل عبيرٍ غريب ، وقطرة طلِ

وجمّع من سكرات الطبيعة صوت احتجاجْ
تردد عند عريش الغلام وراء السياج

وهزّ السكونَ وصاح : « لماذا سرقت القمر ؟ »
فجنّ المساءُ ونادى : « وأين خبأت القمر ؟ »

— ٤ —

وفي الكوخ كان الغلام يضم الاسير الضحوك
ويُمْطره بالدموع ويصرخ « لن يأخذوك ! »

وكان هُتاف الرعاة يشق اليه السكون
فيسقط من روحه في هُوَىً شرسات الجنون

وراح يصلّي لمعبوده في أسىً وانفعال
ويخلط بالدمع والملح تسبيحَهُ للجمال

ولكن صوت الجماهير زاد جنوناً وثورة
وعاد يقلّب حلْم الغلام على حدّ شفره

ويهبط في سمعه كالرصاص ثقيل المرور
ويهدم ما شيّدته خيالاتُهُ من قصور

وأين سيهرب ؟ اين يخبيء هذا الجبين ؟
ويحميه من سورة الشوق في اعين الصائدين ؟

وفي أي شيء يلفّ اشعتَه يا سماء ؟
وأضواؤه تتحدّى المخابيء في كبرياء !

ومرّت دقائقُ منفعلاتٌ وقلبُ الغلامْ
تمزّقه مدْية الشكّ في حَيْرة وظلام

وجاء بفأسٍ وراح يشقّ الثرى في ضَجَرْ
ليدفن هذا الأسير الجميل .. وأين المفر ؟

وراح يودعه في اختناقٍ ويغسل لونَهْ
بادمعه ، ويصب على حظه الف لعنه

— ٥ —

وحين استطاع الرعاة الملحّون هدمَ الجدارْ
وتحطيم بوّابة الكوخ في تعبٍ وانبهار

تدفّق تيـــارهم في هياج عنيف ونقمـــه
فماذا رأوا ؟ أي يأس عميق وأية صدمـه !

فلا شيء في الكوخ غير السكون وغير الظُلَم
وأما الغلام ؟ فقــد نام مستغرقاً في حُلُمْ

جـــدائله الشُقر منسدلاتٌ عـــلى كتفيه
وطيف ابتسام تلكّأ يحـــلم في شفتيـــه

ووجه كأن أبولونَ شرّبـــه بالوضـــاءه
وإغفاءةٌ هي سرُّ الصفـــاء ومعـــنى البراءه

وحار الرعاة ... أيسرق هـذا البريء القمر ؟
ألم يخطئوا الاتّهام ترى ؟ ثم ... أين القمر ؟

وعادوا حيـارى لأكواخهم يسألون الظـلام
عن القمر العبقريّ : أتاهَ وراء الغـــمام ؟

ام اختطفته السَعَالى وأخفتـه خلف الغيوم
وراحت تكسّره لتغذي ضيـــاء النجوم ؟

ام ابتلع البحر جبهتَـــه البضّة الزنبقيـــه
وأخفاه في قلعـــةٍ من لآلىء بيضٍ نقيه ؟

أم الريح لم يُبق طولُ التنقل من خفّـها
سوى مِزَقٍ خلقاتٍ فأخفتـه في كهفهـــا

لتصنـــع خفّين من جـــلده الليّن اللبنيّ
وأشرطـــةً من سَناهُ لهيكلها الزنبقيّ ؟

— ٦ —

وجاء الصباح بليلَ الخطى قمريّ الـــبرودْ
يتوّج جبهتـــه الغسقيّةَ عقـــدُ ورود

يجوب الفضاء وفي كفّـــه دورقٌ من جمال
يرشّ الندى والبرودة والضوء فوق الجبال

ومرّ على طَرَفَيْ قَدَمَيْه بكوخ الغـــلام
ورشّ عليه الضياءَ وقطر النـــدى والسلام

وراح يسيرُ وينجز أعمـــالَهُ في السفوح
يوزّع الوانَـــهُ ويشيع الرضى والوضـوح

وهبّ الغلامُ من النـــوم منتعشاً في انتشاءْ
فماذا رأى ؟ يا ندى ! يا شذى ! يا رؤى ! يا سماءْ !

هنالك في الساحة الطُحلُبيّة حيث الصباح
تعوّد ألاّ يرى غـير عُشب رعتهُ الرياح

هنالك كانت تقوم وتمتدُّ في الجو سِدْره
جدائلُها كسيت خُضْرة خِصْبَة اللون ثرّه

رعاها المساء وغذّت شذاها شفـــاهُ القمر
وأرضعهـــا ضوؤه المختفي في التراب العطِر

وأشرب أغصانهـــا الناعمات رحيق شذاه
وصبّ على لونها فضّة عصرت من سنـــاه

وأثمارُها ؟ أيّ لونٍ غريبٍ واي ابتكارْ
لقد حار فيها ضياء النجوم وغار النهـــار

وجنّت بهـــا الشجراتُ المقلّدة الجامـــدة
فمنـــذ عصور واثمارها لم تزل واحـــدة

فمن أيّ أرض خيالية رضعتْ ؟ اي تُربة
سقتها الجمالَ المفضض ؟ اي ينابيع عذبة ؟

وأيّة معجزة لم يصلهـــا خيالُ الشجَر
جميعـــاً ؟ فمن كل غُصنٍ طريٍّ تدلى قمَر

... ...
... ...

ومرّت عصور وما عاد أهل القرى يذكرون
حياة الغلام الغريب الرؤى العبقريّ الجنون

وحتى الجبـــال طوت ذكره وتناست خطاه
وأقمـــارَهُ واناشيدَهُ واندفـــاع مُنـــاه

وكيف أعـــاد لأهل القرى الوالهين القمر
وأطلقـــه في السماء كما كان دون مقرّ

يجوب الفضاء وينثر فيه الندى والـــبروده
وشبه ضباب تحـــدّر من أمسياتٍ بعيده

وهمساً كأصداء نبـــعٍ تفجّر في عمق كهفِ
يؤكد أنّ الغلامَ وقصّتهُ .. حُلم صيفٍ ..

... ...

نازك الملائكة

حاشية الخطوط الاساسية في القصة التي تصورها هذه القصيدة مقتبسة عن اصـــل انكليزي ضاع في ذاكرتي منذ سنين . على ان القصيدة ليست ترجمة عن اي شيء ، وكل ما فيها من تفاصيل ومشاهد ورموز لي أنا ولا وجود له في الأصل.
[ن.م.]

عيش الكفاف في إنتاجنا الفكري

بقلم الدكتور نقولا زياده

كثر التحدث عن الانتاج الفكري في العالم العربي ، وما يتخبط فيه من اضطراب وفوضى ، وما تحيط به من أزمات مستحكمة خانقة . وتشعب الحديث بين ايدي الكتّاب ، واستغرقوا في شعابه . ولعل هؤلاء الكتّاب يكونون قد استوفوا من البحث نواحيه ، او لعلهم يكونون قد نفذوا الى مغلقاته فاستجلوها ؛ ولكن يخيل الينا ان هذا الموضوع له من تعدد جهاته ، واتساع جبهاته ، ما يتيح الخوض فيه مرة بعد مرة ، ومحاولة سبر غوره من غير زاوية واحدة .

وثمة ظاهرة بدت لنا حرية بان تكون موضوع حديث وجدل ، والجدل احب الينا من الحديث . إذ انه سبيل تبادل الرأي ، وصقل الفكرة ، وتركيز المشكلة ، بحيث يمكن ان تتضح وتتبلور . وهذه الظاهرة هي ان الانتاج الفكري تكاد تطغى عليه فكرة « العيش الكفاف » . فنحن عندما نستعرض هذا السيل من الانتاج الذي تقذف به المطابع ، والذي يبدو لنا ، في الظاهر ، كأنه يكاد يغرق المجتمع بخصبه — هذا السيل عندما نستعرضه مدققين باحثين دارسين نجده على غير ما يبدو ظاهراً . ظاهره الخصب — على أساس انه كثير — ولكن واقعه العقم . قد يبدو انه دسم ، ولكنك عندما تحاول ان تعتصر منه ما فيه تجده يكاد يكون خلواً من اي دسم .

اذا صح ما ذهبنا اليه فليس من الغرابة في شيء ان يكون هذا الذي يصح ان يسمى خصباً من القلة بحيث انه لا يكفي إلا لاشباع القليل من رغباتنا العقلية ، وجوعنا الذهني . ولذلك نحن دوماً في جوع . وإنتاجنا الفكري يمثل حالة العيش الكفاف . والعيش الكفاف يكاد يكون دوماً قليل الأدام ، قليل السُّعر (كالوري) الغذائية . وهكذا إنتاجنا الفكري . إدامه قليل ، قيمته الغذائية محدودة ، ولذلك يتركنا في حالة من الجوع المستمر .

وقد ارتفع مستوى المعيشة العقلية في العالم العربي ، وازداد جوع القارىء العربي ، لكن اولئك المشرفين على إمداده بحاجته من الغذاء والسعر العقلية اللازمة ، لم يستطيعوا مجاراته .

وعيش الكفاف في الحياة العقلية يقتضي ، بالاضافة الى ما ذكرنا من قلة الدسم الفكري ، ان يكون الانتاج الفكري ، إذا صحت تسميته ، ابن يومه ؛ يعالج المشكلة من يوم الى يوم ، دون ان يتطرق الى القضية من حيث هي أمر له جذور في صميم الحياة والفكر والأدب . وهكذا بدل ان تعالج القضية وقد أنضجتها نار الروية ، تُعرض وقد لوحتها نار البديهة .

ومن هنا كان الانتاج الفكري ايضاً يهتم بالكم لا بالكيف . فالكم ينتج عن الرغبة في تمكين الناس من الحصول على عيش الكفاف . يكون كبيراً ضخماً لأن القش فيه كثير والورق فيه أكثر . أما الكيف فهو نتيجة سبر الغور والتعمق والدقة . وهذا لا يتأتى إلا لمن أعد نفسه لذلك ، ثم بذل من وقته وجهده ما يمكنه من الانتاج الصحيح الصالح .

وعيش الكفاف العقلي يبدو كذلك في التفكير المحدود ، لا السطحي فحسب ، بحيث نلاحظ ان الكثير مما تدفع به المطابع يدور حول نقط صغيرة في دوائر تكاد تكون محدودة . مع ان قضايانا ، والفكرية منها خاصة ، بحاجة الى ان تعالج في أفق واسع . ولكن اتساع الأفق لا يتيسر إلا لأولئك الذين سمحوا لأنفسهم بان يكون اطلاعهم كبيراً ، وتفكيرهم حراً من قيود الحياة الاجتماعية .

ولعل من اكثر الأمور دعماً لظاهرة عيش الكفاف في حياتنا الفكرية هو هذا النقص في الاخلاص العقلي الذي يتجلى في الكثير من إنتاجنا الفكري . فنحن ينقصنا الاخلاص العقلي ولذلك يبدو هذا الذي ينتجه الأدباء والمفكرون خالياً من نبضات الحياة وما فيها من قوة دفع وإنبات وإحياء .

يخيل إلينا ان الكثرة من منتجينا في الحياة الفكرية يصلّون يومياً « خبزنا كفافنا أعطنا اليوم » . وليتهم يغيرون هذه الصلاة .

نقولا زياده

مناحي في حياتنا القومية

القوة والحرية

بقلم الدكتور شكري فيصل

الدعوة التي تعلو كل دعوة اخرى في عالمنا العربي اليوم هي هذه الدعوة الى القوة ، في كل مجالات الحياة المادية والمعنوية .. إلى تحصين مجتمعاتنا وتحصين حدودنا .. إلى إيقاظ روح المجنّد في المواطن العربي جندياً كان ام عاملاً ام استاذاً .. إن كل مناحي حياتنا الحاضرة ثغرات يستطيع ان ينفذ منها اعداؤنا الاقوياء ، في السياسة والاقتصاد ، في العلم والفن ، في العمران والاجتماع .. ومن مهماتنا الرئيسية ان ننقذ وطننا الكبير واوطاننا الصغرى من هذه الاخطار التي تزحف اليها من هنا وهناك .

إن نداء القوة ، الذي يتمثل في هذه المراحل المتتالية من اليقظة والتنبه والوعي وعمق الادراك والعمل ، كان اثراً بعيداً لحياة هذا الشعب العربي القلقة منذ اوائل هذا القرن ... وكان اثراً قريباً لهذه الكارثة التي اصابته فأنفذته كما يصيب الرمح المسموم جسم البطل فيُنْفِذُه .. ولقد حملنا على اكتافنا وفي قلوبنا هذه الكارثة كما يحمل البطل رمحه ثم يسعى به الى قاتله .. يعمل ليردّ اليه الضربة بأقوى منها .. ومن بين أيدينا ومن خلفنا اشباح الشهداء وأطياف المغاوير الذين تبعثرت اشلاؤهم على ثرى فلسطين ولوّنت دماؤهم ازهارها .. وفي اذهاننا وآذاننا هذه الاصداء التي تحوّم كل ليل .. تقول : اسقوني

ونحن ، كلّ عربي في كل قطر ، نؤمن ان كل إراداتنا يجب ان تلتقي في الاستجابة لهذه الاصداء والثأر لها .. وان كل قوانا يجب ان تسخّر لهذا الثأر الذي يملأ كياننا الحاضر لأن كياننا المقبل لن يقوم إلا به ولن ينبني إلا عليه .. ومن اجل ذلك نستسيغ كل حرمان ، ونتقبل كل تضحية .. ومن اجل ذلك نرتضي ان نجانب كل ترف وان نحتمل كل شظف وان نتلقى كل كيد .. إن الحياة عندنا ليست حياة الحاضر ولكنها القدر الذي يمكن ان يهبه هذا الحاضر المستقبل ..

غير اننا حين نستجيب إلى هذا النداء الغالي ، نداء القوة ، وحين نلتقي حوله نسخّر له قوانا ونهب له نفوسنا ، نؤمن ان هذا الالتقاء يجب ان يكون التقاءً حراً .. التقاء ارادات واعية مطلقة مدركة ، تندفع بهذا الفيض المتدفق الداخلي الذي يجيش في اعماقها .. وان هذا التسخير يجب ان يكون تسخيراً ذاتياً ينبع من داخل ولا يأتي من خارج ؛ تثيره النفس وتخلق الاحساس به ، ولكنها لا تشعر بظله من فوقها ولا باشباحه من حواليها .. وان هذه الهبة ، هبة نفوسنا لهذه الأمجاد التي نسعى اليها ، انما هي محض هبة ، فيها كل الايمان بانها حق وواجب من نحو وفيها كل طلاقة الهبة وعفويتها وطواعيتها من نحو آخر .

إن نداء القوة يجب ان يخالطه دائماً صوت الحرية ، وإذا كنا نؤمن بالقوة كأول مفهوم يجب ان يسود حياتنا المادية والمعنوية فاننا نؤمن كذلك ان هذه القوة هي قوة الفرد الحرّ الذي يقدّم بكلتا يديه ، رافع الرأس ، رضيّ النفس ، طروب الضمير – كل ما يجب ان يقدمه في بشاشة وإسماح ..

★

وهذه الحرية التي نؤمن بها ليست غريبة عن القوة التي ننشدها ولا بعيدة عنها .. إنها هي هي .. هي التي تفجّر فينا مكامن قوانا ، وتطلق ما استسرّ من إبداعنا ، وتقوم بهذا التفاعل الغنيّ الخصب بيننا وبين الحياة .. ومن غير الحرية نعبر الطريق بين الولادة والموت دون ان يكون بيننا وبينه أي تجاوب .. نعبره بسذاجة الصبيّ المغلق ، وتصلّب الجندي في الصف ، لا يملك ان ينظر الى امام او وراء .. لا يستمتع ولا ينتج ، لا يأخذ ولا يعطي .. ولكن الحرية هي التي تمدّ ساحة الرؤية امامنا وتوسّع اطرافها ، وهي التي تنقلنا عبر الاجواء البعيدة نفيد منها ونفيدها ، نعطيها ونأخذ منها ، نتفاعل بها ونتفاعل معها .. هي التي تجعل وجودنا الداخلي الصغير يضم هذا الوجود الخارجي الكبير ويطويه .. إنه حيث تكون الحرية المبصرة تكون القوة القادرة .. قوة لا تتألف من جمع الارقام واحداً بعد واحد ، بل من تضامّها وتواثبها في سلسلة هندسية لا نهاية لها .

وإن ضمائرنا هي التي يجب ان تتنفس في هذه الحرية وان تنمو في ظلالها .. فالضمير الحرّ هو القوة التي لا يتطرق اليها البلى ولا يدركها الفناء .. هو هذه القوة التي لا تني تتألق عند الانسان نوراً من بين يديه ومن حوله ، وهو بهذا النور يسير .

★

إنها في الظاهر مفهومان : الحرية والقوة .. يتجادل حولهما هؤلاء واولئك .. لا يرون ان في وسع احدهما ان يقوم إلا ان يعطّل الآخر أو يجلّله .. ولكن قوميتنا التي نؤمن بها ونعمل لها لا تحتاج ان تعاني هذه المشكلة ، ولا تواجه هذا الازدواج الخاطىء .. ان اصالتها في نفوسنا وفي تاريخنا .. في الواقع وفي الماضي .. وإن حتميتها في المستقبل .. إن كل اولئك يجعل من الحرية والقوة عندنا مفهوماً واحداً .. وجهين لحقيقة واحدة ، تحليل احدهما لا يساعد على قيام الآخر ولكنه قد يذهب به .

دمشق

شكري فيصل

لعنة على الطغاة

[الى خليل مطران : اكبر شاعر عربي رمى بصواعقه الطغاة والطغيان]

●

خَلـّدِ الآثار حقاً وجمالا ، واسحب السبعين للقبر ثقالا[1]
ملؤها الذكر، وما استجديته، لا ولا احتلت على المجد احتيالا
انت من ألقى بذوراً حرة في قوافيه، زكت نبْتاً رجالا
انت من صاح على الظلم سؤالا ، وأرى الثورات يُبدأن سؤالا
انت من قال البراكين، إذا خست الأمة والطغيان صالا
لم يكن نيرون روما وحده لك مرمى يوم سددت النصالا
نسلَ الطغيانُ نسلًا فاجراً ركب التاريخ وامتد وطالا
الفُ نيرون كنيرون الذي شئت للظلم، وعُقباه ، مثالا
الف قوم كالأولى عض بهم نيرُ نيرون وماضاقوا احتمالا
كلما صال عليهم غاشم زحفوا وابتذلوا النفس ابتذالا
وأمالوا أوجهاً لو صلحت رققوا منها لمن داس نعالا
لا أسمّي ، تشهد العين إذا هي جالت ، ان للعين مجالا

★

قيل حَقرتَ بني الشعب بما أثمَ الظلم ، ولم تأمن ضلالا
وهموا فالجرح في الشعب الذي ضيم جرح فيك ما هان اندمالا
وهموا ! لم تُهِن الشعب، ولم تحتقر ، إلا نعاجاً وسخالا
ساسها الذئب مشت في ركبه خانعات ومشى الذئب اختيالا
فاذا ثارت بما استنهضتها ، واذا استنبتت النابَ نضالا ،
واذا ردت على الذئب النكالا واذا المظلوم للظالم كالا ،
فلقد نلتَ الذي كنت به تحلم الحلم ، وتشهاه منالا
ثم ما يؤذيك قول الناس غالى؟ كم غلو لم يكن إلا اعتدالا !

★

أيْ خليلَ الشعر يبكيك فتى قصرت عنك قوافيه الثكالى
وأخا الروح صفت جوهرةً واخا الاخلاق يرشفنَ زلالا

وأبا الفن، أو السحر، الذي تعرف النفس به السكر الحلالا
جئت فذ الدهر في الوصف على طول ما اعطت لياليه الحبالى
صوّرِ الشيء زهيداً قدرُه تعطه منك يد الفن جلالا
صوّرِ الشمس فيمتد سنى ضوئها في مُشرق اللفظ حبالا
صوّر الزهر فيُلفَى عطرُه
فاح في الحرف ويلفى اللون سالا
صوّر العشاقَ تخطر كلَمٌ طِبنَ كالعشق عتاباً ودلالا
صوّر الثوار تَقدحْ اسطر بشرار النار، او ترشق نبالا
أُحرقت روما فمثّلتَ لنا ، كالذي يلمس ، ما مر خيالا
كَلِمٌ من وهجها إن لامست خاطراً، ينفجر الحرف اشتعالا
دقة في الوصف لو قارنتها لم تفتها صورة الاصل اكتمالا
مُسهِبٌ لا مُسئِمٌ او ربما تومىء الايماء كالفكر انتقالا
صورٌ لا ابن جُريجٍ خالها في اوالينا ولا الطائيّ قالا[1]
جددت أفقاً وفكت دونه بعض ما كان على الشعر عقالا

★

يا ابن لبنان وأعني جبلًا ، خصه مذ توج الحسن الجبالا
سافرَ الشعر فلما شامَه حط في ذروته الشعر الرحالا
إن تعش عن ارضه في غربة ربما كنت بها اسعد حالا
فأبِ اليوم إلى تربته ،
واكتحلها مغمض العين اكتحالا
وأثوِ جاراً للاقاحي في الربى والدوالي، والعناقيد الطفالى
لا يعقّ الفكر لبنان وان عق حكام وآذوه نِكالا !

رئيف خوري

---

(١) ولد مطران سنة ١٨٧٠ وتوفي سنة ١٩٤٩

(١) ابن جريج هو ابن الرومي . والطائي هو ابو تمام او البحتري

البقاء للبذور والخمائر

بقلم صدر الدين شرف الدين

أي امتحان هذا ان أقف على رمسك يا أخي ؟
وماذا يقول اخ وهو يدلي باخيه الى المستودع الرهيب ؟
ماذا يعطي الفاقد عبر السلب الأبله والوجوم الحائر ؟
ترى أرزؤك بِكْرُ هذه السنّة ؟ أأنت اول اخ مودَّع، وأنا اول اخ مودِّع ؟

ان لك عندي اكثر من واحدة . لك عندي حق الأخوة، ولك عندي يد التربية والتعليم ، ولك الصداقة ، وإذا لم يكن لي قِبَل بوفاء هذه الديون الجسام جملة، فهب لي وفاءها اقساطاً .
لقد علمتني كثيراً ، فهلا علمتني كلمة يومك الحازم الواهب ؟
هلا علمتني كيف ارد عليك بعض عطائك ؟ واعيد اليك بعض وفائك؟

بلى لقد طهرتني بالنار من وجدك ، وريشتني بالأجنحة من جرحك ، وعلمتني من بعدك أضعاف ما علمتنيه من قربك، فانت في كل احوالك – والله – ينبوع تتزاخر انابيبه بالفيض، والخصب ، والسخاء ، وجذوة تتشعشع انوارها بالهبات ، والعطايا ، والثراء !.

علمتنيها كلمة تتسع ابعادها ، ما شاء الاتساع ، لأكرم المعاني الانسانية وارحبها وانداها . وليست دموعي الغزار المنهمرات الخرساوات هذه، سوى نقط تعجم كلمتك فيّ ، فتلون معطياتها خصالا . وتنشىء دلالاتها افعالا . وتعكس انفعالاتها اتصالاً وانفصالا .

في هذه الدموع حنينك ووجدانك. وفيها ألمك وحرمانك. وفيها إباؤك وحنانك . وفيها تواضعك وعنفوانك .

ولستُ انا منها الا كماء السحاب من السحاب، يجود البحرَ ، واكبر جُوده انه أعاد .

لم أعرف الدمع : هذه اللوعةَ المُرنّة الناشجة ، إلا في يومك يا سيدي ، وانت تعلم انني امرؤ جمّ الهموم ، موفور الحظ من الكوارث ، والحمد لله ، وتعهدني جلداً صبوراً لا تتعاظمني الأحداث ، ولكنك لا تعلم ان يومك إنما هو القذى ، وغيره اشواك تُدمي ، ولكنها لا تُدمع ، ورزء يُدمعني ، على انه يزكّيني ، أفجع عندي ، وأشق علي ، من رزء يدميني ، ولا يبلغ ان يبكيني.

رأيتك بعيني هاتين تتخطى سماواتك العلى ، على صهوة : صهوة (براق) والارض تحتك كفة غربال ، تتطلع اليك ثقوبه عيونَ حب ، وتمثل ، واعجاب .

ثم رأيت (البراق) يظلع تحت غرمك الجبار ، ثم ينهار ، وانا مع الناس – يا للهول – نحار كيف نتلقاك ، ثم نحار !

لا تسل يا سيدي عن فؤادي ، فقد ضللته يومذاك ، وضلني في زحمة الشجون ، وها انا انتظره منذ عشرين عاماً ، ولعله كان ينتظرني .

وانى يخلص إليّ من عتمة ؟ أو اخلص اليه من ظلمة ؟
انه لن يعود !. له الله فؤاداً ما اوفاه !
وحسبي منه انه اهتدى اليك . حين ضل عني .

أرأيت الى رزئك : اي معانيه كان بكراً ... ايها كان البكر في مصارع الاخوان ؟

في رزئك عنصران رشحاه لهذه الاولية : محنته الشديدة ، بعد امكاناتك العظيمة ، ونفعك المرجو المحترَم .

ومن هنا كنا لا نبكي بك فرداً ، وإنما نبكي بك امة : أمل امة ، ولا نبكي بك جثماناً ، وإنما نبكي روحاً ، لا نبكي حدثاً ، وإنما نبكي حياة ، واي الناس تسأله عنك ، ثم لا تجده كان ينتظر بك الربيع في الاخضرار والافترار ، ويرقب منك التقدم في الانعتاق والازدهار ؟

فما انا اول فاقد اخاً ، ولا انت اول اخ مفقود ، في ظاهر الواقعة ومجملها ، ولكنها الواقعة الاولى ، او التي توشك ان تكون الاولى في حقيقتها وتفصيلها .

ولكن .. ومع ذلك .. لا انت مفقود ، ولا انا فاقد ؟

في القديم فقدت امرأة عبقرية، اخاً سرياً ، فراحت ترثيه ما بقيت ، وما اطول ما بقيت ! وظلت تحييه حتى يومك ، وكان مما خلّدت فيه قولها :

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

وكدتُ – على شبه بينك وبين صخر – ان اتهم الخنساء بالانانية ، انها تنحل نفسها العذر بالتماسها الاسوة • بيـد انك علمتني حزناً متفائلاً ردني الى أبعد مما يفهم مفسرو هذا الاعتذار ، ففي صميم الائتساء ينهض قدس الحياة ، الذي اكرم (صخراً) وكل صخر ، واسماهم ، وفضلهم ، وأعزهم ، وهو المعنى المستقر وراء تحرفها في التعبير عنه ، باتخاذها القدوة من كثرة الباكين لا كثرة الباكين بالذات .

ولست اخالفها بهذا ، فالحق ان الحياة في ذاتها كريمة ، فلا تهون بفقد فرد مهما عظم ، بل لا تهون بفقد امة وان عظمت ، ذلك بان الافراد والامم جميعـاً انما يتفاوتون كرامة ونباهة ، وضآلة وخمـولاً ، بتفاوت حظوظهم من الحيـاة ، او بتفاوت حظوظهم من فهمها وخدمتها وتأصيلها وتنظيمها ومدها وتوريثها .

وانت يا سيدي أقرب الامثلة ، فإن فقدك لم يهل ولم يوجع ، الا لأن حظك من الحياة كان كبيراً عظيماً ، والا لأنّ الذي يرتجى على يدك من تأصيلها وتأثيلها كان كبيراً عظيماً .

الخنساء على حق فيما ذهبت اليه من قدر الحياة ، والاعتراف بعدالة الموت ، والاكتفاء من اللوعة بالحزن الدافيء الكريم الخاشع الباعث . الحزن الذي لا يتصلّف فيتنكر ، او يتنكر به الهوج العاطفي لقانون التطور والاستمرار القائم عـلى سنة (الموت) : هذه السنة الهادمة البانية .

هي على حق في هـذا المذهب . وكادت النزعة العاطفية تغلبني فتحملني عـلى الاساءة الى الشجرة : شجرة الحياة ، حزنا على غصن ناضر وريـق مثمر من اغصانها ، وكادت تزلني زلة (الحكاية) في مثل قول الجاهلي :

وما كان قيس فقده فقد واحد ولكنه بنيان قوم تهدماً

ولكن الحزن المتفائل الذي علمتنيه ردني الى ما بدر للخنساء في عفويتها السامجة المتأملة ، فرحت اضيف الى اللقاح العقلي في مذهبها العاطفي :

– اننا منك على لقاء موعود ، فنحن اليك على الطريق .

– ثم اضيف انهـا رغبتك في الخلاص من عالم الكثافة القذر ، والاندماج بالعالم الشفاف الشريف ، عالم النور المشرق بنور ربه . وليس لنا أن نأبى ما ترضاه ، ولقد اعلم انك منـذ عشرين عاماً ترتاض رياضتك الشاقة ، لتنضو هذا الاهاب ، هذا الجسم ، وتصفّ جناحيك مع الملائكة ، بعيداً عن دنيا تضيق بكل راشد ، وتتجهم لكل حر .

ولعل اولى من هذا وذاك بمنطق العزاء والتأسي ، أن نعود الى حقيقة الحيـاة ، فهل مت حقاً يا اخي ؟ وهل الموت ان تنضو هذا الاهاب؟ان تفارق هذا الجسد؟ان تخلع هذا الثوب؟.

لا . وان مصابك على فداحته لا يخدعنا عن الصواب . الحياة في دار الفناء هذه ، مساهمة في العمل والتوليد ، وفعالية من آثارها التجدد والاستمرار ، وتمتاز في الانسان عن غـيره من الاحياء بالتجربة التي تعطيه اطول من أعمار الاغصان ، بانه يعيش مع التجربة سراجاً ينير الشعاب في طريق القافلة الصاعدة ، يبدد بين يديها الظلمات عن المنعطفات والاخاديد .

ثم هي في دار البقاء استقرار : خلود استقرار ، متنوع على وجه أفضل وأتم .

واين الفناء منك على ضوء هاتين الحقيقتين ؟ .

الذين يموتون هم الذاهبون في غير عمل صالح ، ولاعلم نافع .

انما تموت الاحطاب ، اما البذور والخمائر فلها البقاء الدائم ، والحياة الخالدة .

صدر الدين شرف الدين

مسابقة « الآداب » للقصة

•

تقيم « الآداب » مسابقـة للقصة يحق لجميع ادباء البلاد العربية ان يشتركوا فيها بالشروط التالية :

١) ان تكون القصة موضوعة غير مترجمة ولا مقتبسة ولا منشورة .

٢) ان تعالج موضوعاً يهمّ الجماعات العربية او الفرد العربي .

٣) ان تكتب كلّها باللغة العربية الفصحى .

٤) ألاّ تتجاوز ثماني صفحات من « الآداب » .

اما الجوائز فثلاث :

الاولى : ٣٠٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها .
الثانية : ١٥٠ » » » »
الثالثة : ٥٠ » » » »

تقبل القصص حتى اول شهر آب (اغسطس) من العام الحالي ١٩٥٣ .

وستتألف لجنة محكمة تعلن اسماء اعضائها فيما بعد . اما القصص الثلاث الفائزة فتنشر ابتداء من عدد تشرين الاول (اكتوبر) من « الآداب » .

هَذهِ الكُتبُ ..
يجبُ أن تنقلَ إلى العَربيّة

الآداب تستفتي

« ما هي الكتب الاجنبية التي اعجبتم بهـا وتودّون ان تنقل الى اللغة العربية ، اذا لم تنقل حتى الآن ؟ »

جواب الدكتور شارل مالك

وزير لبنان المفوض في الولايات المتحدة

ان هذا السؤال اجل واخطر من ان يرد عليه بكلمات او سطور او صفحات . ان مستقبل ثقافتنا العربية كله رهين بكيفيـة مواجهتنا ومعالجتنا لهذا الموضوع . ولذلك اعيذكم من ان تستغنوا عما يتطلبه من دراسات عميقة كاملة شاملة باستفتاءات عابرة تعطى فيها الأراء تسرعاً وارتجالا . انه موضوع استغرق من فكري واهتمامي وعنايتي الكثير ، الكثير الذي لايجوز لي ان امسخه في كلمات . وسأكون سعيداً بالتقـدم بما بلغته من رأي حوله في الوقت الملائم للقارىء العربي بالصورة الملائمة التي تتجلى فيها ما لشؤون الفكر من جدية بالغة ومن حرمة ليس بعدها حرمة .

جواب الاستاذ سلامه موسى

ربما لاتكون الكتب التي اعجبت بها ، او بالاحرى التي ربتني وارشدتني ورتبت ذهني ونظمت ثقافتي واعطتني برنامجاً لحياتي ، ربما لاتكون هذه الكتب هي خير ما ينتفع به قراء الاقطار العربية . فاني تأثرت باندريه جيد ، وبرنارد شو ، وه . ج . ولز ، وغاندي ، وكارل ماركس ، وجيته ، ونيتشه ، ودستوفسكي ، وفولتير . وروسو ، وغيرهم . وكان تأثري بهم في ظروف قد لاتشبه الظروف الحاضرة ، وقد يكون في ترجمة بعض مؤلفاتهم نفع كبير .

ولكن شعوبنا العربية تحتاج الى ما احتاج اليه الشعب الفرنسي قبل ثورته الكبرى في ١٧٨٩ وهو موسوعة عصرية تنظم ثقافتهـا وتنقلها من التقاليد المظلمة الى القرن العشرين

لقد استنار الشعب الفرنسي بموسوعـة ديدرو وزملائه . ولو اننا نقلنا الى العربية « الموسوعة البريطانية » بمجلداتها الثلاثين تقريباً (أنسيكلوبيديا بريتانيكا) بعد حذف او اختصار الموضوعات المحلية (الانكليزية والامريكية) لو فعلنا هـذا لأحدثنا نهضة في العالم العربي كله .

وكان يجب على وزارات المعارف ان تفكر في الترجمة اكثر مما تفكر في تأليف ما تسميه المجامع العلمية والمجامع اللغوية .

اني احب ان تترجم لنا موسوعة عصرية . وهذا يجب ان يكون عمـلا دفاعياً لنا في الثقافة .

والى جانب ذلك احب ان يترجم لنا بلا حذف او ايجاز هذه الكتب :

الانسان والسبرمان لبرنارد شو .
ثلاث او اربع درامات لهنريك ابسن .
بعض قصص مكسيم جوركي .
بعض قصص اندريه جيد .
بعض مؤلفات نهرو .

ثم يجب ان نذكر ان الحضارة العصرية هي حضارة الصناعة .

ويجب ان نذكر ان اوربا تختلف عن الامم الشرقيـة بالصناعة وترتقي عليها بها ، وليس هناك سبب آخر لارتقائها وتفوقها علينا . وكل ما يقال عن روحية الشرق ومادية الغرب هو لعاب البلاهـة وخرافات الرجعيين اعداء النور والرقي .

وعلى هذا الاساس يجب ان نترجم مائة كتاب على الاقل في العلوم العصرية التي تستطيع ان تقشع عنا الغيبيات والخرافات وتجعلنـا ناساً عقلاء مفكرين .

جواب الدكتور عبد الحميد يونس

لم يحيرني سؤال ، كما حيرني هذا السؤال:

« ما هي الكتب الاجنبية التي اعجبتم بها وتودون ان تنقل الى اللغة العربية ، اذا لم تنقل حتى الآن ؟ » ذلك لانني من الذين يشتغلون بالترجمة منذ اكثر من عشرين سنة ، فآمنت كما آمن غيري من المثقفين ، بان النهضة العقلية العربية لايمكن ان تصل الى غايتها الا اذا انتخبنا لها العناصر القوية الصحيحة التي يتألف منها زاد الانسان المتحضر المتفوق في هذه الايام . ولا بد من توافر شرطين اساسيين في انتخاب هذا الزاد : اولهما ، صحة ادراك الناقل لما يقع عليه اختياره وملاءمته لمزاجه وعلمه وقدرته على النقل . والثاني ، ملاءمـة النص المنقول للذين يتلقونه بحيث يستطيعون تمثله والافادة منه . ولست اقصد بذلك اثارة الاعجاب ، فقد يثار هذا الاعجاب بعوامل مفتعلة سطحية تتصل بالعرض اكثر مما تتصل بالجوهر .

واظنكم توافقونني على أن النهضة العقلية للشرق العربي ، وهي النهضة التي يعيش فيها جيلنا ، انما هي في حقيقتها فترة انتقال من التطور الغيبي الى التطور العلمي التجريبي . وقـد اخذنا نصطنع المنهج العلمي في بعض الفروع ولما نزل بعيدين عنه في الفروع الأخرى. وكان طبيعياً ان تحدث فترة الانتقال هذه صدعاً بين العقل المحافظ والبيئة المتطورة الآخذة باسباب الانتـاج العصري . وكان طبيعياً كذلك ، ان يشغل القوامون على الفكر العربي انفسهم برأب هذا الصدع قبل ان يستفحل امره وقبل ان يحول النهضة عن الطريق السوي او يعوقهـا عن السير . ولست اكتمكم ان هذه الخطة حددت مطالعاتي وكتاباتي جميعاً . وهأنذا أتشبث بمؤلف واحد ، وان كان قـد فارق الدنيا ، وأتشبث بكتاب واحد له ، وان كان قـد صدر قبل اندلاع الحرب الكبرى الثانية بشهر . فأما الكاتب فهو ه . ج . ولز ، واما الكتاب فهو « مصير الانسان » The Fate of the Homo Sapiens .

وولز كما يعرف الجميـع ، من اعلام الأدب الانجليزي المعاصر ، ولكنـه افاد من العلم التجريبي فائدة كبرى ، وكانت الجامعة قـد اهلته لتدريس علم الحياة . وان نظرة واحدة الى عنوان الكتاب ، ترينـا الى اي حد تأثر الكاتب بالمنهج العلمي واصطنعه . فقد تخير الاصطـلاح اللاتيني المستعمل في التاريخ الطبيعي للدلالة على الانسان ، ايماناً منه بمكان الانسان من التاريخ الطبيعي عامة ، ومن صور الحياة الراقية خاصة ، وان كانت صفته التي تميزه على سائر الأحياء ، هي صفة العقل Sapientia .

ولما كان الكتاب الناجح في نظري هو الذي يثير الانتباه المتجدد المستمر ، فأنا اقر بأن هذا الكتاب لم تنقطع صلتي به منذ صدوره الى الآن . فقـد تجاوز مجال المطالعة العابرة الى الدراسة المستأنية وبلغ من اهتمامي بـه انني لخصته لمجلة « الكتاب » عام ١٩٤٦ وكنت اتوقع ترجمته ، وسيكون له لو ترجم ، اثر فعال في رأب الصدع القائم بين العقل العربي المحافظ والبيئة العربية المتجددة . فقد ألح ولز الحاحاً شديداً على وجوب الملاءمة بين الانسان وبين

البيئة . وأبان ان البيئة قلما تجمد على حالها ومن ثم تسلحت الحياة بالقدرة على التكيف وفقاً لهذه البيئة المتغيرة ابداً ، وهي في هذا التكيف إما تعدل من صور أحيائها وإما تغير فيهذه الصور وفقاً لما يصيب البيئة من تحول او تغيير.

والحياة العقلية تخضع لهذا الناموس الطبيعي نفسه ولا تخرج عليه . فالجنس الانساني واحد من المجموعة العظيمة التي يمكن ان تسمى : « الحيوان المخي» وقد جعلها هذا المخ أقدر على الملاءمة بينها وبين البيئة المتطورة ، ومعنى هذا ان التطور وظيفة حيوية ضرورية ، والتوقف عنها قصور وعجز وموت . وزادت قدرة الانسان بارتقاء مخه واستطاعته التفاهم بالكلام والاشارة ، ومن هنا كانت الوظيفة الاجتماعية للغة اولاً والوظيفة الفنية لها ثانياً . وادراك هذه الحقائق يصحح كثيراً من المفاهيم الشائعة في عالمنا العربي . ويردها الى ما يجب لها من الصحة والفاعلية .

وما أريد ان استعرض الكتاب فليس هذا مكانه ، ولكن الذي اريده هو ان هذا النظر العلمي ينبغي ان يكون الاساس الذي تقوم عليه نهضتنا ، ومثل هذا الكتاب يدفعنا الى إعادة النظر في كثير من الظواهر والاعمال والمشروعات ، ويجعلنا ننظر حولنا نظراً واقعياً يدرك العلاقات الصحيحة بين الاشياء ويغير حتى من العمل السياسي لأن من شأن هذه النظرة العلمية ان تحتقر استغلال الخدمات العامة وتراها تطفلا يجب ان يعامل معاملة التطفل في قوانين الصحة والعلاج . والسياسة عند ولز واشياعه فرع من علم الحياة .

وأخشى أن اكون قد خرجت عن السؤال او اكون قد وقفت عند كتاب واحد ، ولكن ما ذنبي اذا كان الكتاب الواحد يرجح على الكثرة ويمكن ان يقوم بنفسه زاداً صحيحا ملائما للشرق العربي في نهضته الحاضرة ؟.

جواب الاستاذ جورج شحاده

ارى ان تنقل الى العربية الكتب التالية التي تمثل عبقرية الادب الفرنسي الحديث :

1) Le Soulier de Satan - Paul Claudel
2) L'Espace du Dedans - Henri Michaux
3) Capitale de la Douleur - Paul Eluard
4) Eloges - Saint-John Perse
5) Alcools - Guillaume Apollinaire
6) Sous le Soleil de Satan - Bernanos
7) Nadja - André Breton
8) La Condition humaine - André Malraux
9) La Nausée - Jean-Paul Sartre
10) Le Chant du Monde - Jean Giono
11) Un Amour de Swan - Marcel Proust.

جواب الاستاذ غايتان بيكون

مدير مدرسة الآداب الفرنسية ببيروت

1) Les Faux - Monnayeurs - André Gide
2) Nadja - André Breton
3) La Condition humaine - André Malraux
4) Journal d'un Curé de Campagne - Bernanos
5) Le Grand Meaulnes - Alain - Fournier (1)

(١) « الآداب » تذكر ان الدكتور سهيل ادريس كان قد نقل هذا الكتاب الى العربية منذ سنوات ، وكان مقدراً له ان يصدر في منشورات « دار الكاتب المصري » .

6) La Nausee - Sartre
7) La Montagne Magique - Thomas Mann
8) L'Adieu aux armes - Ernest Heminguay
9) Lumiere d'Aout - FaulKner
10) Le Procès - Franz Kafka
11) Lord Jim - Conrad
12) Les Vagues - Viriginia Woolf
13) Ulysse - James Joyee
14) Gude l'obscur - Thomas Hardy
15) Le Journal Métaphysique - Gabriel Marcel.

جواب الاستاذ فؤاد حبيش

الكتب الاجنبية التي اعجبت بها وكنت ولا ازال اود لو تنقل الى اللغة العربية لأكثر من ان تحصى . ففي اللغات الاجنبية عشرات بل مئات من المؤلفات يمتاز كل منها بناحية تثير الاعجاب ، وتحمل على التفكير، وتكشف عن آفاق مجهولة من المتع .

ولا تحضرني الآن اسماء هذه الكتب التي اعنيها . فاكتفي بذكر بعضها ولا ادري هل امتدت اليها يد التعريب ام لا .

ومنها في الرواية : « ايلوئيز الجديدة » لجان جاك روسو ، و « الرجل البتول » لمارسيل بريفو ، و« الاوذيسة »لهوميروس ، و« آخر بني سراج » لشاتو بريان ، و« ساتيريكون » للشاعر اللاتيني بترون ، و « الغراميات » للشاعر اللاتيني اوفيد ، و« الجبل السحري » لتوماس مان ، و« افروديت » لبيير لويس ، و« تاييس » لاناطول فرانس ، و « زنبقة الوادي » لبلزاك، و « مدام بوفاري » لفلوبير ...

ومنها في الترجمات : « بوشكين » و « دوستويفسكي » لهنري ترويا ، و « ميكال انجلو وعصره » لهرمن غريم ، و « جورج صند » و (بيرون) لأندري موروى ، و (تيودورة) لشارل ديال ، و (بريان) لجورج سوياريز ...

ومنها في الاعترافات والذكريات : (اعترافات) روسو ، و (اذا لم تمت الحبة ...) لاندري جيد ، و (مذكرات) كازانوفا ...

ومنها في التاريخ : (تاريخ الامبراطورية البزنطية) لفاسيلياف ، و (تاريخ الحروب الصليبية) لرينه غروسه ...

ومنها في السياسة : (في السلطان) لبرتران دي جوفنيل ، و (الملك الاسير) و (الحرفة البرلمانية) لاندري تارديو ...

وسواها وسواها في مواضيع متنوعة مما يستغرق ذكره صفحات (الآداب) كلها .

واني اغتنم هذه الفرصة لأعلن رأيا اعتنقه من زمن بعيد ، ألا وهو ان خزانة الكتب العربية فقيرة جداً جداً . ويجدر بكل من يغار حقا على سمعة الشعوب العربية وعلى مستقبلها ان يبذل جهده في توفير مطالعات ماتعة ومفيدة للقارىء العربي الذي يجهل اللغات الاجنبية . ان القارىء في الامم الناهضة يكفيه أن يعرف لغته كي يتاح له الاطلاع على اروع ما انتج وينتج الفكر الانساني في مختلف لغات الارض .

اجل ، مسكين القارىء العربي الذي لا يعرف سوى لغته ! انه تفوته لذات ذهنية عميقة لا يعوضها عليه المتنبي ولا الجاحظ ولا ابو نؤاس على روعة ما يمتاز به نتاج هؤلاء الافذاذ في آدابنا العربية .

زرعناك في التراب ...

[مهداة الى كل شهيد ، في كل بلد عربي ...]

شُقَّ عنك الكفنْ
ثم نحِّ الصخورْ
وتمدَّدْ – في الأرض من غير ثوبِ عارياً عارياً – على كل جنبِ
قد زرعناك في التراب وكنّا في نداء الحياة إخوانَ درب
يوم كان المسيرْ
في دروب الوطن

★

شقَّ عنك الكفن ثم نحِّ الصخور
أنت فوقَ الزمن حفنةٌ من زهور
إن تقلْ لي : – لمن
قد حملتُ الجروحْ ؟
فتذكَّرْ أرضاً دفنّاك فيها وتبيَّنْ مرْجاً وسفحاً يليها
وتأمَّلْ دهراً ودهراً سيمضي وتأمل رهطاً غوياً سفيها
لم يعُدْ فيه روح
مِن وداد الوطن

★

أنت فوق الزمن حفنة من زهور
لاتقل لي : – لمن سأبيع العطور ؟
كنتَ أنتَ الثمن
لانتفاض البلاد
فزرعناك في التراب وسِرْنا خلفَ ذاك النداء ما تتمنى
لست تلقى – إذا أردت دموعاً – غير جرح في الارض أنبت غصنا
من بقايا الجهاد
لانتصار الوطن

★

لاتقل لي : – لمن سأبيع العطور
في ظلال الوطن جَنةٌ من قبور
كنْ هنا لا تَمُنْ
لستَ إلا شهيد
والضحايا نُذورُنا ، وستلقى ههنا في التراب رمزاً وعِرقا
قد عصرناك فامتلىء وسيأتي غيرُنا يعصر الذي قد تبقّى
من دماء الوريد
لارتواء الوطن

بغداد عدنان الراوي

الذي سمع المرّ

قصة جديدة

بقلم الدكتور سهيل ادريس

[مهداة الى اميل شويري : بعد خمسة اعوام من الفاجعة]

كلهم هنا كذّابون . المحطات والمذيعون ووكالات الانباء . الصحف والمحررون والمراسلون . كلهم كلهم كذابون . حتى المذيعون العرب في المحطات الاجنبية . ولكن ماهي الحقيقة يا الهي . صحيفة عربية واحدة ، بتاريخ اليوم ، او بتاريخ امس ، او بتاريخ اول من امس . رسالة من صديق . كلمة واحدة تصرخ بأنهم .. هناك .. ماضون في زحفهم ، جادّون في زحفهم . ان كل هؤلاء الناس هنا كذابون .

وعاد الى الراديو يعالجه من جديد ، فينقل إبرته بدقة وبطء تارة ، وبسرعة وعصبية تارة اخرى ، متلمساً صوت مذيع في اذاعة عربية وطنية ، مستجدياً صوتاً يقول ان الجنود العرب قطعوا كيلومتراً آخر نحو تل ابيب ، انهم لم يقفوا ، لم يترددوا ، لم يتراجعوا .. يا الهي . اين صوت القاهرة ، اين صوت القدس ، اين صوت دمشق ، بل حتى صوت بيروت ، اين هو ؟ لماذا هي اليوم غائبة ، هذه الاصوات كلها ؟ رداءة الاحوال الجوية ؟ بل إنها لرداءة هذا الراديو اللعين . يوماً يحكي وعشرين يخرس . ما اروع الصوت الذي كان ينطلق منه ، منذ اربعة ايام ، من القاهرة ، ينشر على الدنيا صفحات مجيدة ، صفحات كثيرة ملأت صدره بفرحة كبيرة لا تتسع لها الدنيا كلها . الزحف مستمر بقوة . العاصمة على بعد ثلاثه عشر كيلو متراً . الجيوش العربية توشك ان تلتقي . الكماشة يضيق طرفاها . يضيقان ، يضيقان .

ويضيق صدره هو ، حتى ليوشك من فرحه ان ينشق . فاذا هدأت النشوة ، انطلق بصره الى الافق البعيد ينسج الآمال ويرسم خطوط المستقبل . وإذن ، فسوف تنتهي المهزلة عما قريب . سيبدأ وعينا بوجودنا ، سنركز قدماً ثابتة في ارض صلبة . ثم نمشي . وقد نكون في مشينا مبطئين . ولكننا لن نبقى واقفين هكذا ، كصخرة ميتة ، والنهر من حولها متدفق صاخب . ستحيا الصخرة ، وستتحرك ، وستنقلب الى موجة ، وستنصهر الموجة في مياه النهر ، لتتدفق مثلها ، حيّة ، فتية ، رائعة .

وظل الراديو اخرس ، إلا من اصوات صفير واشتات انغام واصداء كلمات أجنبية . ثم ضجت في سمعه فجأة اصوات المذيعين العرب جميعاً ، مختلطة متضاربة . لا يميز منها حرفاً ، ولا يدرك الا انها ذات لهجة ممزقة كأنها تشتم المستمعين ، وتسب الناس . او كأنها اصوات الزعماء العرب تعلن النصر العظيم .. او كأنها اصوات الاعداء تعلن النصر الاعظم ، نصرهم هم وهزيمتنا نحن .. يا الهي . إن رأسي يكاد ينفجر . كلمة واحدة . نغمة امل . همسة رجاء . أتراهم غير كذابين ، هؤلاء المراسلين الكذابين ؟

وفتل مفتاح الراديو بشبه لا وعي . وسرعان ما تلاشى في سمعه ذلك العالم الصاخب بالضجيج ، فخرست الاصوات ، وساد غرفته الصغيرة صمت حزين ، كهذا الذي يشعر به الحي حين يودّع عروسين حبيبين ذهبا الى لقاء السعادة ، او كهذا الذي تشعر به المقبرة بعد ان تضم اليها جسد الميت ، ويخلفها اهل الميت عائدين الى دورهم صامتين .

وتلبّث لحظات حتى تمحي من عينيه آخر ظلال الموكب ، وحتى تمحي من اذنيه آخر اثارات الضجيج ، ثم التفت بالمصادفة الى طاولته ، فالفى الكتاب فاغراً فاه يدعوه . واقبل على الكتاب في إحساس من عزاء . ولكن سرعان ما اهتزت تحت عينيه الكلمات ، فاذا الصفحة كلها سوداء ، ثم اذا هي كلها بيضاء . عبثاً تحاول . يجب ان تفقد وعيك قبل ان تستطيع التفكير بشيء آخر .

واطفأ النور ، وخرج من غرفته ، وهبط السلم . وحين بلغ منتصفه فقط تساءل الى اين هو ذاهب . وبالرغم من انه لم يسمع الجواب استمر في الهبوط . ثم تكوّن هذا الجواب إحساساً غامضاً . ينبغي ان اخرج الى لا مكان . يجب ان اخرج من جلدي ، من نفسي ، من وعي .

وسار الى لا مكان ، وألمّ بناس كثيرين ، وألمّ به ناس كثيرون ، ولكنه لم يرَ منهم احداً . وهو لم يدرك انه لم يرَ احداً إلا حين رأى بائعة الصحف ، على كتف مقهى « ديبون » . رأى تلك المرأة القصيرة الدميمة وهي تصيح : « فرانس سوار ، لوموند » . وشدّ ما كان صوتها نفّاذاً الى اعماقه ، حتى ظنّ انها لم تكن تقصد في صياحها سواه . وانتفض من غيبوبته .

صحف المساء . وانفتل مسرعاً يبتعد. صحف المخبرين والمراسلين الكذّابين . صحف يملكها اليهود ، ويغذّيها اليهود باكاذيبهم . صحف عاهرة . وابتعد وابتعد ، في اتجـــاه اللكسمبورغ ؛ ولكنه حين ألمّ بمقهى « الكابولاد » انفجر في اذنـــه صوت ، لا يدري أهو صوت بائعة « ديبون » يلاحقه ، ام صوت هـذه التي تبسط الصحف امام « الكابولاد » . انفجر في اذنه الصوت متحدّياً عنيفاً : « فرانس سوار ، لوموند . »

اين المفرّ بعد ؟ الى اين يمضي ؟ لقـد غرق في الاصوات . وعادت الجلبة والضجيج ترافقها هذه المرة صفحات كثيرة من صحف عديدة ، تتطاير حوله ، وتصفق وجهه وعينيه وضميره . ثم ضغط على اعصابه ، وانفتل مرة اخرى ، ووعى انه يُسـلِّم ببائعة الصحف عند كتف « ديبون » ويبتـــاع الجريدتين ، ويطويها برفق تحت ذراعـه ، وتقوده قدماه من جديـــد نحو الفندق .

وعند باب الفندق ، التقى بانطوانيت خارجـة ، فتذكّـر فجأة انهما كانا قد تواعدا على اللقاء عند الساعة الثامنة. ونظر فاذا هي الثامنة والثلث :

— معذرة يا عزيزتي ... لقد اضطررت الى التأخر عنـــد صديق .

وقرأ في عينيها انها لم تبتلع الكذبة . ولكنه اصطنـع اللامبالاة ، واخـــذ بذراع انطوانيت ، فرقي بها السلّم الى غرفته . وكان شعـــوره المباغت بالسعادة يتفاقم كلّما ارتقى درجة . ولم يدرك إلا بعد وقت طويل ان مبعث هذه السعادة انما هو خروجه من نفسه . لقد انتزعته انطوانيت من دنيـاه ، وجذبته الى دنياها ، دنيا شفتيها الملتهبتين وجسدها الحـارّ . ما كان لمثل ذلك العذاب ان يزول ، لو لم تقتـــله لذة جسدية طاغية . لذة يحجب طنينها في السمع كل صوت داخـلي . لذة تستقطب حولها كل إحساس ، وكل فكرة وكل وجود .

وشعر بانه يُلحّ على انطوانيت ، كما لم يُلحّ من قبل قط ، بان تبيت الليلة عنده ، كأنما كان يخشى ، ان هي غادرته ، ان يستغرق من جديد في دنياه . ولعله شعر للمرة الاولى ، منـذ ان كان يعرف انطوانيت ، ان حبه لها يتعدى الصـلة المادية ، ويتسامى بصلة روحية نامية . لقد أحسّ بذلك ساعة ذوّب في عينيها نظراته ، واوشك ان يُفلت من بين شفتيه تلك العبـارة التي كانت ترقبها انطوانيت بانتظار مسعور . لقد كاد يطلب يدها للزواج ؛ الا انها كانت قد استسلمت بين ذراعيـــه الى الرقاد .

★

واستمرت هذه الغيبوبة طوال اليـوم التالي الذي قضـاه بصحبة انطوانيت . فقد انطلق بها في الصبـــاح الباكـر الى « فرســـاي » فزارا قصرها العظيم و « التريانون الكبير » و « التريانون الصغير » ومتاحف الرسم والنحت ، وعاشا ساعات طويلة في تاريخ فرنسا .

ولكنه ادرك عند الأصيل انه لن يستطيع طويلا ان يكذب على نفسه . او لعله قد استنفد السعـادة التي بين يديه ، فطلب العودة الى واقعه .

وعاد الى هذا الواقع ، ساعة وصل الى حيـه في باريس ، واشترى « فرانس سوار » فقرأ فيها ان الحكومات العربيـة امتثلت لقرار مجلس الامن ووقعت الهدنة مع اليهود .

قرأ ذلك هادئاً ، مطمئناً ، كأنما هو اجنبي ، او كأنمـــا شعوره قد تعطـــل وتبلد . وتابع تفاصيل الاخبار بدافع الاستمرار .

— يظهر انك نسيت يا عزيزي انني هنا .

حقاً نسيت يا عزيزتي . عفوك يا انطوانيت . انت اغلى عندي من كل شيء . ليس غيرك من يستحق الاهتمام . تعالي إلي ايتها الحبيبة ، وهات شفتيك . ان قبلةً منها تعدل كل شيء في الدنيا . تعدل اولئك كلهم . تعدل الزعماء والقادة والجنود . تعدل العرب جميعاً . ان في قبلتك مذاقاً . اما هم فليس لحياتهم كلها اي مذاق . ليس لحياتنا كلها نحن العرب معنى بعدُ . تعالي الي. ما انضر هذا الجسد ، وما اشهى هذا الصدر .

وتركته انطوانيت يحتضنها وهي تضحك بجذل. ثم تناولت الصحيفة ، ومرت سريعاً بعينيها على العنوان الرئيسي :

— لقد وقف القتال إذن في فلسطين؟ ولكن لماذا يا عزيزي؟ اما كان العرب منتصرين ؟ لماذا قبلوا بالهدنة ؟ ألا تعتقد ...

وازعجه هذا السيل من الاسئلة ، فأشاح بوجهه وهو يقول :

— دعكِ من ذلك يا عزيزتي . انه لا يستحق الاهتمام ...

فألحّت عليه وراحت تسائله :

— بل قل لي . هل انت راضٍ بذلك ؟

فاغتصب ضحكة :

— انا ؟ وأي شأن لي بذلك ؟

فقالت ، وقد اتسعت عيناها من العجب :

– كيف ؟ من له اذن شأن بذلك ؟

فانفجر ضاحكاً وهو يقول :

– هتلر ! هتلر الذي كان ينبغي ان ينتصر !

فانتفضت الفتاة ، وتخلصت من ذراعيه ، وحين نظر اليها ، كان الاحمرار يصبغ وجهها .. وان هي الا لحظات حتى انفجرت غاضبة :

– ليس لك الحق بان تتحدث عن هتلر .. انك لم تعش هنا في المقاومة لتدرك إجرام النازية .. وانك تهين كل فرنسي حين تشير الى هتلر اشارة مدح ، او تتمنى ان يكون قد انتصر...

وما كان بحاجة الى من يثير اعصابه . فهو منذ يومين يحاول ان يربط هذه الاعصاب الثائرة ، وهو يشعر بانه من جراء ذلك يختنق . وقد نهض ، فأمسك بذراع انطوانيت بقوة وهو يقول :

– هدّئي اعصابك ، وحاولي ان تفهمي مقصدي . ان لك مطلق الحرية في ان تعتنقي الرأي الذي ترين . وان لي مثل ذلك على ما اظن . انك تنظرين الى القضية من زاوية قوميتك ، وانا انظر اليها من زاوية قوميتي . تكرهين هتلر لأنه سام الفرنسيين العذاب والهوان ، واحبه لأنه اضطهد اليهود ... وكنت أحبه اكثر لو تمكن من ان يتابع عمله في اجتثاث اصول هذا العنصر الذي يفسد الدنيا كلها !

وقاطعته انطوانيت بلهجة من يرفض الاقتناع :

– انني امنعك مرة اخرى من ان توجه لنا نحن الفرنسيين اية اهانة بمدح هتلر او النازية المجرمة . انه سواء لدينا ان ينتصر العرب او اليهود في فلسطين !

ولم يُطق صراخ هذه الفتاة . ما اقبح المرأة إذ تصيح . ونهض على مهل ، فرجاها بان تدعه وتخرج حتى تهدأ اعصابها او تهدأ اعصابه هو ، ولكنها نفرت منه وقذفت وجهه بعبارتها :

– سوف اخرج .. ولن اعود اليك على الاطلاق . ولكن هذا لا يمنعني من اقول انك شرقي متوحش !

وصفعها صفعتين ، ثم حملها بين ذراعيه ودفع بها الى الخارج . وظل صراخها يتعالى خلف الباب الموصد بضع دقائق ، ثم سمع صوت اقدامها تهبط السلم . وجلس على كرسيه ملتاث الفكر .

ليتني كنت متوحشاً . ليتنا جميعاً ، نحن الشرقيين ، متوحشون . إذن لاستطعنا ان ندرأ بوحشيتنا هؤلاء الذين اقبلوا يغتصبون بلادنا ، واولئك الذين يظاهرونهم على هذا الاغتصاب . ولكن اي هذيان هذا ! اصحيح ان كل ذلك قد وقع ؟ اصحيح ان القتال قد توقف ؟ اصحيح ان الامر قد انتهى ؟ اصحيح ان الاحلام كلها قد ضاعت ؟

ومرة اخرى ، وقع بصره على الصحيفة . لا ، ليسوا بكذابين ، وانما اولئك هم الكذابون . انهم في اهلي وعشيرتي وقومي ، معظمهم جبناء ، معظمهم خونة .

ثم اظلم كل شيء في عينيه ، وشعر بان جدران غرفته تضيق حوله وتضيق حتى تخنقه ، ثم تتسع وتتسع حتى يداخله خوف شديد من اتساعها . واحس بان رأسه ثقيل ثقيل يكاد جسمه كله يرزح تحت عبئه . ولم يكن يفهم ما الذي يضطرب الآن في ذلك الرأس . كان يودّ لو ان باستطاعته ان يشقه ويقف على ما يفكر به . وبات لا يدري اهو فارغ ام مثقل ، وهل هو يعمل ام انه معطل .

ثم اعتراه في صدره ضيق شديد ، وشعر ان بوده ان يمزق ثوبه ، ويجرّح جلده باظافره ، ويلطخ يديه بدمه . ثم ضاقت الجدران من جديد ، وامتلأت عيناه بالظلام .

وافاق على يد تهزّ كتفه ، ونظر فاذا هو حمدي ، واقف فوق رأسه ، وفي عينيه القلق والضيق ، وسأله إن كان يشكو شيئاً ، فلم يجب ، ورأى حمدي فجأة ينحني فوقه ويحاول ان يرفعه من كتفيه ، وحين استوى في سريره ، نظر الى حيث كان حمدي ينظر ، فرأى ان غطاء سريره كان ملطخاً بالدم .

وسرعان ما انفجر باكياً كالطفل .

وتلقاه حمدي بين ذراعيه ، وادرك هو ان صديقه العراقي كان يردّ على كلامه حين كان يقول :

– لا .. انك مخطيء .. اننا لم نخسر .. ان فلسطين لم تضع . سيستأنف العرب القتال ، وسيتمون النصر الى آخره . هديء روعك ايها الصديق . انك تبالغ في يأسك .

ثم شعر بيد صديقه تضمد جراح رأسه ، فشعر إذ ذاك فقط بألم في رأسه ، في كل جزء من رأسه ، كأنما سقطت عليه اثقال من حديد ، او كأنما دق هذا الرأس دقاً عنيفاً بجدران ضيقة ، وشعر بان دموعه ما انفكت تسيل على خديه ، بالرغم من انه كان يجهد في امساكها . وشعر بان دمعة تبلغ شفتيه ، فأحس لها بمذاق مرير لم يذهب به الا مذاق النبيذ الذي استحضره حمدي لتوّه ، وأنشأ يصب له ولنفسه منه الكؤوس .

وقد شرب مع حمدي تلك الليلة كؤوساً كثيرة ، فثمـلا وعربدا . ثم رأى حمدي يتقيأ على بساط الغرفة ، فشعر بانـه لم يكن هو نفسه الا نقطة رشاش من هذا القيء الكثير .

★

وضعف اهتمامه بعد ذلك بسائر فصـــول الرواية ، فراح يتابعها بنفسية لاعب خاسر ينظر الى اللاعبين يتسلـّون فيما بينهم. وظلّ جامداً حين بلغته انباء استئناف القتال، انباء مضيّ الزعماء في تدجيلهم على شعوبهم ؛ وظلّ جامداً حين بلغته انباء الهدنة الثانية ؛ وظل جامداً حين بلغته انباء هزيمـة الجيوش العربية . وايّ شيء كان جديراً بقتل جموده ، ويهزّ ضميره الميت ؟

كان يشعر بالخجل اذ يمشي في شوارع باريس، ويشعر بالخجل اذا رأى عربياً من بعيد ، او التقى بعربي عن قريب ، ويشعر بالخجل إذا رأى اجنبياً ، كأن كل اجنبي كان ذلك اليهودي المنتصر . وزهد في كل شيء : في اللقمة والفرحة والحب، وحتى في الحرف الذي أضنى بسواده عينيه طوال اربع سنوات .. ما نفع هذا الحرف في بلادٍ مات فيها كل شيء؟ حبـّذا لو لم يأت الى الغرب ، وظلّ في بلاده ، يسوق الحياة التي يسوقهـا الناس جميعاً ، بل تلك التي يسوقها الزعماء .. ما كان يمنعه من ان يصبح زعيماً بينهم ؟

ولكن الامر لم يكن بيده . فهو قد اتى ليفتح في حياتـه افقاً جديداً. وها هو الآن قد انهى دراسته ، ونظر الى المستقبل يستشرف افقه المرتجى ، فاذا المجرمون قد حطموا له مستقبله ، مستقبل ملايـين الشباب ، واطفأوا مصباح امله ، امل ملايين الشباب .

ورجـع الى وطنه بالطائرة دون ان ينبيء احـداً بمجيئه . وحـين نظر الى قومه حوله يروحون ويجيئون ، اشتد شعوره بالخجل من نفسه .

وحين دخـل الى غرفته في بيته ، في مسقط رأسه ، عزم على ان يبـدأ صراعه . وكانت المرحلة الاولى في هذا الصراع ان يميت نفسه القديمة، ان يقتلها بكل اجوائها ، بكل معتقداتها، بكل ما كان يعيش فيها ، بكل من كان يعيش في كنفها . وكان ينبغي له قبـل كل شيء ان يقتل الثقة بزعمائه وحكامه ، ليقتل نفسه القديمة .

ويوم يحقق ذلك فقط ، يستطيع ان يولد من جديد .

سهيل ادريس

انتظار ...

صلـّي لأجلي !
عبر أسوارِ
وطني الحزين ، الجائع ، العاري
وعلى رصيف المرفأ انتظري
– يا كوكبي الساري
وحديث سُماري –
قلبي مياهُ البحر ، تحملـُه
تفاحةً حمرا ... كتذكار
وعبيرُ آذار
ورفاق أسفاري
يتلمسون طريق عودتهم
ورسائلي وأبي وأزهاري
وكلبنا الضاري
يعوي ، وعينا شيخ حارتنا
مصلوبتان ، على لظى النار
وشجيرة الليمون يسرقها
مهما تعالت ، صبية الجار
وكقبراتِ الصبح ، هائمةً
والموتِ والثار
ستظل افكاري
تعلو وتعلو عبر أسوار
وطني الحزين ، الجائع ، العاري
وانا واطهاري
في غربة الدار
وحدي بلا حبٍ وتذكار

[بغداد] **عبد الوهاب البياتي**

غرناطة

بقلم صباح محيي الدين

من المدن ما تحيط به هالات من الاشــواق ، وتهب في تضاعيف اسمه انسام الجمال ، تملأ القلب منذ يتفتق للحيـاة ، والسمع منذ يتذوق جرس الكلمات وموسيقاها . وهذه المدن مراكز السحر تتهاوى اليها النفوس وواحات يحنّ اليها ظمأ الروح. فمن لا يحلم بان يسير يوماً في ربيع باريس الفتي ، او يستسلم لجوّ ساحة سان مارك في البندقية ، او يتيه في التلال المحيطة بفلورنسا ، او يتأمل مآذن استانبول من مقبرة ايوب ؟ فتلك قمم تهب عليها انفاس الروحانيـة ويتنشق المرء فيها هواء يختلف ، عرفاً وشاعرية ، عن اي هـواء آخر . لقد عاشت الانسانية هنالك ساعات فريدة من عمرها ، ووصلت فيهـا المدنية الى اوجها في عصر ذهبي مضى فلن يعود ، فالمرء امامها في تهيب وحنين وتسامٍ ، يواجه ذاته في حوارٍ رائع اصيل .

وكذلك غرناطـة — وان كانت للقلب العربي اقرب ، واوغـل في الروحانية ، من باريس والبندقية وفلورنسا واستانبول .

لقد اقبلت على غرناطة بقلبي وخاطري المشبع بتاريـخ الاندلس النير ، ولم يكن مقامي في برشلونة وبلنسية ومرسية إلا مراحل اجتزتها على طريق حجي الى غاية شوقي .

★

يجتاز الآتي من مرسية الى غرناطة مسافات شاسعة لا رفيق له فيها سوى جبال جرداء يضطرب لونها بين الحمرة الدكناء والصفرة الغبراء ، وانهار جافة لا تعرف الماء إلا في الشتاء . اما في الربيع والصيف فيستعملهـا القرويون طرقـاً لدوابهم وعرباتهم . وليس للبشر من اثر في هذه الجبال القاحلة الا في بعض البيوت المنفردة الموحشة ، او بعض المغاور المنقورة في الصخر ، لا يبدو منها سوى مداخن نبتت على سطوح التلال كأنها سوق لأشجار متحجرة ألفية .

ويعتاد النظر — كارهاً — هذا الافق الاجدب ، وان تكن النفس تظل ظامئة الى الخضرة ، فتتعلق ببعض اشجار السنديان القائمـة — بين حين وآخر — كرعاة لقطعـان التلال الحمر .

... ووجدتني فجأة وجهاً لوجه مع جبال مدببة كأسنان التنين جللها الثلج حتى سفوحها ، تسد الافق من كل جهاته في منظر بديع ، يحسب الانسان معه انه في اعالي جبال الألب ، لولا هذا الزيتون بالآلاف . ويقول لي جاري : هـذه جبال السييرا نيفادا Sierra Nevada المطلة على غرناطة ، اما غرناطة ففي الوادي الخصيب !

★

غرناطة شامية في موقعها . وهذا الجبل المطـل عليها — سنام من الثلج — لعله جبل الشيخ ، والترام الصاعد في شارع الملوك Calle de los reyes catolicos ما أشبهه بالترام الصاعد الى المهاجرين . وحتى اهلوها ، ففي نسائها نعومة خاصة بهن ، وفي بشرتهن بياض مشبع بالحمرة الجميلة ، مما لا يراه المرء في اية مدينة اخرى وهذه الأنهر الثلاثة المحيطة بالمدينة ، والحيـاة المتدفقة فيها من كل صوب ، تذكرني بحي الاكراد في دمشق ، بسوته القديمة المتهافتة .

★

تجولنا — انا وكاف * — في المدينـة ، واكثرها قديم إلا هذه الساحة التي يطل عليها فندقنا ، وبعض الشوارع التي شقت في قلب البيوت العتيقة .

ودخلنا المدينة القديمة ، وتجولنا في الشوارع الضيقة المتلاحمة كمثلها في اية مدينة شرقية صغيرة . وفجأة ، وجدنا انفسنا في عـالم كرّ بنا عصوراً الى الوراء ، فاذا بنا في احـدى اسـواق القرن الثالث عشر بطابعهـا الشرقي العريق . والواقع اننا كنا قد دخلنا قيسارية غرناطـة — وقد احتفظت باسمها العربي — وهي تتألـف من ازقة جـد ضيقة مرصوفة بالبلاط ، تنفتح على جوانبها اقواس في شكل الحافر مزينة بالنقوش العربية التي تتعانق في اشكال هندسية لا نهاية لهـا ، وداخل الاقواس حوانيت صغيرة تبيع منتجات غرناطة من الاقمشة والجلود والخرز والقلادات والمواسي .

---

* كاف : رفيق السفرة الاندلسية .

وغاب عنا، ونحن نجول في هذا القفير من الحوانيت ان الترام يدرج على بعد امتار قليلة، واخذت اعيننا ترقب السابلة، وتعجب لالبستهم الغربية. وكانت هذه اول مرة – منذ مقامي في اوربا – اشهد فيها قطعة من الشرق حية تتنفس، وعاد بي الفكر الى «المدينة» في حلب، وهي مثل هذه القيسارية تعج بالباعة والشارين، ويقبع تجارها في حنايا ضيقة تفوح منها رائحة الجلود والافاويه.

وتحتفظ غرناطة بكثير من الآثار العربية التي انقلبت الى مساكن وكنائس اسبانية، كما ان بين شوارعها ما يحمل اسماء عربية صرفة، فهناك «العقبة» La Cuesta Del Alhacaba، وهي شارع يصعد الى تل البايسين، وهناك حدائق الكرمن Los Carmenes. وقد عجبت، باديء الامر، من ان يكون في غرناطة هذا العدد من الاديرة لأن كلمة Carmen تطلق عادة على دير الكرمليين، ثم علمت ان هذه «الكرمن» ليست الا بقايا الكروم التي كانت تغطي سفوح تل البايسين وغيرها، ثم طغى عليها البناء وبقيت آثار الشجر والزهر، احتفظت باسمها الاصلي محرفاً بعض الشيء. او ليس الامر كذلك في بيروت حيث «كرم الزيتون».. وفي حلب حيث «كرم الجبل»؟

وهذه الآثار العربية – على كثرتها – ليست الا كشمس آذار قبل الربيع. اما الربيع فهو «الحمراء»، القائمة على تلها المطل على واحة غرناطة، كأنها الحارس الغيور او الشراع المنفرد على سفينة التاريخ.

★

بيني وبين الحمراء موعد منذ الازل، كموعد الروح مع مدينة الله، يتشوق اليها المتعبد ويريق على طريقها المتصوف وجوده، وقد لايعودان، احدهما والآخر، الا بآل خادع او ببرق خلب غير راعد. اما من تتفتح له الابواب.. وقد انفتح امامي الباب هذا الصباح.

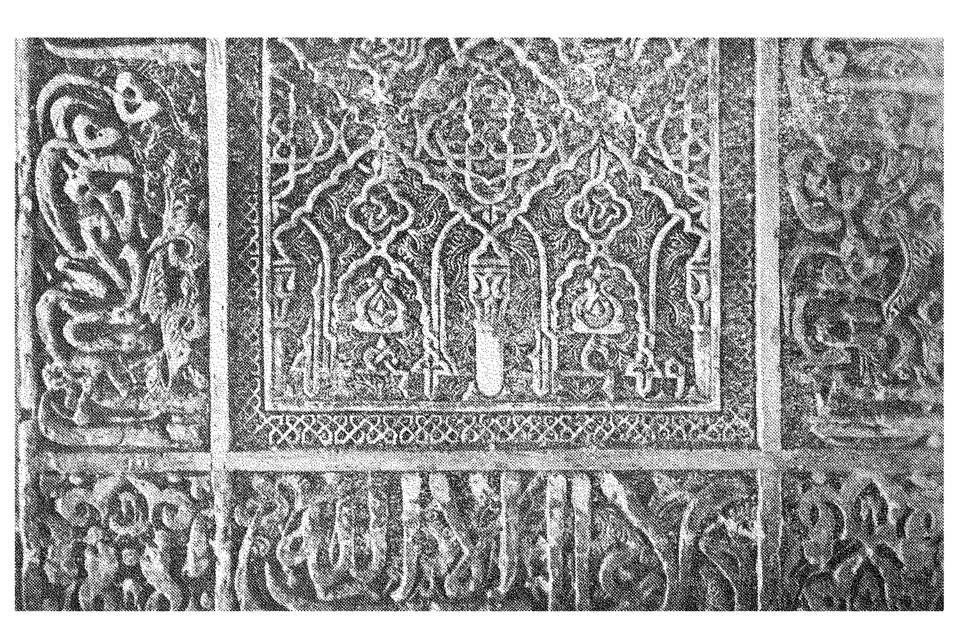
ولقد صعدنا اليها – ورفيق السفر – في صباح نسوي الطراوة، متهيبين نكاد ان نكون جزعين، من ان يكون الواقع اقل مما تصوره الخيال. ودرجنا الى تل الحمراء في طريق ضيق لا يميزه عن غيره من الازقة شيء، ثم عبرنا قوساً من بناء محدث ودخلنا نطاق الحديقة المحيطة بالقصر من كل جانب، وما كدنا حتى هبط علينا سحر محيط جذبنا فوقفنا وكلنا آذان وعيون، وشوق وتطلع.

وطغى على حواسنا، مثل موج البحر او فيض الرؤيا، خرير المياه يغمرنا من كل صوب، من جوانبنا حيث تنحدر ساقيتان تزبدان مسرعتين نحو الوادي والمدينة، ومن فوقنا إذ تحيك الشلالات نسيجاً عنكبوتياً من البلور. فقد دخلنا مملكة المياه يملأ وجودها الجو ويفيض على النفس فيغسلها مما قد تكون المدينة قد خلفته فيها من ضوضاء وحركة وادران، واحسسنا كأننا قد احتسينا خمرة الهيبة صعدت الى رؤوسنا، ففترت اعضاؤنا وتخدرت مشاعرنا الا عن هذا العالم المغلق المسور علينا.

ثم صعدنا في الطريق المؤدية الى القصر بين منحدرين تتزاحم عليهما الاشجار السامقة التي لم يكسها الربيع بعد بخضرته، القائمة كجن الغابات على بساط من اللبلاب والبنفسج والزهور الصفر والبيض.

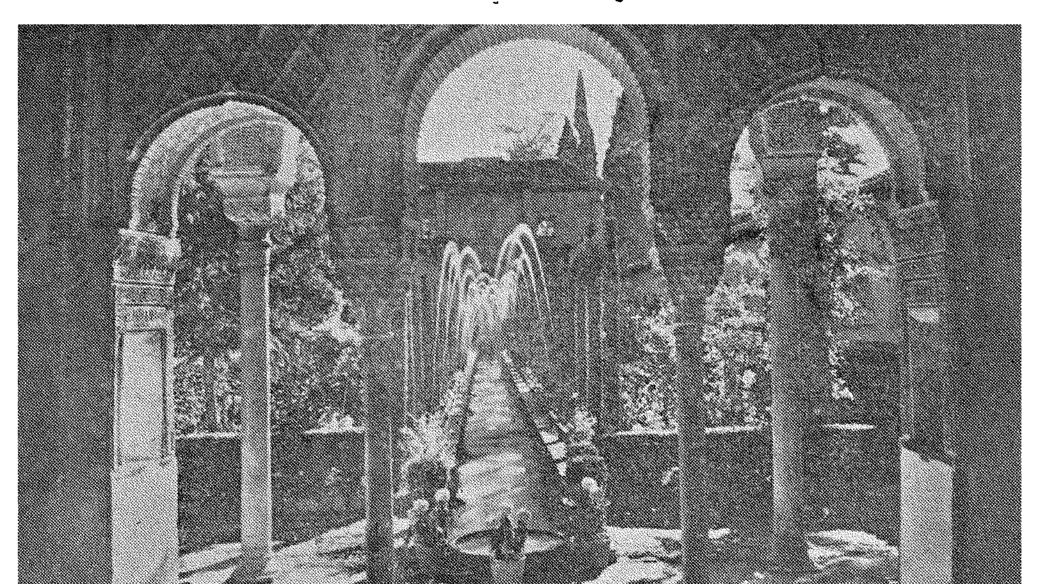
وكانت الشمس مريضة هذا النهار، فأضفت على الطبيعة غلالة من النور الباهت لم يزد إلا جمالاً هذا الغاب الذي ضم كآبة الشتاء وعنفوان الربيع. وكنا في كل خطوة نتوقف وننثني لننظر خلفنا ونمتع اعيننا بسرادق الشجر وبساط الزهر، ثم نجلس على احد المقاعد ونستسلم لموسيقى المياه الغالبة على كل ما عداها فنشعر بالسلام ينزل على قلوبنا، وبطمأنينة عظمى تنتقل بنا الى عوالم خفية لا زمنية من الهناءة الصرف..

ولما وصلنا الى المنعطف المؤدي الى باب القصر، لم نجد في انفسنا العزم الكافي



«ولا غالب إلا الله» – شعار بني الأحمر بناة الحمراء

غرناطة مملكة المياه



للدخول وغلبنا التهيب، وشعرنا بأننا قد نلنا من الشجر والماء والنور زاد الروح لهذا اليوم، فقفلنا راجعين الى الفندق، مرجئين زيارة الحمراء الى اليوم التالي.

وقضينا بقية اليوم ونحن نستعيد جمال الطريق وأشجارها الحانية، ونسترجع خرير المياه ونعلل النفس بلذة زيارة الحمراء، كالصائم يتلمظ لخيال العشاء او كالعاشق الولهان يؤخر ساعة اللقاء لا عن خوف او عزوف، بل تفنناً في مضاعفة لذة اللقاء.

★

... ودخلنا الحمراء من «باب العدل»، وهو برج مربع ضخم سامق، لوحته الشمس بلون احمر داكن، تضم جوانبه باباً مقوساً على شكل الحافر يعلوه مفتاح حفر فوق الباب، ويتلوه باب آخر على مسافة قصيرة داخل البرج، تعلوه يد مبسوطة الأصابع، اجتزناه الى ساحة واسعة تعرف بـ «ساحة الأجباب» Plaza de los Algibes، تطل على أروع ما يتمناه النظر: واحة غرناطة تتمطى المدينة البيضاء في احضانها وجبال الثلج كسوار من لجين.

ويلج الزائر قصر الحمراء عن طريق ردهة في قصر ضخم من الحجر، سقيم المنظر، تفوح منه ريح الملل والكآبة، وهو من بناء الملك شارل الخامس الذي هدم قسماً غير يسير من الحمراء ليشيد هذا العنوان للذوق المريض والهمجية الفنية وجنون العظمة. وقد قال لنا الدليل – وكأنه يعتذر –: ان شارل الخامس كان المانياً لا يمت لاسبانيا بسبب!! وهو نفس ما قيل لنا في اشبيلية ونحن نزور القصر العربي وننظر الى الطابق العربي الذي اضافه شارل الالماني، فجاء صورة حية لما يتخيله المرء من فنادق الدرجة الثانية في اية بليدة ضائعة في الريف!!

اما قصر الحمراء في ذاته، فان منظره الخارجي لا يوحي بشيء عن جماله الداخلي، فقد شيد بالآجر الذي تآكل وتهلهل على مر الزمن، وسقف بالقرميد الذي اسود على تتالي الامطار والشموس، ولقد يمر المرء بالقصر فلا يلقي عليه اكثر من نظرة واحدة، دون ان يخطر له ان هذا الثوب الخليق يضم اجمل جسم وأروعه، فان جدران القصر من الداخل وسقوفه تأخذ بالالباب لدقة صنعها وجمال تزاويقها التي لا يمل النظر منها، ويضيع الفكر في تعاريجها وتلافيفها.

وان القلم ليتوقف – جاهداً – ويتحاشى آيات المديح، ولكن العين قل ان ترى شيئاً في جمال قاعة السفراء او في روعة باحة الريحان على بساطتها المتناهية او في لطف صالة الاختين – اما السقوف المصنوعة من خشب الارز المطعم بالعظم الابيض والمزين بالالوان التي لم تحل منذ قرون، فهي اقرب الى صياغة الذهب منها الى صناعة الخشب.

★

... الحمراء سنفونية لازمتها خرير المياه، البسيط ظاهراً، الرتيب لغير المتمعن. ولكن الأذن إذ تنصت اليه، تتبين في ثناياه من المقامات ما يرضي السامع المتعنت ذا الذوق الرهيف وتكتشف فيه من النبرات المختلفة ما يتزاوج ويتسق فيأتي بالنغم المعجب الحبيب.

وكذلك بنيان القصر، أبعد ما يكون عن الضخامة والجبروت، فهو ضيق إذا قيس بالأذرع والامتار، وان الزائر قد يدهشه – إذ هو قد أمل اكثر – ان لا تكون باحة الريحان اوسع مما ترى العين، وساحة الاسود اعظم قدراً وجلالاً وقاعة السفراء اضخم واكثر فسحة، الا ان الابهاء والردهات والقاعات قد شيدت في نظام فريد، بحيث ينفتح بعضها على بعض وتلتف جميعها حول الساحات فيخيل للزائر انه يقطع مسافات واسعة في حين انه يدور في فلك صغير. وكذلك الاقواس نصبت – بعضها تلو الآخر – بحيث يكون كل منها أوطأ من سابقه فترى العين، في حيز ضيق، ستة اقواس او سبعة، يعلق النظر بكل منها على التوالي، وإذ يصل الى آخر قوس يتوهم انه قد

اجتاز عشرات الامتار ، وان امامه صالة شاسعة ، ويمتلىء حسه بشعور السعة في مجال قصير .

وقد يبدو ان الباحات والابهاء والاعمدة والاقواس تتكرر في نمط رتيب — ولكن تلك الرتابة ليست إلا ظاهرية ، إذ ان كل باحة وبهو ، وكل عمود وقوس ، هو في الواقع نبرة وضعت في مكانها عن عمدٍ لتسهم في النغم النهائي . وكذلك التزاويق التي تردد الشكل الهندسي ذاته مئات المرات ، او بيت الشعر عينه والآية القرآنية نفسها في غير نهاية . قد تتعب النظر السطحي او نظر الزائر الغربي الذي يتوقع لكل شيء مهمة معينة ونفعاً . اما الذي يقبل على الحمراء بروح غير نفعية ، تحب الفن للجمال ، فيجد فيها ذات المتعة التي يمنحه اياها سماع بَشرف او تقسيم جميل .

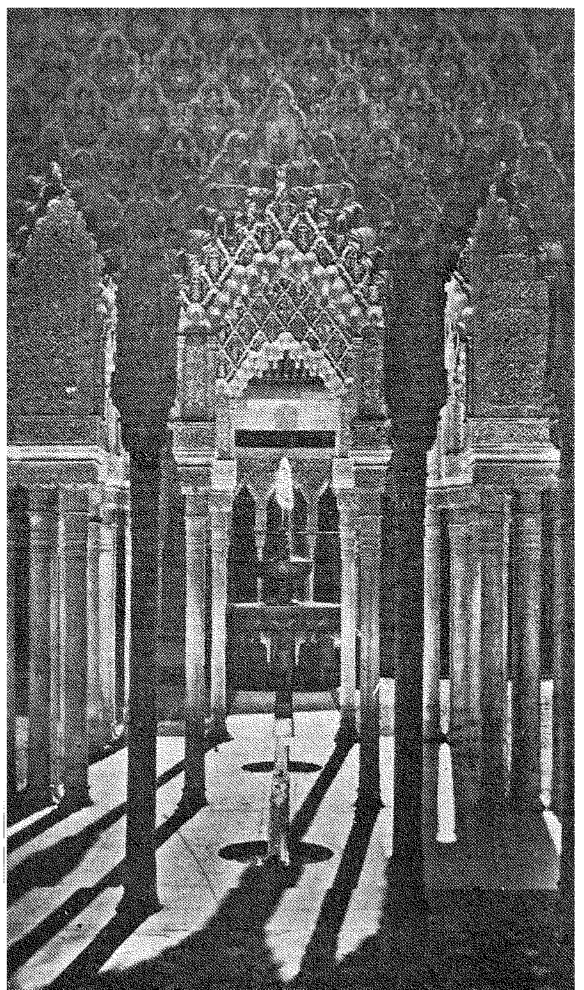
وكما يتكسر النور في زوايا غير مرتقبة على سطح المـــاء الجاري ، كذلك ابنية الحمراء شيدت على غير نظام ظاهر للعين العابرة ، سوى ذلك النظام الأوحد الذي يقتضيه الجمال ويمليه

★

... والحمراء معجزة خارجة عن الزمان . فهنا وقف الوقت فلم يتحرك منـذ قرون وعلى هذا التل اقامت الانسانية نصباً بديعاً على طريق الجمال الاسمى . وإذا كانت عبقرية الاغريق قد خلفت لنا البارتينون على تلال اثينة ، فلقد خلفت لنا الروح العربية «القلعة الحمراء» ، نسيج يد الانسان الذي بناها لبنة لبنة وزوق جدرانها سنتيمتراً سنتيمتراً ، وانى اليها بالماء من اعالي الجبال فأحيا قحلها والبسها ثوباً من الهندسة الفريدة ، والشجر والزهر والسواقي الجارية .

ولقد تجسد الفن العربي في الحمراء باروع صفاته فجاء على طرف النقيض ممـا يراه الفن الغربي نموذجاً للجمال المثالي . فبين الحمراء وبين كاتدرائية بوفيه Beauvais من الفرق نفس ما بين سنفونية بتهوفن التاسعة وبين تقسيم على العود او لحن يتيم عـلى الناي ، وما بين لوحات روبنز Rubens الضخمة العارمة وبين تزاويق الفرس او الترك على اصبعين او اقل من الورق او الرق .

فان الناظر ليلمس هنا لمس اليد اختلاف الروحين ، روح الغرب وروح الشرق ، وتباين فنيهما .



وكذلك الاقواس نصبت بعضها تلو الآخر ...
(ساحة الاسود)

والفن — في غايته — مغـامرة الانسان للانطـلاق من حمـــأة انسانيته ونزوع الى مشاركة الالهـة صفاتها الخلاّقة ، وهو — في جوهره — ابداع وكشف ، ومنافسة للآلهة على سلطانها ، وسبيل الانسان الى مقامات الروحانية .

وقد اختار الغرب ان يكون فنه صورة عن النضال بين الانسان والقوى المهيمنة عليه ، فانفتح على العالم الاوسع الاكبر يحاول ان يغزوه ويخضعه لسلطانـــه ويطاول الآلهة وينازعها جبروتهـا ، وبروميبوس — سارق النار من السماء — يمثل هذا الاتجاه خير تمثيل ، وهو نتاج الخيال الاغريقي الذي تعيش المدنية الغربية على تراثه وصورة للانسان الغربي في تطلعه الى دنيا الروح . ولذا كان الفن الغربي فن القوة المنطلقة تتجلى في الكاتدرائيات والسنفونيات واللوحات والملاحم ، واذا وجد بين الفنانين من يخرج عن هذه القاعدة فأصوله الشرقيـة — أو بالاصـح اصوله البعيدة عن الغرب — تتضح للفاحص المتمعن . فموسيقى دبوسي Debussy ورافيل Ravel ، مثلا مشبعة بالروح الاسبانية العربية ، والشعر الصوفي في اوربا كلها سليل محيي الدين بن عربي وابن الفارض واترابها ، وفي التكعيبية كما فهمها بيكاسو Picasso وخوان غريس Juan Gris اثر واضح للتزاويق العربية Arabesques ، وكذلك الشعر والموسيقى الاسبانية بكاملها .

اما الشرق فلم يشأ ان يحاول التساوي والآلهة ، واختار

— البقية على الصفحة ٧٩ —

الديوان الاخير

متى تنتهي ؟
لقد تعبَتْ شفة ترجفُ
تقصُّ حديث الهوى.. تهرِف
تـُصوِّر اوهام حلم شهيْ
تغنِّي .. تعربد .. تستنزفُ
تموتُ على نغم ابلهِ !
وما برحتْ ترتمي الاحرفُ
على مثل لونٍ بهيْ
جمالاتـُه .. ذكرياتٌ تهيْ !

★

متى تنتهي ؟ ويموتُ الزمنْ
وتجمد في الأنملِ
وفي الوترِ المفرَدِ
بقايا نغمْ
وخصبُ شجنْ
وتذوي على كل فمْ
على منقر البلبلِ
أغاريدُ لم تنشدِ
اغاريدُ.. طابَ الغرامْ
على مدِّ آهاتها
وكم هتفت : هاتِها ..
عرايا الظلامْ
وجنيّةٌ لا تنامْ

★

ليالي الهوى .. انا صورتها
خُرافتُه .. انا مثلتها
وكنتُ الضحيهْ
مآسيه ؛ منها خططْتُ البقيه ..
غداً .. ويعود الغريبْ
وتـَشرق بالحلم اهدابه
وتنأى ديار الحبيبُ
ويبقى من الورد أطيابهُ
غداً. ويطلِ الغدُ..
فملءَ الشفاه اختناق الوداعْ
وتشير يدُ
بمنديلها ويابيح ذراعْ
الى الملتقى .. نغمٌ ضائعُ
شرودٌ وراء صدى المستحيلْ
يعلله الأمل الخادعُ
وماذا يعلل بعد الرحيلْ...
غداً .. وأطير الى المشرقِ
اقصُّ لديه جناح غدي
سأمضي .. ولن نلتقي
على ذلك المبُكر الموعِدِ
نشق اليه الضبابْ
وبعضَ رذاذْ
ويمناكِ تحوي الكتابْ
ويمنايَ اشهى مَلاذْ..
سأمضي .. ولن تنظري
هناكَ .. لدى المنحنى
خيالاً .. يمدُّ خيوط السنى
لـكي تسفرُي ..
ويسألني عنكِ .. هذا الفؤادْ
فتخبره وحشة المرقدِ
وتخبره الذِّكَر اللاهبهْ
ويخبره النغم المختنقْ
وتخبره العودة الخائبهْ
وتخبره شمعةٌ تحترقْ
ويخبره الحلم المستعادْ
بأنّ عروسَ الخيالْ
تناءت.. وحالت رؤانا حدادْ
فيا مأتماً للجمالْ
ويا لهفة المجتدي ..
فلا الشعر في النسمة الواجفهْ
تسرِّحه موجةٌ من فتنْ
تمرُّ عليه يدي الراجفهْ ..
وأنشقَ منه عبيرَ الوطنْ

★

هناكَ بعيداً وراء الظنونْ
على الشاطىء الابيض الحالمِ
الى صخرةٍ كم حملتُ الشجونْ
الى قلبها الصامت الواجمِ
هنالك شاعركِ الملهمُ
بأشواق نظرته الشاردهْ
تلملِمُ أحلامه الانجمُ
لتنثرَها ادمعاً جامده..
و « اوندين » عذراؤه الخالده
وشقراءُ شاطئه الابيضِ
ومن بُردى كالرؤى الشاهده
تهفُّ على جفنه المغمضِ
وزورقه الهائم السائحُ
على موجةٍ من هوى ورؤى
شراعٌ بلـُجِّ المنى سابحُ
وهيهات أن يبلغ الشاطئا

★

وما زال في سبَحات الحلُمْ
يواكب آماله الغاربهْ
تعلـَّق في شفتيه النغمْ
فيا صاحباً لم يخن صاحبهْ
.. ويحلم .. اين مناه الحبيبهْ
وأين الحنان .. واين الجمالُ
ولا شيءَ غير ظنونٍ مريبه
ومأساة حب اراد الكمالْ

بونس ايرس **احمد سليمان الاحمد**

ابو القاسم الشابي

شاعر الآلام ...

بقلم سعاد ابو شقرا

تلك ساعات هنيئة كنت أمني النفس بها منذ زمن بعيد ، ساعات كلها صفاء وخيال مجنح ، ينقلك الى الجو الموسيقي الرائع والالحان الشجية التي يعزفها ناي نسج الألم اوتاره فارسل الانغام ترجمات للآهات ، وبعث الالحان صوراً للمآسي واصداء للأنين .

اجل هي ساعات هنيئة بحق ، فياضة بشتى الخلجات وبمختلف الصور الكئيبة ، تلك التي عشتها مع شاعر الالم والاحزان ، شاعر تونس الخضراء ومجدد حياة الادب فيها ، ابي القاسم الشابي .

اذكر ابا القاسم الشابي ، فاذكر معه اللحن الحزين الذي لم يتم !! وترتسم في خيالي لدى التفكير به لوحات رائعة الجمال للطبيعة الفتانة ، تحنو على الشاعر العاني ، وتنظر اليه بعين تفيض امومة وحدبا ! واذ اذكر ابا القاسم الشابي ، تملأ اذني انغام القيثار وآهات الاعواد ، وترانيم الطير وتغاريد الرعاة ، وهمسات النجوم واهازيج الانهار ، وكلها تسبّح الطبيعة وتحيي الغاب ممجدة في الحياة آلامها ، مكبرة في الشاعر وجومه ، مقدسة فيه احزانه وجراحه .

ابو القاسم الشابي شاعر عرفت مقطوعاته الحزينة سبيلها الى نفسي منذ زمن بعيد ، يوم كنت تلميذة تلتهم عيناها صفحات المجلات ، وتستوقفها انى قرأت العبارات المبكية والألحان الحزينة ، فتستظهرها وتطمئن لها ، وترددها حتى تعيش في الجو الذي ترسمه تلك الابيات . ولا ادري لمَ كانت للموسيقى الحزينة هذه المكانة في قلبي ، ولم كان للابيات الناطقة بالألم الراسي في قرارة النفس هذا التأثير فيّ .

ومرت الايام ، فلم نعد نلمح لأبي القاسم الشابي ، شهيد النشاط والاخلاص للأدب ، مقطوعة في مجلة ! ولم نعد نقرأ كلمة فيه للذكرى . ذاك لان الشاعر الخالد الذي واكبه تنكر الزمان له في حياته القصيرة ، ما زال حتى اليوم ، يعاني الكثير من آلام هذا التنكر ، ويتألم لهذا الجحود تقابل به اعماله الخالدة .

ها قد مرت على وفاة الشابي تسع عشرة سنة ، ولم ينشر بعد على الشباب العربي اثر من آثار هذا الشاعر الفذ ، فمخلفاته ما تزال مطوية تتعرض في كل يوم لنسيان جديد ، وكلومه ما تزال تنزف دماً ، ولم يحاول بعد واحد منا ان يعرف مواطن هذا الألم ، ليخفف عن القلب الكبير بعض ما يعذبه ويلهب آلامه . ان روح الشاعر في عليائها ما تزال تتأوه وانها في الجو الشعري السماوي الذي تسبح فيه ، ما تزال تتألم ، ولعلها تردد ساعة تنظر الى الارض الجميلة التي احبها الشاعر بكل ما اوتي من قوى : « ما اعقك ايها الانسان ! »

ولد الشابي في تونس وفي ناحية جميلة من ارحب نواحيها واجملها ، تلك هي بلاد الجريد . ونشأ الشاعر وترعرع ، ونفسه الرقيقة يتملكها حبان عنيفان : هما حبه لتونس الخضراء الجميلة وحبه للعلم والمعرفة . وعاش سنوانه القليلة المترعة بالاحزان ، موزع القلب بين حب تونس وحب العلم والتحصيل ، فانكب على الاطلاع يغرف منه بنهم ، غير مكترث باعصاب تتعرض للارهاق ، وبفؤاد تثخن جراحه الصدمات العنيفة . وعرف ان حبه لتونس ان لم يكن مبنياً على العلم والمعرفة ، وهادفاً الى رفع مستوى شعبها ، هو حب غير مجدٍ ، ولذا فقد كان شعاره في حبه لبلاده الجهاد المتواصل ، لكن الشعب التونسي مكبل باغلال الاستعمار وباغلال غيرها هي اشد خطورة وآلم لنفس الشاعر المفكر ، لانها اغلال معنوية بعيدة الاثر في حياة الامم ، الا وهي اغلال الجهل والفقر والتقاليد البالية والمعتقدات الرجعية .

وأقدم الشاعر متجنداً للجهاد ، وسلاحه فكر نيّر ونفس منفتحة وشاعرية خلاقة مبدعة ، وثقافة عالية ترسبت فيها ثقافات عديدة .

لم يكن الشابي يتقن لغة اجنبية ، لكنه كان يقرأ كل ما يترجم عن ادب الغرب ويتأثر به الى ابعد حد ، ولم يكن الشابي يعرف الرحمة بنفسه ، ولذا فقد كان يرهقها بالسهر والعمل المستمر ، سعياً وراء المعرفة وتغذية لنفس ثائرة القابلية الى المزيد من الغذاء الروحي .

ولشد ما كان الشابي يتحسر ويتألم حين كان يرى الشعب التونسي مفكك الاوصال يتنكر للجديد في الأدب ، ويثور ثورة تقليدية رجعية الأسس في وجه كل جهاد يذكيه الشباب

الخلاق في عزائه وطموحه .

ويتطلع بعد ذلك ليرى المجاهدين من اخوانه يصار بهم الى الموت او الى ظلمات السجون ، كلما قام منهم مطالب بحق او ثائر في وجه ظلم ! فيبكي شاعرنا ذو القلب النابض والنفس الكريمة ؛ لا بكاء تقليدياً عرفه شعراء العرب منذ القدم ، ساعة كانوا يقفون على الاطلال ، بل بكاء الكرام الذين جدت في طلبهم المحن ! وهو اذ يخاطب تونس الجميلة يقول :

لست ابكي لعسف ليل طويل   او لربع غدا العفاء مراحه
انما عبرتي لخطب ثقيل   قد عرانا ولم نجد من ازاحه
كلما قام في البلاد خطيب   موقظ شعبه يريد صلاحه
اخمدوا صوته الالهي بالعسف
اماتوا صداحه ونواحه
البسوا روحه قميص اضطهاد
فاتك شائك يرد جماحه

وشديد على النفس العزيزة ان تتحمل الضيم والا يكون لديها من وسائل المقاومة ما تملك به الدفاع عن نفسها .

كان الشاعر ما يزال غض الاهاب عندما كان يرسل نفثاته الملتهبة ناطقة بالشكوى زاخرة بالحسرات ، علّه يحرك في النفوس تيار الثورة ليعود فيقول :

انا يا تونس الجميلة في لجّ الهوى
قد سبحت اي سباحة
شرعتي حبك العميق واني
قد تذوقت مرّه وقراحه
لا ابالي وان اريقت دمائي   فدماء العشاق دوماً مباحة

لقد احب الشاعر بلاده حباً اراد به لو يستطيع ان يجعلها تحيا ابية ، واحبها ليمزق بحبه ستائر الاوهام التي كانت تحجب عنها انوار الحقيقة ، واراد لها حياة سعيدة عزيزة فاصطدم بالعقبات . وكان في جهاده المستمر يتعرض للصدمات العنيفة فيستسلم للقنوط والخيبة ، وتتراءى له عرائس الشعر متشحة بالسواد ، فتغمر نفسه الفنية موجة من الحزن العميق ويسترسل قائلًا : ليت شعري
اي طير

يسمع الاحزان تبكي   بين احشاء الكئيب
ثم لا يتلو على الفجر   اغاريد النحيب
بخشوع واكتئاب

كانت حياة الشابي على قصرها ، منتجة مثمرة فياضة بالآلام زاخرة بالحيوية ! ونحن اذ نحاول ان ندرس شاعراً حالت المنون الغاشمة بيننا وبينه ، كما حال بعد الديار ونأيها بيننا وبين الوقوف على آثار ادباء المغرب العربي المجاهد ، نود لو كان لدينا من آثار الشاعر الادبية ما يشبع رغبتنا في معرفته في مختلف الوان انتاجه ، فنسبر غور تلك النفس التي كفنتها الآلام وصهرها العذاب المبرح والارق المميت ...

ابو القاسم الشابي

ان كل ما لدينا من مراجع هو الكتاب القيم الذي اصدره مؤخراً الاستاذ الاديب ابو القاسم محمد كرو ، وفيه لمحة عن حياة الشاعر ومجموعة من قصائده قسمها المؤلف الى قسمين فضمن القسم الاول منهما ، الاشعار التي نظمها الشاعر قبل العشرين من عمره ، وفيها ما فيها من التحرق والزفرات ، ومن موجات اليأس ونفحات القنوط ، ولا غرو فالشاعر شاب في مقتبل العمر ، تأثر بالمدرسة الرومانطيقية تأثراً بعيداً ، فألفت بينه وبين لامرتين وشائج شتى اهمها الارزاء المتشابهة ، والاطمئنان الى الوحدة وموت الحبيب وحب الوطن والثقة بالطبيعة ! كما تضمن القسم الثاني من الكتاب ، الاشعار التي نظمها الشاعر بعد العشرين من عمره ، وهي بعض نتاج الشاعر الادبي للسنوات الخمس الاخيرة من حياته القصيرة .

ان شعر الشابي بمجموعة شعر غني بالموسيقى رائع بصوره ومعانيه . تقرأه فتسبح مع الشاعر في اجواء كلها آهات اعواد محطمة وهديل حمام باك وانين قلب عصره الاسى ومزق ثناياه الالم الشديد . فهو يملأ اذنيك بالشكوى ويريك الحياة في صور قاتمة ملتاعة تقضي على آمالك وتدمي مشاعرك وفؤادك ، لكنك تحس انه صادق فيما يقول فتطرب لموسيقى نواحه ، وتشعر انه

متألم حقاً فترثي لنفس معذبة احرقتها شدة الآلام . وتصيخ اليه بكل جوارحك وهو يقول بصوت ابح .

صاح ان الحياة انشودة الحزن فرتل على الحياة نحيبي
ان كأس الحياة مترعة بالدمع فاسكب على الحياة صبيبي
ان وادي الظلام يطفح بالهول ، فما ابعد ابتسام القلوب
لا يغرنك ابتسام بني الارض فخلف الشعاع لذع اللهيب
انت تدري ان الحياة قطوب وخطوب ، فما حياة القطوب؟
ان في غيبة الدهور تباعاً ، لخطيباً يمر اثر خطيب

ورغم انني لا اقر الشاعر في نظرته الى الحيـاة ، ولا اومن بفلسفته هذه ، لانني أمقت الضعف واليأس ، واعتقد مخلصة ان بذور الرومانطيقية الباكية قد افسدت نفوس الناشئة، وسيّرتها في طريق الانحلال الفكري حين طبعت الادب بهذا اللون القاتم وحولته الى نشيج ودموع وآهات ولوعات ، رغم هـذا كله أراني آنس لشكوى الشابي ، واطـرب لسماع شعره نظراً لما فيه من تحليل لتلك النفس المضطرمة التي تغنت بجمال القبور وزهدت في حياة الناس لانها ملوثة تفوح منها روائح الآثام .

ان الشابي كما قلنا قد تأثر كل التأثر بالمدرسة الرومانطيقية . والحقبة التي عاش فيها الشاعر هي الحقبة التي كان الادب العربي فيهـا يحاول ان ينفلت من قيود التزامية عرفها في العهد العثماني لينطلق في آفاق جديدة حرة ، ويشق له بين الآداب المعاصرة طريقاً سوياً .

أعجب الشاعر بادب المهجر ، ونهل منه كل ما وصل اليـه من ادب جـبران ونعيمة وابي ماضي والقروي . وتأثرُ الشاعر بالادب المهجري بادٍ في اسلوبه في النظم والنثر وفي طريقــة تعبيره ! لقد تأثر نثر الشاعر باسلوب جبران وبعض نظراته الى الحياة . وجمعت بينه وبين القروي النقمة على المستعمر، ولكنه بقي بمنأى عن التأثر بنظرة ابي ماضي الى الحياة . ففي حين كان ابو ماضي يدعو الى التفاؤل والضحك، ويقول لصاحبه المتشائم :

اضحك فان الشهب تضحك والدجى متلاطم ولذا نحب الانجما

كان الشابي يقول :

كن كما كانت السماء كئيبا	اي شيء يسر نفس الاديب
انفوس تموت شاخصة بالهول	في ظلمة القنـوط العصيب
ام قلوب محطمات على ساحل لج	الأسى بمـوج الخطـوب
انما الناس في الحياة طيور	قد رماها القضا بواد رهيب
يعصف الهول في جوانبه السود	فيقضي على صدى العندليب

حياة الشابي كما ذكرنا حيــاة خصبة منتجة ، تفتحت عن شاعرية مبدعــة ألفت جوقاتها عرائس الشعر وربات الحسن والفصاحة ! ولو ان القــدر كان رحيماً ، فلم يتصدّ للشباب الغضّ ، ولم يسكت القيثارة الشجية ، لكان اللحن الذي بدأه الشابي قــد تم ، ولكان الادب العربي الحديث قـد خصص للشابي صفحات كبيرة في سجل الخالدين ، ولكان الشابي الشاب الذي بكى كثيراً وناح بقلب هالته الآلام قد رجع عن نظرته الواجفة الى الحياة ، بعد ان وعى التيارات الفكرية الخطـيرة فقاد بعزم صفوف المناضلين في سبيل الادب ، وشهد بعينـــه بلاده الحبيبة الى قلبه تهب للجهاد ، وتنتظم صفوف ابنائها عاملة بما دعا اليه شاعرها الخالد ابو القاسم .

هذه الحياة القليلة سنواتها ، حافلة بالانتاج الادبي فصولها ، والشابي في كل مراحلها شخصية نيرة يتفجر الشعر عذباً سلسبيلاً من حناياها وتلافيفها . فهو في مستهل حياته طالب في الكتاتيب في بلدته الشابية يحرص ابوه على تحفيظه القرآن الكريم . ويتم الشاعر حفظ القرآن في التاسعة من عمره لينصرف بعد ذلك الى درس اللغة العربية بآدابها وفلسفتها منكباً على المطالعة والتحصيل ونظم الشعر . وتتفتح براعم عبقريته وهو ما يزال يافعاً يطلب العلم في احدى كليات العاصمة ويؤلف مع رفاقه الجمعيات الأدبية والمنظمات التي تهدف الى اصــلاح مناهج التعليم والادارة في الكلية .

ولئن تتبعنا المراحل التي مرت بها عبقرية الشاعر متــأثرة بالاحداث التي طبعت نفسه باللون الحزين الذي تمــيز به وهو ما يزال في شرخ الصبا وفجر الشباب لوجدناها اربعاً كان لكل منها تأثيرها الخاص في انتاجه واذكاء نيران الاحزان في قلبـه المعذب الذي عصره الأسى الطويل فسال ادمعاً وابياتاً شجية .

فاما المرحلتان الاوليان فهما اللتان شهدتا الشاعر تلميــذاً جاداً منكباً على التحصيل تتفتح براعم الحيــاة في نفسه الحرة ويجيش قلبه المرهف الشعور بفيض من الأحاسيس المختلفة كان يضرم سعيرها شباب متيقظ ونفس تواقة الى مرأى الجمـــال والانعتاق في اجواء الحرية . ثم نراه بعد ذلك خريجاً لامعـــاً لاحدى كليات العاصمة التونسية يقبل على الحياة بنهم ، ويرتل صلوات الحب في هيكل حوائه الخالدة ، متعرضاً تارة للأزمات النفسية الناشئة عن ظروف مادية ، وطوراً لهزات مريرة من

(البقية على الصفحة ٦٤)

الدرب

« الليل ؛ يقسم ، لا يحولُ . والدرب ؛ ألاّ ينتهي .
« وتقسم الانسانية ؛ ان تشق الليل ، وتخط الصبح ، وان تصل .
« نضال ابدي ؛ منذ وعى الانسان ، عوامل الاستبداد ، والظلم الاسود .
« والشعار واحد :
في سبيل الحرية ، والخبز – نحو غد أفضل .
« والضحايا ، منذ مدينة افلاطون الطوباوية ، حتى الماركسية الحية ؛ تسّاقط على الدرب ،
والشعوب تسير ، ابداً تسير ، في درب صاعد ، تشق الجحيم .
« والحي ، من الاحرار ، والشهيد ؛ على سؤال واحد ، كله عطش وشوق :
« كم خطونا ؟
« ورجْعُ الجواب ، عبر التاريخ ، واحد ؛ كله إيمان ، كله تطلع :
« إننا نسير – غداً نصل . »
« آمنت بالانسان ؛ آمنت بالصبح . »
« ونحن الطريق ؛ ونحن الغد . »

وصفي

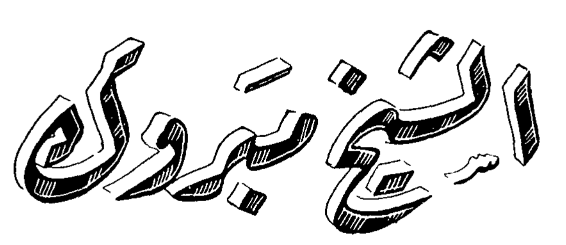
نداءٌ ، ومنطلَقٌ لا يعي ؛ وشوق سرى ، مغلقاً ، وانعقدْ
ودربٌ ، طويل ، بلا آخِر ؛ يصعّد ، في التيه ، خلف الأبد
تلمّظت النارُ ، فاجتاحَها ، وهوّمَ ، في شِدقها ، يبترد
إذا طأطأتْ كبرياءُ اللهيبِ ، أراقَ الدماء ، وقال : اتّقد .
وسار ؛ يعضُّ على جرحه ؛ ويمضغ ، في ناجذيه ، الكبِد
على شفتيْه ، ظلامُ القبور ، وفي مقلتيه ، ظلامٌ أشد
وخلفَهُما ، قبسٌ مؤمِن ، تلامَح ، صبحاً ، وغاراً ، ونَد
يريدُ . أيعرفُ ماذا يريد ، تراهُ ؟ وهل كان ، لو لم يُرِد !
تعلَّقَ بالغيْبِ ، يفتضُّه ؛ فظلٌّ تشَظّى ، وظلٌّ شرَد
عِتَلٌّ ؛ كأن عويل الجحيم ، بأذنيْه ، حادٍ ، وصَنجٌ غَرِد
دماءٌ تفِحُّ ، وعزْمٌ يُلِحُّ ؛ يصُكُّ ضلالاتهِ ، بالرَّشد
سخيُّ الجراح ، يخطُّ الوجود ؛ إذا جف جرح ، سرى فاستجَد
تعالى ؛ وصوّب ؛ لا يستجيب ، الى راحةٍ ، أو ينالَ الأبَد
لهاثٌ ، تفصَّد عِرقُ الطريق ، انهياراً عليْه ، وبُحَّ الجَلَد
يعُدُّ ، واشلاؤه – في اللظى – تعُدُّ الخطى ؛ سُمِّرَت في العَدد
تمرَّغَ ، مستغرِقاً في المصير ، يمدُّ الرُّؤى ، فيه ، أو يستمِد
تسرّب – يستنزف المستحيلَ – دماً ، في المصير ، فكانا (أحَد)
الى أين ؟ – كلا ؛ ولا رِدَّةٌ ؛ إذا الدربُ سار ، فما من مَرَد

* * *

نداءٌ ، يُرِنُّ : وراء الجراح ؛ وراء الطريق ، مع الصبح ؛ غد

حمص

وصفي قرنفلي



الشيخ مبروك

قصة جديدة

بقلم سميرة عزام

أطل عليّ جاري بوجهه العتيق وقال : « أليس عجيباً ان لا نرى الشيخ مبروك لأيام ؟»

قلت وانا لم ارفع يدي عن شعر الزبون الذي اعملت فيه مقصي :

– لقد افتقدته انا الآخر ،

ولا ادري ماذا ألمّ به .. لعله مريض .

– عجيب ، ظننت الشيخ مبروك لا يمرض .

– ولم ؟ أليس ببشر مثلي ومثلك ؟

– بلى ولكن ..

– ولكن ماذا ؟

ولم يجد جاري ما يقوله ، فاستدار وتركني افكر في الشيخ مبروك الذي لم يزرنا مؤخراً وهو الذي لم يعودنا على التخلف قط ، اذ دأب على المرور بنا يومياً منذ عشرة اعوام ولم يعفنا إلا في ايام العطل والاعياد .

كان الشيخ مبروك شخصية فيها الكثير من وجوه الغرابة .. وكان عهدي به منذ عملت صبياً في دكان الحلاق التي آل اليّ امرها فيما بعد كما هي العادة، وكان يلذ لي كثيراً ان اتأمل قامته الفارعة ووجهه القسيم الملتحي وتلك المسبحة الطويلة السوداء ، فتروح عيناي تنتقلان من عمته الحائلة اللون الى جلبابه القديم الذي كان ابداً نظيفاً ، الى خفين ينتعلها ويمشي بها مشيته الخفيفة .

ولم اكن اعلم في بادىء الامر سر زياراته اليومية المنتظمة ، فقد كان لا يجلس ولا يتباطأ ، يدخل فيلقي السلام بصوت خفيض ثم تمتد اليه يد معلمي بقرش واحد يلقيه هذا بجيبه ثم ينصرف عنا الى جارنا ، وبعد الى صف طويل من حوانيت الحلاقين والمنجّدين وباعة الملابس القديمة يجمع منهم القروش . وحرت في ماهية الشيخ مبروك واستثار فضولي : أهو شحاذ ؟ كلا ، ليست له هيئة الشحاذين ولا نفسيتهم ولا تكلفهم لما يستدر العطف ويحرك الحسنة .. ففيه نظافة دائمة وفيه كبرياء تلجم لسانه فلا يفوه بكلمة الشكر إلا بصوت خفيض .

ولم يدعونه (الشيخ)؟. ما اكثر المتمشيخين! ولكنه ايضاً لا يشبههم . عهدي بهؤلاء يجلسون فيتلون من آيات الكتاب الكريم ما تيسر منها . ثم يشربون من القهوة قدحاً او اثنين ويقبضون بعدها ما تيسر ايضاً وهم يدعون للمعطي بان يرتد له قرشه قروشاً و ن يوسع الله له في الرزق لتنبسط كفه بالعطايا .. اجل ليس الشيخ مبروك رغم العمة واللقب واحداً من هؤلاء .. وهو في شكله العمومي اشد ما يكون شبهاً بالمغاربة الذين يتعاطون حرفة فتح البخت واشياء اخرى الى جانبها . إذن لِمَ يواظب الرجل على هذه الزيارات اليومية ولِمَ يمنحه معلمي وجيرانه قروشهم راضين ؟

واستحيت ان اسأل معلمي ، وكان الاولى ان ادرك ان الثرثرة من مستلزمات الصنعة . فلا استحي ولا يقف على لساني السؤال ، ولكنني تشجعت يوماً وسألت فقال معلمي : « والله يا ابني لا ادري ما اقول ، نحن نتبارك بالرجل ، ففي طلعته يمن وبركة ينزلان على المحل . لقد اسميناه مبروكاً فضاع اسمه القديم وقد يكون محمداً او علياً او خميساً ولكن ما علينا . مبروك هو الاسم الذي اصطلحنا على مناداته به . اما الشيخ فهو من متممات الجبة والعمة والمسبحة .

هو لا يطلب قط ولا يثقل علينا ، فاذا اعطيناه اخذ وإذا امسكنا انصرف غير لائم .. ان في وجهه قناعة غريبة ، فكأن الدنيا لديه ليست باكثر من لقمة تقيم الاود وصحن مسجد يأوي اليه إذا جن الليل .

وسألته وقد شاقني امر هذا الانسان : « اما من زوج له وابناء ؟ »

وقهقه معلمي قهقهة اهتزت لها عروق رقبته وقال « زوجة ؟ زوجة للشيخ مبروك ؟ وهو الذي لا تُذكر امامه النساء إلا ويطرق في إعراض . لا يا ابني ، هذا رجل زهد في دنياه ليشتري آخرته . »

وسكت معلمي حين دخل زبون رمى بنفسه على الكرسي الخشن واسلم رأسه للمقص وفتح اذنين كبيرتين لحكايات معلمي .

وظللت اعمل في دكان الحلاق او (صالون السرور والانشراح) كما كان صاحبه يسميه سنين عديدة ، ولا اذكر ان وجه الشيخ مبروك غاب عنا خلالها يوماً واحداً الا في ايام التعطيل .

وكنت اترقب مجيئه بشوق ، يدخل فيحيي ويقبض وينصرف لا يلوي على شيء .. كدأبه منذ دخلت « الكار » صغيراً الى ان صار اليّ امر (صالون السرور والانشراح) بعد ان مات معلمي .

اذن فلبس بالكثير لو افتقدت الشيخ مبروك وعراني قلق خفيف لانقطاعه اسبوعين بكاملها . ولكنه جاء بعدها . جاء وكان الوقت عصراً فحيّا واقترب مني فمددت اليه يدي بالقرش ولكنه ابتسم ابتسامة حائرة قلما رأيتها على وجهه وقال « لا لم اجيء لهذا .. ولا قروش بعد اليوم »

ولم افهم ما يعني اذ لم اسمعه قبلاًيتفوه بهذا القدرمن الكلام دفعة واحدة فقلت « لم نرك لايام .. » فاجاب — كنت مشغولاً » ثم غير نغمة صوته وقال : الا تحلق لي لحيتي ؟

قلت — احلق لحيتك ؟

— اجل لحيتي ، انهم يريدونني حليقاً كالافندية . وضحك ضحكة خلتها تخرج من بطنه .

— من هم ؟ عمن تتكلم ؟

— انها امراة سأتزوجها .

— انت تتزوج يا شيخ مبروك ؟ وهل تفعلها ؟

وعاد يبتسم ابتسامة كشفت عن صفين من الاسنان البيضاء وقال — مكتوب .

ووقفت احدق الى وجهه لم اصدق عيني ولا اذني ، وخلت الرجل يهذي . قال وهو يستحثني :

— انت لا تصدقني يا حسن .. لعلك تظن بي الجنون .

قلت — تماماً ، اتمزح يا شيخ .؟

— لا والله بل سأتزوج .

— بمن ؟

– من واحـدة لا تعرفها ، اما انا فمعرفتي بها قديمة ، كانت فتاة صغيرة ، وكنت احبها ، ولما شئت ان اتزوجها أبى عليّ ابوها ذلك وأعطاها لابن اخيه، وكان رفضه صدمة لم احتملها فهمت على وجهي كالصعاليك . شعرت بانني رجل لا صلة له بالناس او الحيـاة فعشت كما عرفتني .

وسكت مبروك قليلاً وبلل شفتيه بلسانه وقال :

وخلتني نسيتها ومات حبها في قلبي إلى ان رأيتها قبل شهر من الزمن بعـد ان عرفت ان زوجها قد مات وترك لها طفلة ، وشعرت يا حسن بانـني لا زلت احبها ذلك الحب الذي لم يعش سواه في نفسي، فما رفعت قدمي من العتبة قبل ان اعرض عليها الزواج ..

وقبلت بالطبع إذ انها ستجـد في حمايتي ما يعصمها عن التشرد ، ولا بـد لي من عمـل الآن .. سأكون صاحب عيال .

هذه هي الحكاية يا صاحبي .. مالك ألا تقص لي لحيتي ؟ كيف اعمل بها؟

قلت وانا بين مكذب عيني واذني ومصدقها : غريب . ولم أزد بل حملت الموسى وراحت لحيـة الشيخ مبروك تتناثر امامي على الأرض سوداء كريش الغراب ، وشعرت وانا ازيل عنه لحيته بانني امسح عنه الاسطورة .. اسطورة البركة .

سميره عزام

تساؤل ...

مهداة الى

بلد الحريات الزائفة

« راح طفل زنجي يستصرخ امه ، أكلت الغيلان البيض أباه ... »

اماه ، لماذا ولدتني بهذا اللون المهين ؟
بهذا اللون الزفتي اللعين ؟
اللون الذي ترصف منه شوارع المدينة ؟
لقد هشمت قارورة احلامي البيضاء يا أماه!
لماذا ابتلعت حبة سوداء يا اماه !؟
هل الطبيب أشار عليك بابتلاعها ؟
هذا المخلوق الذي لا وجود له في عالمي ،
إلا في القاموس ، كما قلت لي ..
لكن يقال انه يعالج المرضى البيض ..
لماذا، يا اماه، حين فار جسمي بالسخونة ،
بالأمس لم يزرني ؟ هيا قولي لي لماذا ؟
حتى ولم استطع ان احلم به ..
أكان يا أماه ، يخاف ظلمة وجهي ؟
أيخشى على نفسه ان يعلق به لوني ؟
ولا أحد بعدُ بوسعه ان يقرأ
اسمه في القاموس، إذ يمر به ..
فيموت ويندثر كلفظة قديمة !
أليس كان بمقدورك يا أماه ،
بعد الذي فعلت ، ان تصبغي
بشرتي بدهان ابيض كحليب عنزتي ؟
حتى لا تسخر مني هذه البهائم البيض !
أماه، أماه، هل ولدتني في سرداب مظلم؟
فامتصت بشرتي الظلمة القاتمة الملعونة ؟
هل خفت علي من النور لئلا يلامس جلدي!
فيصطبغ بكساء ثلجي تصنع منه اردية الموت
تلك الأكفان المخيفة المقرقعة البيض
أتروعك حقاً إلى هذا الحد ؟
أماه ، إن الصبي تروما قال لي ،
لما اقتربت منه لألمس بدلته الزرقاء ،
لأن قلبي هف لها، لأن تكون لي مثلها:
حذار ان تفعل،اليك عني ايها العبد القبيح ،
حذار ان تدنسني ! وبصق في وجهي !
احقاً اني قبيح يا أماه ؟
هيا قولي لي .. قولي
وعندما قلت له : هل آذيتك يا اخي ؟
ماذا يغضبك مني يا أخي ؟
بربك ماذا ؟
إني انساني المولد !
ألستُ مثلك ؟
ألست افضل من كلبك الأسود ؟
الكلب الذي تحتضنه امك ؟
فاذا به يهيج وكالبغل يرفسني ويلطمني !
أماه ، أكانت كلماتي قاسية معه ؟
إذن لماذا اعتبر كلامي إهانة له ؟
أماه ، وعندما مر أبي ،
ورآني أعرج وأبكي ارتعش غضباً ،
لانه ما كاد يشرع بتعنيف الصبي، تروما
الغضبان مني، حتى احتاطته البهائم البيض،
فلم أعثر من بينهم على أبي
وكأنه كان ليلاً أطبق عليه نهاران ؟!

* *

وهنا رفعت الأم الصامتة وليدها
الى صدرها يخنقها النشيج الكظيم !
ومن خلل الدموع أطلت عيناها
الكسيرتان إلى إله البيض ،
الهارب من وحشية البيض إلى السماء !

فالح العسكري بغداد

نحو ادب عراقي جديد

التبعة الادبية

بقلم عبد المحسن الحكيم

علامة واحدة تميز العصر الحديث عن العصور التي سبقته الى الوجود وسبقته الى تنظيم نفسها، ومعارفها، وحياتها العامة: هي شدة شعوره بالتبعة واحتماله المسؤولية .. وإذا لم تكن هذه العلامة ملحوظة في قوانينه وقواعد اخلاقه ونظمه، فلا بد له منها قبل ان نضفي عليه نعوت التقدم والارتقاء، او نحسب انه الزمن الذي حقق للانسان غاية وجوده في كشف مغالق الطبيعة والاستيلاء على اغلب اسرار الوجود .. لان العصور سواءٌ في جهلها وعلمها باصول الاشياء وقوانينها إذا لم تستفد من علمها بتلك الاصول طريقة للحياة تكفل خلوها من الحيف والجور على الحقوق والافتئات على الواجبات .

وليس اكثر خطأ من تمييز العصر الحديث بكثرة علومه وتوسعه في المعارف وهو لا يتميز بنظرته الى الفرد، وتعيينه وظيفته في الحياة الاجتماعية والحياة الانسانية بوجه عام .. وعندي ان العلوم ليست شيئاً على الاطلاق إذا لم توجه الفرد نحو الجماعة، وتطوعه للنهوض بثقافتها الذهنية ووسائلها في المعاش، وان التقدم الحق هو قدرة الفرد على احتمال قسطه من التبعة إزاء مجتمعه من غير إهمال لمطالبه هو بالذات في العلم والحياة والتفكير .

ومهمة الاديب من ثمّ غاية في الصعوبة .. إذ قدر له هو خاصة ان يتفهم الاتجاه العام للجماعة، ويرقب ببصيرته النافذة سيرها نحو خيرها او نحو شرها، ويرى من كثب قابليتها على تغيير نمطها او لحاجتها في الاحتفاظ به على رغم الناقدين والمنكرين .. فيتعين من هنا نصيبه الكبير من المسؤولية .. لانه دون سواه يستطيع ان يحذر الأمة من اتجاهها حين يرى المزالق الكثيرة التي تنتظرها فيه، او يشجعها عليه حين يرى اتفاقه مع المثل الأعلى الذي تبتغيه النفوس المثقفة، والعقول النيرة، وطبيعة الأمة نفسها .

وبعض المذاهب الفكرية المعاصرة يرسم للاديب هذا النحو من المسؤولية دون ان يعتدي على حريته في اختيار موضوع تفكيره، ونوعه، وسبيله اليه . إذ يعد مسؤوليته الادبية جزءاً من حريته يقوم بها الأديب او يجب ان يقوم بها كما يقوم العضو الحي بوظيفته في البنية الحية .

وقد اتسع بمذهب هؤلاء مفهوم التبعة او الالتزام - كما يعبر اغلبهم - بقدر ما رتبوا على آثار الأديب من نتائج .. مما يضطر الأديب ان يغير مذهبه في التعبير عن آرائه وبحوثه، وإرسالها احياناً او في اكثر الاحايين في غير تحفظ ولا احتياط .. ويخيل اليّ ان حاجتنا نحن خاصة الى الالتزام توجبها اليوم اسباب متعددة لا سبيل الى حصرها .. واهم هذه الاسباب جميعاً - او من اهمها - اننا في بداية نهضة فكرية مهمة يلمع اليها هذا القلق البادي في ادب المنتجين الناشئين، ويبدو بصورة خاصة في اتجاه معظمهم الى الرمز والشعر المرسل الذي تلقفوه من بعض القائلين في لبنان .. وهذه الظاهرة توشك ان تجتاح بعض من عوّلنا على ادبهم في إقامة اسس جديدة لأدب جديد .. فرأينا اخيراً الشاعرة المجيدة نازك الملائكة التي استبشرنا بظهور ديوانها « عاشقة الليل » ايما استبشار تنصاع هي الاخرى لآفة الرمز والشعر المرسل فيطغى هذا اللون الجهم من الشعر على ديوانها « شظايا ورماد » وعلى آثارها جملةً بعد ظهور هذا الديوان .

وتعليل هذه الظاهرة بالظروف المتأزمة التي يمر بها العراقيون اليوم لا تفيدنا شيئاً بقدر ما يفيدنا إرجاعها إلى عامل القلق الذي تستوجبه مراحل الانتقال في الامم ذوات التاريخ والأمجاد .. ولا شك ان الصراع بين الموروثات القديمة وبين اسباب الحضارة الحالية يبلغ اشده اليوم في ضمائر العراقيين وعقولهم وقلوبهم .. وإن كانت آثاره اقل خصباً مما كان للمصريين في اول هذا القرن لأسباب موضعية لا مجال لذكرها الآن .

وقد نشطت بعض الفئات الى استغلال ذلك القلق في الشباب لتحويله عن موضوعه، وتضليله في سيره .. وكانت سبيلها الى ذلك بالغة الحساسية .. إذ خاطبت فيهم عواطفهم التي لم يتم لها التعقل فوجهتها نحو بعض المشاكل اليومية المثيرة، واغرتها بها .. فأصابنا من جراء ذلك حصر في الذهن، وضيق في الآفاق، واغراق في واقعية لا حدود لها .

ومن هنا عظمت حاجتنا الى ادباء يقدرون مواقع كلامهم، ويشتدون على انفسهم قبل ان ينشئوا ادبهم ويذيعوا اعمالهم

فيه .. ويحرصون على ان يكون ادبهم خـلا"قاً ، منبثقاً من طبيعة المجتمع وروحه العامة ، ملبياً في الوقت نفسه حاجته الى التطور وطموحه إلى الارتقاء .

ويعوزنا في هذا الطور القلق من حياتنا الادبيـــة حاسة الاقتباس .. بمعنى ان تتجه فئة من الجامعيين الذين يعوّل عـلى اذواقهم الفنية وفهمهم لشؤون الفكر إلى الغرب لدراسة آثار اقطابه في الفترات القلقة من تاريخه .. للاستفادة من مناهجهم في التفكير وطرقهم في تناول دراساتهم للقضايا الفنية والاجتماعية والفلسفية إذ ذاك .. وفي تاريخ مصر الادبي الحـــديث امثلة كريمة يمكن الاستفادة منها والاعتماد عليها في هذا الموضوع .. خاصة حيوات قسم من اعلامها امثال الدكتور طـه حسين ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم .. وقد قام كل من هؤلاء بحظه من التبعة الادبية في اروع صورها .. فاضطهد الدكتور طـــه وقووم من قبل السلطات اشد مقاومة ، وصودرت بعض كتبه وكادت احياناً ان تصادر حريته هو في الكتابة والنشر .. كما أسيء الظن بالاستاذ العقاد من اجل آرائه الجريئـــة .. فلغط اصحابها بامر الايدي الاجنبية التي تحثه على الانتاج ، وتعين له مجاله فيه .. وكان التزام توفيق الحكيم من نوع آخر .. التزم من ناحية الفن ومن ناحية المجتمع معاً فسجل صراعه في سبيـل فنه في كتابه الرائع « زهرة العمر » كما سجل التزامه الاجتماعي في عداوته للمرأة وتخوفه من حركتها منذ ثلاثين عاماً تقريباً .. وقد صمد هؤلاء على مذاهبهم في القول عـــلى رغم القوى التي كانت ترصد افكارهم وتناهض مناحيهم فيها .

وفي الشعور بالتبعة الادبية مزية اخرى نلحظها ، ونحن نقرر ضرورتها للاديب ولزومها له ، هي تأكيدها على الجانب الذاتي في الفرد ، وعملها لاظهار قوته في نشاطه وسلوكه .. ومن ثمة نقدر ان تسلم اعماله الفكرية من الزغل ، وتتجرد آراؤه من الاستخذاء لدواعٍ لا صلة لها بفنه وادبه .. وقصارانا في هذه السطور ان نلاحظ ان ظهور شخصيتنا الادبية موكول الى مدى فهمنا للواجب الادبي ، وتقديرنا للتبعة باوسع معانيها فيما نكتب وفيما نقول في سائر الموضوعات .

بغداد **عبد المحسن الحكيم**

على الرصيف...

يعثر المارة ، ليل نهار ، بأجساد اللاجئين والمشردين العرب ... وتتجدد مأساتنا المفجعة باستمرار .

للريح لسعٌ كالسياط ، وللدجى زأرٌ مخيفُ !..
والشهبُ.. تلتحف الغيوم ، فضوءها حذرٌ، كسيفُ
وخلا الطريق .. فليس من همسٍ بخاطره يطوفُ
وعلى الفضاء ... غمامةٌ تهمي فيرتعد الرصيف
ويغيب فيها الشارع الوهاج ، والقصر المُنيف
يا لَلظلام !... كأنما للجن في فمه عزيف
ومضيتُ..تزدحم الرؤى حولي،وتصطرع الطيوف

★

أنا في الطريق .. خطىً مشتتةٌ وأحلام سراعُ..
أمشي .. كما انزلق الخيال ، على الجفون ، أو الشعاع
والقر .. حولي رعدةٌ هوجاء ليس لها انقطاع
والنور .. لا ألَقٌ على الافق البعيد ، ولا التماع
وعلى فمي نغَم .. يقطّعه سكون ، واندفاع
الدفء مني خطوة في الحي مااحتدم الصراع
والبيت .. يرقبني ، فلا قلق هناك ، ولا ارتياع

★

همد الطريق .. سوى زئير العاصفات على الطريق !
والشارع الوهاج .. مثل القبر ، في صمت عميق !
وقصوره البيض الحسان .. موشحات بالبروق
يرمين .. من خَلَل السجوف .. خيوطَ لألاء أنيق
تنساب فيه نغمة كالرجع في الوادي السحيق
حملت نعيم الهانئين .. وعَبْقة الجذَل الرقيق
اين السجين على الهناءة والكؤوس ... من الطليق ؟!

★

في السيل .. تحت الزمهرير .. وبين لعلعة الرياحِ
راحت تشق « الكتلةَ السوداء » حشرجةُ النواح
وتدق سمع الليل ، والافلاك .. مثخنة الجراح
وتزحزحت « خِرَق » بمزقة .. على جسد مباح
وتململ الجسد الطريحُ .. على خيال من « سماح »
وتحركت كفان راعشتان .. في شبه انفتاح
ولمحته .. ألموت ، والجوع المروّع ، في كفاح !

★

ودنوتُ .. يا لَلمشهد المقدود من كبد الشقاء !
أيكون افجعَ ، او اشد تعاسةً ، تحت السماء ؟!
شيخٌ .. وأربعةٌ من « الفِلَذ » الصغار على العراء
ناموا .. يلفهم الرصيف .. كأنهم بعض الغُثاء
ألزمهرير ... غطاؤهم قنعوا بذاك من الغطاء
وسمعتُ عشر تنهداتٍ ... أرجفت قلبَ المساء
وتوارت الشهقات .. لم يخلج بها غيرُ الفضاء

★

وتساندَ الشبح الهزيل .. وحدّقت عينان فيّا
عينان .. سلّ الداء نورهما .. فما تعيان شيا
وحطام وجه كالطلول .. يصارع الألم العتيا
رمَقٌ .. تشبث بالحياة .. اذا دعوتَ القبرَ .. حيا
وبزفرةٍ .. كأنين كهف موحش .. أومبا إليّا
فكأنما سلَخ العذابَ بها .. وسمّره علَيّا
أفتستطيع الدمعة الخرساء ان تشفي شقيا ؟!

★

ووجمتُ .. فوق « الكتلة السوداء ».. يلسعني شعورُ
يُنسَى به لفح الرياح .. ويستطاب الزمهرير
أمُفَجّعون ؟.. على رصيف الموت .. ام وطن يبور؟
امشردٌ ؟.. أم أمةٌ لُفِظت.. ليسحقها الثبور؟
في كل ركن .. شهقة وبكل زاوية .. زفير
حُرموا القبور .. فما لهم غيرَ العراءِ هنا .. قبور
ويُكمّ بالنيران صوتُك .. حين تغضبُ ، او تثور

★

في هذه « الخِرق » الجياع .. مصير شعب قد أبيدا
في هذه « الاسمال » يفترش الثرى وطن .. شريدا
يا للكرامة ! لا أرى للبؤس بعدئذ .. مزيدا
هذي بلادي .. في الطريق .. طريدة لفت طريدا
ووئيدة .. في الزمهرير .. على الطوى.. ضمت وئيدا
و « يحدثونك » .. عن لواء « الحق » خفاقاً ، عتيدا
والحقُّ .. يبصق في وجوههم .. ويستلقي « شهيدا »

★

عفواً.. أبا « الفلَنْدِ » العراة .. اذا نكأتُ بك المصابا
ولمستُ جرحك بالنشيد .. فضجّ في شفتي التهابا
أنا مثلك .. استلبوا ملاعب فجريَ الاولى استلابا[1]
أنا مثلك .. اغتصبوا تراب طفولتي الحلو .. اغتصابا
أنا ليس لي دارٌ ، ولا وطن ، أضمّ به الرغابا
وأطير .. تحت سمائه حراً .. واقتنص الشبابا
انظر .. أتبصر فوقه الا «الأراقم» و «الذئابا»؟

★

جرحان نحن .. يمزّقان براقع « الغـدرِ » اللئيم !
ويغنّيان .. جريمة التاريخ ، والبغي الاثيمِ
ووراءنا .. وطن يضج .. بكل صارخة الكلوم
ومعذبون .. همُ الجحيم .. إذا سألتَ عن الجحيم
شعب .. بأرض جدوده يحيا غريباً .. كاليتيم
سلبوه .. إلا مشهد الآلام .. والذل المقيم
للثأر .. زمجرةٌ ؛ ولن نفنى .. مع الليل البهيم

★

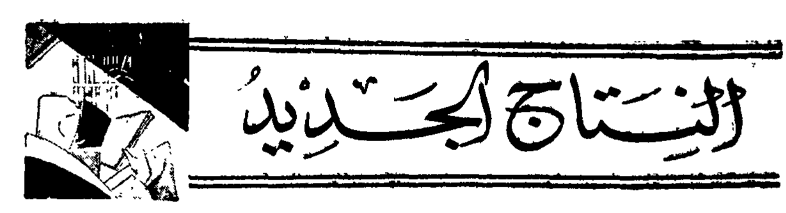
التأر . . أقدس ما عرفتُ من الملاحم . . والاغاني
سيظل .. في شفتي دويٌّ العاصفات .. وفي كياني
إسحقْ بصدرك . . ايها الملسوع ناب « الأفعوان » !
وارقص عليه .. فانتقامُك والمروءةُ . توأمان
قدست خنجرك الذي تسقيه من قلب الهوان
حتى مَ .. نستجدي على الموت.. ابتسامات الحنان ؟
حتى مَ .. نزحف من مكانٍ ، في الدمار ، الى مكان ؟

★

الخائنون أمانةَ الاجيال نحن .. الكافرونا
الغادرون .. إذا أشحنا الوجه ، واخترنا السكونا
وطن العروبة .. لا يعيش عليه إلا « لاجئونا »
وغداً .. سيلفظنا غداً إن لم نفجِّرَه .. جنونا
قل « للمكبَّل » وهو يُطبق فوق مِحنتهِ الجفونا
لم تخلق الذروات .. كي تتملّق المتسكعينا
تمضي بحافرها الحياة .. على رقاب الخانعينا

حلب — **سليمان العيسى**

(١) الاشارة الى لواء الاسكندرونة ، وطن الشاعر .



١ — ولادة استقلال

الاستاذ منير تقي الدين

دار العلم للملايين . بيروت

٢٥٦ صفحة

هذا كتاب سجل فيه مؤلفه تاريخ معركة ومخاض ولادة . فكانت المعركة معركة تشرين من سنة ١٩٤٣ وكانت الولادة ولادة استقلال لبنان من طغيان فرنسا ونقطة تحول في سير القضية العربية .

قرأت هذا الكتاب في ثلاث جلسات طويلة حاولت خلالها وبعد الانتهاء من القراءة ان اكوّن لقراء «الآداب» رأياً اخرج فيه بخلاصة ايجابية توضيحية في الموضوع والاسلوب .

ولعل من الخير وقد وقفت موقف الناقد من هذا المؤلف التاريخي ان اسجل في كلمات قليلة وجهة نظري في قيمة التأليف التاريخي وماهيته تمهيداً للموضوع . في التاريخ تحقيق وتمحيص ومقارنة وموازنة والحاح في استعمال المقاييس، ثم تسجيل لخواطر يكون بمثابة الدراسة التوضيحية لمشكلاته وعواملها . اما الاكتفاء بالتحقيق والتمحيص وما يتبعهما دون التوجيه التوضيحي فهو محو لشخصية المؤرخ واصطناع لموقف لا يساعد القارىء على اتخاذ رأي ايجابي في الحادث التاريخي وابطاله الذين صنعوه او واكبوه . ومعنى هذا كله ان للمؤرخ شخصية يجب الا تمحي امام الحادث ، فاذا حدث هذا فقد يسيء ذلك الى القارىء أو يجعله على الأقل في حيرة من امره لعجزه عن ادراك العالم النفسي الذي كانت تتفاعل به الأحداث وتؤثر فيه .

وبناء على ذلك أدرس هذا الكتاب من خلال موضوعيته وأسلوبه . اما الموضوع فقد لا أبالغ إذا قلت بان فيه استقصاءً تناول به المؤلف الكريم كل حادث دقّ او عظم بالعرض والتفصيل ولا سيما في حدود الثلاثة عشر يوماً التي شهدت ولادة الازمة وتطورها بين الفرقاء الثلاثة ، الفرنسيين واللبنانيين والحلفاء ولا سيما البريطانيون منهم، ثم شهدت ولادة الاستقلال وتكريسه رسمياً بتراجع الفرنسيين عن تدابيرهم المعادية . وقد كنت اتمنى على حضرة المؤلف ان يوسع تمهيده الذي قدم به أزمة تشرين . فقد كان حديثه عن تاريخ لبنان الحديث قبل سنة ١٩٤٣ م شديد الاقتضاب بحيث ان القارىء يعجز عن وضع حادث الاستقلال موضعه مما قبله ، كما يعجز عن ادراك الروابط النفسية بين ما سبق من الحوادث وما لحق . وليسمح لي كذلك ان اسجل اقتضاباً شديداً فيما يتعلق بحوادث طرابلس وصيدا . فان الذي اعرفه ان هاتين المدينتين قد لعبتا دوراً هاماً في النضال من اجل قضية الاستقلال وقدمتا تضحيات لا تقل نسبياً عما قدمته بيروت وبشامون ولا سيما طرابلس . والظاهر ان حضرة المؤلف قد أرّخ على طريقة من يرى ان تاريخ الأمة هو تاريخ رجالها الذين وضعهم الزمن في مراكز القيادة . ولما كانت هذه المراكز في بيروت وبشامون ، فقد حصر جهوده او اكثرها في هذين المركزين الرئيسيين . اقول ذلك لأنني أعرف لطرابلس بصورة خاصة مواقفها العنيفة واستجابتها الشديدة لكل مطلب وطني . فالتاريخ في نظري هو تاريخ الشعب قبل ان يكون تاريخ الأبطال والقادة . لأن المقصود منه هو تسجيل العظات والدروس التي يجب ان تعيش بين جوانح الناس العاديين باكثر مما تكون تخليداً لذكرى بطل او تمجيداً لجرأة زعيم . على ان هذا لا يمنعنا من التمجيد للزعيم والبطل . وتعقيباً على ذلك احب ان اقرر ان التاريخ صنيعة الناس ، الناس البسطاء الذين اكثر حضرة المؤلف من الاشادة باخلاقهم الحميدة في حواشي كتابه . فقد ذكر في حاشية ص ١١٢ « ان من طبيعة القروي اللبناني التفاني والاخلاص في سبيل المثل العليا . وهو شديد الحساسية ساذج يؤمن بزعمائه ولا يشك باخلاصهم » . كما اشار الى الرجل الشيخ الذي حمل مؤونة الشتاء الى بشامون ورجع دون ان يعلن عن اسمه وقد خلا وطابه ولعله قضى ليله آنذاك جائعاً . وهذه المرأة التي ارسلت من الدامور كل ما كانت تملكه منتظرة أوبة زوجها لترسل ثانية ما يتهيأ لها من المؤونة .

ان الزعماء من الشعب كالعنوان من الموضوع ؛ فلماذا لا نحرص على دراسة الموضوع اكثر من حرصنا على دراسة العنوان والاهتمام به ؟

ولا بدّ لي من ان اثني على مجهود المؤلف في التصنيف والتبويب والاحاطة؛ فقد اوفى على الغاية من هذه الناحية في حدود ما قدّرت واجتهدت .

هذا فيما يتعلق بالموضوع . اما الاسلوب وأقصد به طريقة المؤلف في استخراج الدروس واستنتاج العظات ، فقد وجدت فيه مأخذاً اخذته عليه في الكتاب عامة .

لقد ذكرت آنفاً ان مهمة المؤرخ لا تقتصر على عرض الأحداث وتمحيصها بل تتجاوز الى ما وراء ذلك . انها مهمة القاضي او الحكم يصدر حكمه دون تردد او مجاملة . والظاهر ان المؤلف قد آثر السلامة فأعرض عن اصدار الحكم في كثير من المناسبات، اللهم غير تعليقات قصيرة الحقها بمؤلفه في بعض الحواشي . وقد عرض الحوادث بطريقة تعفيه من اصدار الاحكام فبقي قارئه في غفلة عن حقيقة ما يعتلج في نفوس كثير من الزعماء والنواب والمسؤولين . والمثل على ذلك مبلغ المائة والعشرين الف ليرة التي جمعها المؤتمر الوطني . فقد اشعرنا المؤلف ان الطرق التي استعملت في صرف الأموال لم تخلُ من بعزقة وتبذير، وقد علل وقوفه عند هذا الحد بضنه بكرامة البلاد . وظني ان كرامة البلاد تفرض عليه ان يضع النقاط على الحروف فيتهم من هو موضع للتهمة، ويعرض بكرامة من يجب ان تعرض كرامته للهتك والفضيحة صوناً لمصلحة الجماهير وتوكيداً للعظة والعبرة .

ثم وصف في اقتضاب شديد مخجل انهيار اعصاب بعض أعضاء حكومة بشامون اثر هجوم الجيش الفرنسي وذكر ميلهم الى الهرب مستعينين بالبريطانيين ، مما يخيل للقارىء انهم كانوا سيهربون حقاً لولا رفض البريطانيين والحاحهم عليهم بالبقاء في اماكنهم . فهل يعني ذلك ان الثورة وجلد الوزراء والنواب مسرحية ألفها وأخرجها واشرف على انتاجها البريطانيون ؟ وما هي حصة هؤلاء الزعماء من توتر الايمان وصلابة العزيمة ؟ لقد كنت احب ان يوضح حضرة المؤلف هذا الجانب ليتبين لكل ذي عينين نصيب الجمهور من النضال المخلص ونصيب بعض القادة من النضال المخرج على طريقة هوليود وستوديوهات مصر .

هذه جوانب لا تنجلي الا إذا وضعنا السيف في موضع السيف والندى، في موضع الندى فيرجع لكل ذي حق حقه . ولعلي الح على هذا الجانب لأنني اشعر شعوراً قوياً بوقوع الظلم على الجمهور البعيد عن مفاوضات وسياسات ما وراء الكواليس ثم وقوعه على بعض الرجال اللامعين من مثل — رياض الصلح — فالحقيقة ان دور هذا الرجل لم يتضح تماماً خلال هذه الأزمة اتضاحاً يحول دون كل لبس . لقد كان المؤلف قادراً على هذا كله لو انه اوضح هذا الجانب الغامض من حوادث الأزمة . كما كان من الممكن ان يظهر دور الجمهور ورجل كرياض الصلح بصورة أقوى ، عملاً بقول الشاعر « والضد يظهر حسنه الضد » في حدود الحوادث التي اوردها في كتابه .

واخيراً يهمني ان ألفت نظر المؤلف الكريم الى تعبير كرره في مناسبات كثيرة اعتقد انه لم يعنه ابداً حين استعمله وهو قوله في ص ١٩ « لكن المؤتمر السوري الممثل للأمة السورية الخ » . فهل هناك « امة سورية » ؟ ثم تكريره لهذا التعبير نفسه مطلقاً على الشعب اللبناني اسم « الامة اللبنانية » . ويقيني ان المؤلف لم يلاحظ هذه الناحية الخطيرة لا سيما وانا اعلم عنه ايمانه بامة واحدة هي الأمة العربية ، وقضية كبرى واحدة هي القضية العربية التي تشمل قضايا لبنان وسوريا والعراق ومصر وغيرها .

والخلاصة ان الاستاذ المؤلف رغم كل ما اوردته من مآخذ قد قدم الى المكتبة العربية سفراً نفيساً أرجو ان يفيد القارىء منه علماً وعظة وعبرة . ويكفيه فخراً انني استطعت ان احصي اخطاءه وهي فضيلة قلما يتصف بها من يتصدى لتاريخ شعب او يعالج واقع امة .

٢ — وعي المستقبل

للاستاذ قدري حافظ طوقان

دار العلم للملايين ، بيروت ، ٨٨ صفحة

مجموعة من مقالات ، بل قل مجموعة من كلمات قصيرة ، ما فيها اقرب الى ان يكون خواطر سريعة تمس الموضوع مساً رفيقاً متهيباً منه الى ان يكون افكاراً مجردة معمقة وشاملة ولعلي لا استثني من هذا الوصف غير فصل (نحن والانكليز) .

وقد كنت احب لحضرة المؤلف ان يقتصر على ما جوّد من الفصول ويحذف الفضول والزوائد . ولكن الواقع ان حظ

الكتاب من هذه الزوائد الفكرية فوق حظـه من التفكير الشامل المنظم .

ففي كتابه فصول لا يتجاوز عدد صفحات الواحد منها اربعاً من القطع الصغير او اقل او اكثر قليلاً (الشعور بالنقص، الشعور بالعدالة، مركب الوهم، الانانية الطاغية الخ) .

أضف إلى ذلك انني وقعت خلال قراءتي للكتاب على غموض وتناقض

اما الغموض فهو في دور العلم والروح العلمية اللذين أغرق الكاتب إغراقاً شديداً في مدحهما وجعلهما وسيلتين وحيدتين لمعالجة المشكلات الاجتماعية والاخلاقية والنفسية والمادية .

والظاهر انني اختلف مع المؤلف في تحديد ماهية العلم وقيمته من الناحيتين الخلقية والانسانية .

فالعلم في نظري مجموعة قوانين نكتشف بها العلاقات الجبرية الدائمة بين الحوادث الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية وغيرها اما غايته المباشرة فهي استخدام قوى الطبيعة واكتشاف اسرار جهازها المعقد المتشابك الخطوط والجوانب . واما الخدمة التي قدمها العلم حتى اليوم فهي تحسين شروط الحياة المادية وإحداث اساليب ووسائل فنية استطاع الانسان بها توفير البيت المريح والسرعة العجيبة والثروات الخيالية التي كانت في نظر اجدادنا حلماً من احلام الف ليلة وليلة .

اما ان يكون العلم وسيلة الى ايجاد نهضة روحية ورفع المستوى الخلقي وتحقيق الاستقرار الاجتماعي بين مختلف الطبقات والامم وإشاعة السلام والحب بين الناس ، فهذا شيء لم أدركه حتى الآن . وظني انني اسأل العلم ما ليس من حقي ان اسأله إياه عندما انتظر منه ان يوجد تعديلاً اساسياً في القيم الاخلاقية والروحية في حركة تصاعدية شاملة .

ولو صح رأي المؤلف لوجب ان تكون اوربا واميركا اليوم بلاد الحب والسلام والامن ، ولكن الواقع يثبت خلاف ذلك . ان الاوربيين اليوم يجتازون اخطر مرحلة من مراحل حضارتهم . فهم في حالة صراع اجتماعي مخيف تنتابهم الأحقاد وينتاشهم سوء الظن والحذر ويقض مضاجعهم تكالب على الدنيا وشهوات استعمار الى جانب الخوف والقلق على مستقبلهم الغامض، هذا القلق الذي يبرز في الاستعداد الحربي وتجنيد قوى الأمم لملاقاة العدو او القضاء عليه . فأين هي آثار العلم وحسناته في رفع المستوى الروحي وتحقيق احلام الناس وتطلعهم الى السلام والمحبة والطمأنينة ؟ وتحضرني في هذه المناسبة كلمة لأحد الفرنسيين حاول فيها تحديد قيمة ما أنجبه العقل الانساني في حقل العلم قال : « لقد استطاعت العلوم وما نتج عنها من مخترعات ، ان تجعل الانسان الهاً قبل ان توفر له عناصر الانسان » . انها كلمة اصابت المحزّ وتناولت المفصل . فالعلم يا سيدي المؤلف امكانيات مادية ضخمة ولكنها عمياء لأنها تفقد الحس بالقيم الاخلاقية وتقدير المثل الانسانية العليا .

اما الذي دفع حضرة المؤلف الى مثل ما اندفع اليه فهو في نظري حالة الانشداه التي اصيب بها المواطن العربي عندما قارن بين تاريخه القريب وما فيه من رجعية وضعف وفقر، وبين اوربا العملاقة بمدافعها وطياراتها ومعاملها . فظن القوة كل القوة في المعامل فقط، والضعف كل الضعف في تاريخه فقط . ولذلك حاول ان يرمي التاريخ ويتنكر له ويترامى على علم الغرب ومخترعاته معتقداً ان خلاصه هو في بناء المعامل وشحذ السلاح . ناسياً ان المقاتل لا يحتاج فقط الى السيف يحمله والقنبلة يلقيها ويفجرها، بل هو في حاجة اشد الى الساعد والقلب الجريء والرسالة التي يجب ان يكافح من اجلها، وهذه كلها لا يكوّنها العلم ، بل يحدثها انقلاب نفساني روحي يرتكز الى قاعدة هي ابعد ما تكون عما يسمى بالاسلوب العلمي . انها روح التضحية والايمان بمثل اعلى ثم روح المغامرة التي تكونها تربية موجهة وشيء آخر لا استطيع تحديد ماهيته هو عنصر المجهول ، هذا المجهول الذي بيقظته في اعماق ذواتنا يجعل من القلة كثرة ومن الضعف قوة ومن التنازع والتفسخ اتحاداً وتفاهماً . ولعل إحياء التاريخ ، تاريخ امتنا ، هو الوسيلة الوحيدة للايمان بانفسنا واكتشاف قدراتنا الكامنة على انتزاع حقنا في الحياة والحرية والسعادة .

هذا فيما يتعلق بماهية العلم وامكانياته في ايجاد حركة اخلاقية نفسية صاعدة .

اما التناقض الذي وقع فيه حضرة المؤلف فهو مشاهد فيما كتبه عن الانكليز والأميركان وما سجله في كلماته الاولى عن قيمة العلم وماهيته . فبينا هو في اول كتابه يمدح العلم ويرفع من شأنه إذا به في فصل (نحن والانكليز) يقرر ان النفعية هي القاعدة الاخلاقية التي تدفع البريطانيين الى حل مشكلاتهم مع الناس . وقد غرب عن باله ان النفعية اي الانتفاع غاية العلم ، فاذا حولنا ماهية العلم ، وهو ما فعله البريطانيون وما يطالبنا المؤلف به ، إلى قاعدة اخلاقية نفسية فقد شاركنا البريطانيين في

جرائمهم وأنانيتهم الطاغية. واما في فصله (اميركا في دنيا المبادىء والاخلاق) فيقع في المشكلة نفسها.

وقد كنت احب ان افصل القول في هذا الموضوع ولكن صفحات الآداب لا تتسع لمثل هـذا التفصيل. لذلك ألخص الموضوع فيما يلي:

ان المعضلة التي عجز المؤلف عن حلها هي معضلة الفصل بين المعرفة والأخلاق وبين القوة والواجب. فالعلم معرفة وغايته توفير اسباب القوة، اما الطمأنينة الروحية والتطلع إلى السلام والمحبة فمشكلتان اخلاقيتان نفسيتان تحتاجان الى وعي الواجب والايمان به والحفاظ عليه. والفصل بين هذين الجانبين لا يتحقق الا بالخروج من حالة الانشداه والشعور بالضعف امام الغربيين ثم بعدم التأثر بهذه العملاقية المادية الغربيـة التي تبعث الخوف والصغار وروح التبعية في نفوس العرب. وليس خيراً من خالد ابن الوليد قائداً عرف كيف يميز بين هذين الجانبين. فقد قال لأحدهم وهو يظهر خوفه من الرومانيين في معركة اليرموك: انما يكثر الجنود بالنصر ويقلون بالخذلان. قال خالد هذا بعد ان أعدّ ما استطاع من قوة ارهابا لعدو الله وعدوه. وبذلك جمع بين مطالب العلم ومقتضيات الرسالة وروح البطولة والايمان بالواجب.

ولأعد بالقارىء الى فصل «نحن والانكليز». انه فصل يشهد للمؤلف بالجرأة والايمان والذاتية المتوثبة. كما انه يصلح لأن يكون رسالة قائمة بذاتها تشيع في نفوس القراء جواً من الحماسة وتساعدهم على حل كثير من المعضلات السياسية والنفسيـة التي تعترض طريق العرب بصورة عامة والاردنيين بصورة عامة.

لقد قضى المؤلف على اسطورة الخلق البريطاني الذي كان فيما مضى مضرب الامثال، وأبرز قيمة المساعدة التي يقدمهـا البريطانيون الى الجيش الاردني، ولم يأل جهداً في نقض المعاهدة وتسفيهها. وان انس لا انس فصوله الاخيرة التي عالج فيهـا قضية الكيان الاردني فكان صريحا وجريئا. ويكفيـه فخراً — وهو يعيش في جو لا يحسد عليه — انه حدد المشكلة ووضعها بين ايدي الناس في خطوطها العريضة كما ذكر.

ويسرني في هذه المناسبة ان ادعو رجـال الفكر ورواد القضية العربية ان يتشبهوا بالاستاذ طوقان في صراحتـه التي تناول بها اخطر ناحية من نواحي حياتنا العامة، ناحية الكيانات وقيمتها وقدرتها على مقاومة الاحداث.

رمضان لاوند

المشرد

شعر للاستاذ ابي سلمى (عبد الكريم الكرمي)

مطبوعات المكتبة الكبرى للتأليف والنشر بدمشق — ١١٤ ص

ليس اسم الشاعر العربي الكبير ابي سلمى بغريب على قراء العربية، بل ليس غريباً على الاجيال العربية الصاعدة التي تقدر النضال المتصل، والتضحية المستمرة، ومكافحة الاستعمار اينما كان.. فأبو سلمى لم يقض في وطنه فلسطين ربع ما قضاه في النفي والتشريد والاضطهاد.. وكانت اشعاره انجيل المناضلين وقرآنهم.. يهزجون بها بين روابي القدس.. ويستشعرون حميّاها في ميادين الكفاح والثورة. وكان ديوانه الضخم ينتظر الطبع، يوم ان وقعت النكبة، فضاع بين ما ضاع من اعلاق النفائس التي ضاعت في وطن التراب الخضيب.

وخرج ابو سلمى من فلسطين وهو يتلفت الى الوراء... وفي عينيه دمعة الجريح، وفي قلبه ثورة المؤمن بان الشعوب ستعرف يوماً كيف تنتقم من الخونة.. الخونـة الذين ضيعوا فلسطين وكانوا أداة في يد المستعمر يديرها كيف يشاء:

من يلبّي النداء يطلب ثأراً ودماً ضائعـا وحقاً سليبا ؟
أرجال ؟ اين الرجـولة لما زحفوا يلثمون تلك الدروبا
أيها الناسجون آلام شعب كيف تجـلونها رداء قشيبا
قل لمن يرفعون في كلّ قطر علماً خافق الجناح عجيبـا
عربيّ السماء يبـدو ولكنّ وراء السماء وجها غريبا
حكموا باسمه الشعوب وسادوا فأضلّوا باسم الشعوب الشعوبا
ذهّبوا النير والقيـود وتاهوا من تراه يمحو لنا التذهيبا ؟
ودَعـوا باسمنا فكنّا الضحايا وأرونا التشريد والتعذيبـا
دولٌ كالدمى تمثّـل دوراً رسموه لها وفصـلاً مريبا
تتثنى على المسارح والميسمُ يشوي وجوهها والجنـوبا

وديوان المشرد الجديد هو ما أحسّه أبو سلمى بعد النكبـة الفادحة.. مجموعة شعرية فريدة.. تعبق منها رائحـة ارض فلسطين الحيرة.. وتتلظى من ابياتها ثورة ابنائها الميامين على الذئاب والخونة

تمر قوافـل الأيام تروي مؤامرة الأعادي والصحاب
سعدنا في البلاد وحين سادوا غدت مرعى الثعالب والذئاب
إذا كانت قلوبهم سـواداً فهل تجديهم بيض الثياب ؟

وهل يكفيهم لهب القوافي وهل بعد الخيانة من سباب؟

ثم يلتفت الى جنته فلسطين فيتذكر فيها ملاعب صباه .. وبيته الصغير الحبيب ، والتينة الخضراء التي ترضع من ارضه في قصيدته الرائعة « اداري » :

هل تسألين النجم عن داري وابن احبابي وسمّاري ؟
داري التي اغفت على ربوةٍ حالمــةٍ بالمجد والغــار
تفتح الزهر على خدهــا فعطرت ايّــام آذار
الشمس لا تضحك إلا لهـا تهدي إليها وشي أستــار
والتينـة الخضراء في ظلّها تاريخ أشــواقي وآثاري
ملعبنــا يوم رفيف المنى وملتقى الجــارة بالجـار
والعين خلف الدار في المنحنى تروي حكاياتي واخباري
درب الصبـايا لو تنورته مهوى صبــابات واسرار
حـام على انفاسهن الهـوى مـا بين مشوار ومشوار
الأمل الحـلو على رحبــه يعقــد في اطراف زنار
والكرم ما أرحم افياءه احــلام عشّاق واطيار
من عرق الفــلاّح انداؤه أكرم من طلٍ وامطـار
والبيـدر السمح على صدره حبّــات اكباد وابصار
اغنيـة الراعي وراء الربى منشورة في الافق العاري
يا عجباً للحب ! ملء الدنى يبوح في انغـام مزمار
داري لئن لم يبكها جاحدٌ فالعــالم الحر بكى داري

ولكن أبا سلمى يؤمن بالشعب .. ويؤمن انه المحرر الاول والاخير ، وانه رغم تكالب الاستعمار والخيانــة والفساد سينتفض انتفاضة الحرية ويقيم العالم الجديد المبني على العــدالة والمساواة :

يا ايهـا الشعب المفــدّى قل لي بربك كيف تهـدا
يتـدفق العــذب الزلال فيرتوون وأنت تصدى
تكسوهم حُلـل الربيــع وينكرون عليــك بردا
أهـلًا بأحرار البــلاد يحاربون من استبــدّا
حُمرُ الصحائف سطروهــا باللظى بنــداً فبنــدا
لم يعرفوا كيف المبادىء تشترى عــدّا ونقــدا
هذي السواعد والمناجــل تحصــد الظلام حصــدا
وتحرّر الانسان حــتى لا ترى في الكون عبدا

ويصرخ ابو سلمى الصرخة الأخيرة بأن الحقّ سينتصر وان يوماً قريباً سيأتي وسيعـود المشرد إلى وطنه مع اعلام الحرية فيقول في آخر قصيدة في المشرد عنوانها «سنعود» :

فلسطين الحبيبة كيف أحيا بعيداً عن سهولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات وفي الآفاق آثار الخضاب
تناديني الشواطىء باكيات وفي سمع الزمان صدى انتحاب
تناديني الجداول شاردات تسير غريبة دون اغتراب
تناديني مدائنــك اليتامى تناديني قراكِ مع القباب
ويسألني الرفاق ألا لقـاء وهل من عودة بعد الغياب
أجل سنقبل الترب المندى وفوق شفاهنا حمر الرغاب
غداً سنعود والاجيال تصغي إلى وقع الخطى عند الاياب
مع الرايات دامية الحواشي على وهج الاسنة والحراب
ونحن الثائرين بكل أرض سنصهر باللظى نيرَ الرقاب
تذيب القلب رنة كل قيد ويجرح في الجوانح كل ناب
أجل ستعود آلاف الضحايا ضحايا الظلم تفتح كل باب

وبعـد ... فلن استطيـــع ان أقدم لك الديوان إلا إذا نقلته كله ..فكله لهب ونار، وما أحرى الشباب العربي بأن يقرأ مثل هذا الديوان في هذه الفترة من تاريخه ، وما أحرى هذا الديوان ان يدخل كل بيت عربي .

سعيد حورانية
(من رابطة الكتاب السوريين)



كفر

مجموعة قصصية لنبيل شحاده خوري

١٤٤ صفحة من القطع الصغير ، مطبعة عزالدين ، بيروت

« هو ذا اديب قصصي » ايضاً ؛ اديب فلسطيني ناشىء يظهر فجأة على المسرح ليقذف من قلمــه عصارة آلام الشعب ، وليستمد من مأساة وطنه أروع ما يمكن ان يتمخض عنه خيال قصصي .

لست اعرف نبيل خوري – كما انني لا اعرف سليمان العيسى ايضاً – ولكنني اعلم انه شاب لم يمض على إنهائه الدراسة الثانوية سوى عامين . ولكنه في مجموعته القصصية الصغيرة اديب مكتمل النضج القصصي ، مكتمل الوعي الشعبي ، يعرف ان الادب ابن الحياة ، وابن المجتمع ؛ ولذلك يكتب بروح الشعب وبروح المجتمع ، وقد روّى قلمه من النقمة على المجرمين والخونة من ابناء امته ، او من سادتهم الساخرين من مصائبهم ؛ لقـــد

روّى قلمه من « الكفر » بهؤلاء الخونة المجرمـــين أصحاب مأساة وطنه فلسطين .

في هذه المجموعة الصغيرة سبع أقاصيص ، كلها من صميم الواقع ، ومن صميم المأساة ، وهي : (لحن لم يتم – مجتمع – رسالة مجنون – هذا الشعب – نساء في حياته – ارامكو – شبح الماضي) . ويكفي ان تقرأ هـذه العناوين لتعرف ايّ نوع من الأدب وراء كل عنوان ، ولتعـلم انك ستسير مع المؤلف الشاب في مآسٍ وفواجع من صميم نكبة الأمة العربية وانك ستشعر بان هذا الادب هو « من الشعب ، وللشعب » .

ولست اريد ان افاضل بين هذه الاقاصيص ، فكلها قوية ، وكلها رائعة . ولكنني اقف اولاً عند « هذا الشعب » . انها قصة الزعامة العربية : الزعامة التي تبدأ مخلصة مؤمنة ، حتى إذا وصل صاحبها الى الكرسي على اكتاف الشعب كفر بإيمانـــه القومي ، ومبادئه الوطنية ، وكفر بالشعب الذي رفعـه ، ولم يعد يهمّه سوى الكرسي .. سوى المنصب والجاه ، وهتافات الجماهير ورعونات الصحف !

ما اصدقها صورة نرى فيها وجوه زعماء الأمة العربيـــة التقليديين .. انها صورة الرجال الثرثارين الذين اعتادوا ان يتاجروا بالمبادىء على حساب غفلة الشعب المسكين الذي يلقي اليهم زمامه مخلصاً ، فلا يكافئونه بغير العقوق والاحتقار ، أو « بالخيانة » .. كما وقع في مأساة فلسطين .

وما اجدرنا بان نقول لهؤلاء جميعهم ما قالته زوجـة الزعيم في قصة « هذا الشعب » لزوجها : « انك دُستَ على مبادئك ، واصبحت لا تفكر الا بالاسم العريض والممتاز ... كفرت بالشعب الذي كنت تؤمن بـــه ، واصبحت لا ترقص الا على اشلائه وهو يئنّ ويتوجع .. رفعك من الحضيض، فأنزلته الى الحضيض » .

وما اكثر عندنا .. هؤلاء الذين يبدأون بتاريخ حافـــل بالمفاخر.. يجاهدون ويسجنون، ويعيشون في المنافي والمعتقلات في سبيل الشعب.. ثم ينتهون وقد ملأوا تاريخهم بالجبن والنذالة، ولوثوا بجبينهم ونذالتهم تاريخ هذه الامة .. واذا كانت لعنـة الشعب قد دحرجت بعضهم عن عروشهم وعصفت بسلطانهم ، فما زال البعض الآخر ينتظر دوره من هذه اللعنة التي لا تخيب .

اما قصة «شبح الماضي» فهي قصة الفلاح المؤمن بحقه وبارضه وبوطنه . قصة الحياة التعاونية الاشتراكية الجميـلة في القرية . قصة القروي الذي لا تلبث المدينة ان تذهب بصفاء نفسه – الى حين – ثم اذا به يعود ليكفّر عن آثامه بدمه في ساحة الجهاد . هي قصة كل قرية فلسطينية اشتركت في الجهاد، فكانت شريفة مخلصة نبيلة في كفاحها وفي سقوطها .

ولا يتسع المجال لأتحدث عن (أرامكو – ولحن لم يتم – ورسالة مجنون) ولكنني وانا لا املك نفسي من الاعجاب بهذه المجموعة الصغيرة في حجمها ، الكبيرة بقيمتها ، أود ان اقولها كلمة صادقة مخلصة لصاحب المجموعة :

يا أخي نبيل ،

دعني أصافحك بحرارة ، فانك – وأنت الناشىء الذي يضع قدمه لأول مرة على عتبة الحياة الادبية – لأعظم في نفسي من الكثيرين من اكبر كتاب القصة العربية. انك من هذا الشعب وانك تكتب لهذا الشعب ، وانك لتصور واقع هذا الشعب ، وروح هذا الشعب ، وانك اذن تكتب ادب الشعب ، الادب الذي له الخلود. اما اولئك الذين خلع عليهم بعض الناس القاب (امراء القصة – وامراء النثر – وامراء الشعر– وامراء البيان) فقد كفرتُ بهم فوق كفرك بصدق الزعامات العربية واخلاصها. انهم لم ينالوا هذه الالقاب الفخمة – القاب الامارة الفارغـة – الا لأن بعض المداجين والمنافقين قد نظروا اليهم من خـلال المنصب والمادة ، متذرعين بما يطيب لهم تسميته « بالفن » ، ولم ينظروا الى انتاجهم بروح الشعب . وشتان مـــا بين « زيف المنصب » او « بهرج الفن » ، و « واقع الشعب وأصالة ادبه».

عمان – الاردن **عيسى الناعوري**

صاحب مجلة « القلم الجديد »



الحركات في لبنان

إلى عهد المتصرفية

المكتبة الاهلية ، بيروت – ٢٥٦ ص

في تاريخ كل أمة حلقات مفقودة ، وأساطير مكذوبة ، لا يسع طالب الحقيقة إلا ان يقف امـــام الاولى باحثاً مفكراً يفرض ويستنبط وقد يصيب وقد يخطىء ، ولكنه على كل حال يرى نفسه مضطراً الى ان يسلك طريـــق الفرض والاحتمال ارضـــاء للبحث العلمي ، ورغبة في الوصول الى الحقيقة التي

ينشدها . وقد يمر بالثانية مشفقاً او ساخراً او محاولاً نقدها بما يصل اليه مجهوده من دراسات وابحاث .

والمؤرخ عذره في ان يقف من هذه وتلك مواقف قد تثير الاشفاق او القلق . على انه ثمة ناحية اهم من هـذه وتلك يقف امامها موقف الدهشة والريبة . تلك هي الحقيقة التي يعرفهـا الكثيرون ولا يجرؤ على التصريح بها احد . وما اكثر ما طمس من معالم التاريخ ، وضاع من حقائقه امام نزوات الهوى وشهوات الغرض .

تلك مقدمة صريحة أملتها عليّ نظرتي في كتاب (الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية) . وهو كتـاب نشره الاستاذ عـارف ابو شقرا احد اساتذة اللغة العربية والادب في كلية المقاصد ببيروت . وألفه والده المرحوم يوسف خطار ابو شقرا مستمداً روايته من نسيبه المرحوم حسين غضبان ابو شقرا .

والكتاب يؤرخ لفترة من الفترات المهمة في تاريخ لبنان كثرت فيها الفتن وطوحت فيها الحركات الداخلية برؤوس وأظهرت على مسرح تاريخه شخصيات كانت لها آثارها في توجيه سياسته ، وقيادة دفة الحكم فيه وتعرض فيها لهزات عواصف ثلاث كان لأحداثها أثر بارز في تاريخه . تلك هي الحقبة التـي تبدأ بولاية الامير بشير الشهابي ، وتنتهي بعهد المتصرفية ومتصرفها الاول داود باشا [١٧٨٧ – ١٨٦٨ م] وهو يـكاد يحصر اهتمامه في تصوير حوادث الفوضى بين الاسر الاقطاعية في اقليم الشوف ، واسباب تلك الفوضى ونتائجها وتبعاتها والشخصيات التي لعبت ادوارها في حقبة تبلغ ثمانين عاماً من عمر لبنان كان فيها مسرحاً لقلاقل وفتن ذات بال .

ولقد تهيأت لراويه فرصة الوصول إلى تلك المعلومات من مصادرها الاولى ، حين عمل في قصور ثلاثة من ابطال تلـك الحركات نصف قرن من الزمن ، كان فيهـا مقربا الى النفوس محبباً الى القلوب لما فطر عليه من كياسة ولباقة وحسن تصرف . وساعده ذلك على ان يسمع ما لم تسمعه آذان الناس ويرى ما لم تره عيونهم فـكان شاهد عيان لمعظم ما روى ولا ينبئك مثل خبير .

على ان مما يسترعي النظر ان المثلث الذي دفـع بهذا الكتاب الى زاوية التاريخ في المكتبة العربية (اعني : الراوي والمؤلف والناشر) مثلث درزي يجعل لهذا الكتاب قيمة خاصة في نظر التاريخ لأنه كما جاء في صدر الكتاب : « شهادة درزية صريحة تلم بحوادث لبنان واحواله ، يدلي بها من رواة الدروز شاهد عيان ، ويساهم بها واحد منهم لأول مرة في تاريخ لبنان . »

فهو إذاً – كما جاء في تقديم الكتاب – « يحفظ لنا وجهـة نظر معينة قلما نجدها في غيره من التواريخ ؛ هي وجهـة نظر رجل لبناني درزي من وجوه عماطور في الحركات الثـلاث الكبرى التي هزت لبنان من اقصاه الى اقصاه في منتصف القرن الماضي » . وميزة الكتاب فوق كل ذلك انـه يصور الحوادث تصويراً شعبياً صريحاً جريئاً ، لا أثر فيه لزخرف الباطـل او سوء النية ويخص الاسر الدرزية بالجانب الاكبر من اهتمامه حتى ليكاد يكون سجلاً لشخصياتها وقاموساً لرجالها . بل انه ليكاد يكون تاريخاً لما اغفله التاريخ من أمر هذه الطائفة .

اما جرأته وصراحته فلا أدل عليهما من مهاجمتـه لسياسة الامير بشير الذي يرى انها جرّت على لبنان كثيراً من المصائب بل جرت عليه هو نفسه الويلات والكوارث . واسلمتـه آخر الأمر اسيراً ليد اعدائه لأنه كان كما يصفه : « فيه ما فيـه من ضعف الرأي [وركاكة] الحزم » . ويصف ما جبل عليـه من اضطراب الطبع وخداع الغدر ، ويروي له حوادث لطخ بهـا الامير صفحة تاريخه ، ويميط اللثام عن مؤامراته ودسائسه فيجرده من ثوب ريائه الذي تقنع به ردحاً من الدهر فيظهره عـلى حقيقته امام عين التاريخ .

والكتاب يشيد ببطولة الدروز الحربية ويمجد فيهم الشجاعة والجرأة والتفاني في سبيل العزة والاباء ، والثأر للكرامـة ، وحسبه ان يؤيد ذلك بشهادة منازليهم .

عبد المجيد الدسوقي



خطرات

الدكتور محمد مهدي البصير

الدكتور محمد مهدي البصير في طليعة ادبائنا الكبار ، وقد دأب منذ عودته من اوربا على إتحاف المكتبة العربية بدراسات قيّمة في الادب العربي تكشف عن دقـة في البحث وعمق في التفكير وسعة في الاطلاع . ومن المؤسف ان يبلغ الركود بالحركة الأدبيـة في العراق حداً يجعل امثال كتب الدكتور البصير تظهر الى الوجود من دون ان يكلف الباحثون

والنقـــاد انفسهم عناء دراستها وبحثها ومناقشة آرائهـــا الجديدة . ولكن هذا هو حال الادب في العراق خاصة ، وفي البلاد العربية عامة، فمن المستبعد ان يثير همم النقاد والكتاب كتاب جيد فيتصدوا للكتابة عنه في الصحف والمجلات كأن في هذا العمل إضاعة لوقتهم . وهكذا يجد الكاتب نفسه مفلساً من الربح المادي والمعنوي ، وليس له من عزاء سوى حبـــه الذاتي للأدب وارتياحه في خدمته والاخلاص له.

ومن الامثلة الواضحة على هذه الحالة السيئـــة كتاب « خطرات » ، فمع ان شخصية مؤلفة تستحـق تتبع آثارها ، ومع ان الكتاب نفسه يضم الكثـــير من الآراء التي تتطلب العرض والنقاش ، ومع ان اسلوبه يعتـبر جديداً على الأدب العربي ، الا ان النقاد لم يستقبلوه بالحماســـة التي يستأهلها ، ولم تظهر عنه الا مقالات قصيرة لا تكاد تعرفه الى القراء تعريفـاً صحيحاً . والحق ان هذا الكتاب يستحق دراســـة طويلة لما تفيض به صحائفه من آراء قيمة في شتى شئون الحياة . فقـــد قسمه المؤلف الى ابواب عدة احدها « السياسيات » والآخر « الاجتماعيات » والثالث « الادبيات » وقد ضم كل منهـــا عبارات موجزة تعبّر كل واحدة منها عن رأيه في ناحيـة من تلك النواحي ، وتعوّض كل عبارة عن مقال كامل . ولا يتسع لي المجـــال الآن لاستعراض آراء الابواب جميعها فان ذلك يقتضيني حديثاً طويلاً يضيق به المقام ، لذلك سأقصر حديثي على باب « السياسيات » .

ولا إخال احداً من القراء يستغرب إقدام الدكتور البصير استاذ الادب في دار المعلمين العالية على تسجيل آرائه في الحياة السياسية ، فكل متتبع لتاريخ العراق الحديث يعلم حق العلم انه كان في صدر شبابه من رجال السياسة البارزين قبل ان يكون من فرسان الادب المبرّزين، ويقدّر تمام التقدير مساهمته الفعّالة في الثورة العراقية وإخلاصه لها وتفانيه فيها . فقد حكم عليه بالاعدام ، ثم استبدل الحكم بالنفي والسجن . وعندما بدأ الحكم الوطني خاض الحياة السياسية باخلاص ونشاط ، فاشترك في تأليف الحزب الوطني مع المرحوم جعفر ابي التمّن وبعض الوطنيين الآخرين ، وظل يجاهد لخدمـة الوطن والشعب حتى اعتزل الحياة السياسية وهو نظيف اليد رافع الرأس ليس لاحد عليه مطعن، بينما انساق الكثير من زملائه فيما بعد وراء مصالحهم الشخصية وجرّهم ذلك الى السير في ركاب المستعمر .

ويعود البصير في هذا الكتاب الى إعلان آرائه السياسيـة التي تدعو الى التشبث بالعدل والنزاهة والوطنية ، والى محاربة الاستعمار . فهو يقول مثلاً : « لا يتوطد السلام والاستعبـاد بعض دعائمه » . ويقول في مكان آخر : « من حسن حظ البلاد المفتوحة سوء ظنها بالفاتح وإن عدل ، لان هذا إذا عدل ففي ما لا يناقض مصلحته الاستعمارية التي هي في حد ذاتهـــا ظلم فاحش » . ويهزأ الدكتور البصير من الاستعمار بهذه العبـارة الساخرة : « احسن ما في الاستعمار دفعه البلدان المستعمرة الى مقاومته » كما لا يفوته ان يخص اذناب الاستعمار باحدى عباراته، فيقول : « في ثقة المستعمرين باحد ابناء المستعمرة مـــا يجوّز الشك بل يستوجبه في وطنيته وكفايته على السواء » .

وللاسف ان المجال لا يتسع في هذه العجالة لايراد العبارات القوية النفاذة الاخرى التي تضمنها باب « السياسات » إذ يحتوي على مائتين وخمس وخمسين عبارة ، كل منها تناقش بايجاز رأياً من الآراء أو تقرر حالة من الحالات او توضح حقيقة من الحقائق. والواقع انني لم اختر منها سوى القليـــل الذي يصور بعض الجوانب من وضعنا السياسي تصويراً صادقاً جريئاً . ولكنني لن اختم كلمتي عن كتاب «خطرات» قبل ان اقتطف من الباب المذكور بعض العبارات الرائعة. ومنها : « لا تتمتع الحكومة بعطف الشعب إلا إذا كانت منه وله » . و « لا ادري كيف يدبّر امور الناس قوم عجزوا عن تدبير امورهم » . و « يحب المرء وطنه ما يسر له ثلاثة: الرزق والعدالة والجمال » . و « من لم يؤد واجبه نحو وطنه كان عوناً لأعدائه عليه » . و « بئست الوطنية تلك التي تبدأ حماسة ملتهبة وتنتهي انانية جامحة مرائية ». و « من الصعب جداً ان يفلح شعب لا يعمل افراده لمصلحتـه الا بقدر ما تقتضي دعايتهم لأنفسهم» . و « ليس هناك على وجه الارض شعب أجدر بالحياة من ذلك الذي يدرك منفعتـــه وينتخب حكامه انتخاباً تتجلى فيه يقظته وهيمنته الكاملة على شؤونه ومصالحه » . و « لا قيمة لمعارضة لا يؤيدها الشعب » . و « اذا فشلت المعارضة المخلصة في الاستيلاء على الحكم عن طريق الكثرة البرلمانية لم تفشل في الاستيلاء على ثقة الجمهور الذي لا يبعد ان يقودها الى دست الحكم » .

هذه بعض العبارات الجريئة الصادقة التي لم استطع ان اتغاضى عن ايرادها ، وهي ليست بافضل ما احتواه الكتاب . والحق ان الدكتور البصير اضاف بكتابه هذا ثروة وافرة اخرى الى ثرواته السابقة .

بغداد **شاكر خصباك**

بائع العنب

قصة جديدة

بقلم علي بدور

أما زال هناك من يتحدث عن العصامية ؟ لا أما اسخف القول الذي يقال في غير محله .. إنه كالتينة التي تسقطها الريح على الارض ، غير ناضجة !!

ان حياتي سلسلة من الاخفاق .. وهأنذا امسك بيدي آخر حلقاتها وما زلت بعد شاباً. ان تحت هذا الجلد الرقيق الاصفر، عظاما رخوة لم يهدّ منها شيء بقدر ما هدّ منها برد سني اليفاعة التي نشأتها تحت ظل سميك من الفقر والقهر والعذاب .

ما زلت اذكر كيف قضيت اشهر احد الاصياف بكاملها وانا اصيح من الصباح حتى المساء : عنب .. يا عنب ! كنت استيقظ مع الفجر حين كان أثرياء المدينة يعودون من دور اللهو، فأهرع الى الخان مع الهارعين وأقف لأزيد في ثمن « سحارة » العنب ذات المائة والعشرين كيلو .. وكنت اصغر من يقف في الحلقة .. لم يكن في وجهي شعرة ما . كانت الحلقة تضم ما تنافر من عبيد الرغيف .. بوجوههم المتعبة ، وايديهم المعروقة، ولحاهم الطويلة التي لم تمر عليها موسى الحلاق منذ العيد الماضي، وسراويلهم الكبيرة التي يتسع كل منها لجثة قتيل كاملة دون ان ينفذ منها قطرة دم واحدة !! وكنت غالباً ما اوفق الى الحصول على « سحارة » عنب ...
فأعود بها الى الساحة الصغيرة التي تتوسط مفارق اربعة يؤدي كل منها الى حي شعبي من احياء مدينتنا العزيزة !

كان رغيف الخبز ما يزال مربوطاً الى بطني بحزام جلدي عريض انه قوام مأدبة الفطور الى ان يتجمع لديه بعض هرور العناقيد !

كان الناس يعجبون من هذا الصبي الذي لم يبلغ السادسة عشرة من العمر بعد ، وهو يبيع العنب ، شأنه في ذلك شأن الكبار من الرجال وكان اكثر عجبهم يتركز في هذا الوجه الذي لا تلوح عليه الا دلائل النعمة والترف .. ولم يكن الناس في ظنهم كاذبين .. ولكنها الايام التعيسة التي لحقت بعائلتنا .. عاد ابي من القرية وهو نصف رجل . لقد فقد يده ورجله نتيجة الشلل .. وليس لنا جدار قائم ، او غرس منتصب او زرع ينضج حبه في ايار .. فقد مر الصيف كله وانا ما زلت ابيع العنب وما كنت اتحرج من شيء ، تحرجي من مرور احد زملائي في المدرسة .. إذ كان هؤلاء الزملاء كثيراً ما يمرون وفي ايديهم السلال الكبيرة ليملأوها من السوق، وقد يمرون عليّ في بعض الاحيان لشراء ما يلزمهم من العنب ، وكذلك مرور هؤلاء الفلاحين الذين كنت اعرفهم ، وكانوا يعرفون ابي .. ابي الذي اشتغل ناظراً على عدة قرى مدة ربع قرن ، وعاد الينا مشلولاً .. مسكين انت يا ابي ، ولكنني مسكين اكثر منك !

كل همومي كانت تنسى وكذلك كل متاعبي ، حين اعود مساء الى البيت حاملاً «الفرش» وفيه هرور العنب ، فتتلقاني امي ببسمة عريضة عميقة ، ودمعة كانت تحاول جاهدة ان تخفيها عني . كان الهرور فاكهتنا المفضلة وكذلك مؤونتنا من الخل لعام بكامله . ومن ربحي اليومي الذي لم يكن ليتجاوز الثلاث الليرات، كنا ندخر ليرة في كل يوم.. من اجل شراء بزة جديدة لي ، فالبزة التي صنعتها لي امي عند جارنا الخياط من «الحرام» العتيق ، قد اشرفت على الهلاك بعد ان زاملتها ثلاث سنوات.
فهذه الليرة هي زادي لغدي ، ثمناً لثيابي ولحذائي الاسود الذي واعدني الحذاء به في اوائل تشرين الاول ، وكذلك القسط المدرسي.. هذا القسط اللعين.. يا إلهي أيطلب مني انا كذلك ان ادفع للدولة قسطاً من أجل العلم؟ انا الذي يجف حلقي في كل نهار اكثر من مائة مرة، من الصراخ عالياً : يا عنب ، يا عنب ؟ ! ولكن لا بأس ألم اصبح رجلاً ؟ ألم اصبح سيد بيته ؟ ألم اصبح بائع عنب ابيعه من الناس بثمن رخيص وبربح معتدل فازاحم جيراني الباعة ، اولئك القساة الذين ما كانوا يشفقون عليّ.. كان دأبهم مضادتي ، ودأبهم مجاذبتي الزبائن.. وكانوا كثيراً ما يغرون شرطي البلدية بي .. وبخاصة شرطي السير ، فكان ينتصب امامي كالمئذنة ، بسترته المكوية ووجهه الذي كان املس من كثرة ما تمر عليه موسى الحلاق حتى ليكاد الذباب ينزلق إذا حط عليه ، وحذائه اللماع ، إمعاناً في النظافة !

لم اكن لأحقد عليه لأنه يؤدي واجبه ، فالفساد إنما يأتي من أعلى، وما هؤلاء إلا مخالب قطط، وكذلك لم اكن لأحقد على جيراني الباعة لأنهم كبار ، ولهم عوائلهم ، ولديهم اولاد إذا جاعوا بكوا .. ولكن يا للغباوة .. كم أبدو إنساناً الى هذا الحد ؟! ألست انا كذلك رب عائلة ؟.. اب مشلول وأم

حزينة ؟ ألست انا كذلك اذا جعت بكيت ؟!

هذا يكفي لان يملأ عيوني بدموع حارة ، فيلتف المارة حولي يشخصون الي بأبصار وانية وافواه مفتحة — وقلوب موصدة دون كلمة الحق ثم لا يلبثون ان يمضوا ذاهبين .. ان الحياة في هذه السوق اشبه بالمسرح الكبير الذي اختلط فيه النظارة بالاوركستر ووقف المايسترو يمسح بمنديله الحريري ما علق بعصاه من غبار فوضى الالحان المشوشة ويتأمل بابتسام ذلك الجنون البشري على مسرح اكبر .. قد لا تنظم آلاته يده الرقيقة بعصاها الرشيقة بقدر ما تنظم فوضاها عصا اغلظ ويد لا تعرف الرحمة !!

ان انس لا انس ذلك اليوم القائظ من ايام تموز ، حين مرت سيارة المستشار الاجنبي ، مسرعة ، فصدمت «السحارة» التي كنت اقدمها نحو الطريق قليلاً لتجلب الانظار ، فوقفت السيارة بغتة ، وامتد وجه محتقن بدماء الغضب من نافذتها ، وبدأت اذني تسمع الفاظاً غريبة ما فهمتها ولكنني كنت افهم منها الشتائم المقذعة اذ استعنت لترجمتها بتعابير وجهه الشيطاني. ووصلني — عدا الشتائم — كثير من البصاق غير المهذب وكأن للغة الصالونات الادبية شيطاناً معقولاً فافلت من عقاله ؟! انه احد المستعمرين الذين اذلوا وطني ويريد اليوم ان يذلني ايضاً ، فهو يريد ان يبرهن للسيدة التي تجلس بجانبه ، قوته وجبروته وانه حقاً مستشار ذو شأن ، فلما امعن في ثورته خيل الي ان السيدة لفتت نظره الى انني صغير فمضى في سبيله .

ومنذ ذلك اليوم بدأت اخاف .. كان في رأسي الصغير اندفاع لا يحد ، ولكنه فتر قليلاً ، فقد تمادى علي شرطي السير ، وخاصة بعد ما شاهد عن بعد حادث المستشار ، وحماسته ، وخطبته وأثرها في نفوس الجمهور الذي تزاحم فوقي كرجل من الجراد .. ما لبث ان اتى على الميزان ، وبعض الاوزان الصغيرة ، وذهب ربح ذلك اليوم فداء لنزق المستشار العظيم !!

القلب الذي في صدري قلب طفل ، فلم اكن لاستطيع نسيان ذلك بسرعة . ان المستعمرين قد يضربون فمن سيسألهم ؟! قد يقودونني الى السجن فمن هو الآمر في هذا البلد غيرهم ، وغير اذنابهم من بعدهم ؟! وقد يترجل في المرة الثانية من سيارته ليقلب لي السحارة ارضاً ، ويمر سيارته السعيدة فوقها ، فيشربها هي الاخرى خمرة لم تعبأ في الدنان بعد ؟! وهؤلاء الناس الذين كانوا يلتفون حولي ، ما كانوا يفعلون شيئاً . اللهم سوى تزويدي بنصائح ثمينة بعد ذهاب شرطي السير وامثال هذا المستشار العظيم !

وفي الليل كنت اطمر رأسي في صدر أمي وأنشج .. وكنت في كل يوم اعيد عليها قصة المستشار .. وآخذ يدها لتمسح عن وجهي بصاق المستشار الذي كان ينبت في كل يوم خوفاً ومذلة .. وكانت هي الاخرى تنشج وتسأل الله ان يجزي المستشار عني كل شر !!

اما ابي فانه كان ينظر الي نظرات خرساء .. دون ان يشجعني او يخوفني العاقبة .. كان يعلم جيداً انني المنقار الوحيد الذي يلتقطون به الحب .. ويعلم ايضاً وايضاً انه وأمي لا يستطيعان ان يخطا في لوحة القدر اي حرف واحد زيادة على ما سطر لنا نحن الثلاثة ، فكانا يستسلمان لهذا القضاء الذي كنا نتسربله في كل يوم بلذة وغبطة قد تفوق لذة الجرح البليغ في لحظاته الاولى ان كان بسكين حادة !!

لم اذهب ذلك العام الى المدرسة ، لقد مرضت امي .. مرضت بسرعة فانهارت كشجرة نخرها السوس ، وسقطت طريحة الفراش بين يوم وليلة ، لم تتارض كما يفعل اغنياء مدينتنا اذ يسقطون صرعى الخوف من المرض قبل ان يعالجهم بمخالبه الحادة .

اسرعت الى الطبيب .. يا له من جائع الى المال .. لقد كان ذا معدة بلا قعر ، انه يأخذ مني عن كل ابرة ثلاث ليرات .. وربما كانت مملوءة بالماء ، او بمنقوع الكينا !! لا ادري . هكذا فسر لي عدم جدوى ابره جاري الخباز الذي ما فتىء يتحدث عن غش الاطباء لامثالنا المساكين !

بقيت ذلك العام بلا حذاء ، وضاع العربون لقاء استصناع هذا الحذاء الذي انتظرته ثلاثة شهور كاملة ، وكذلك لم ألبس البزة الجديدة التي حلمت بها — فعدت الى القديمة ذات الاصل المعروف .. حرام عتيق وحيد دنياه — ذلك الذي صار بقدرة قادر وهمة جارنا الخياط بزة تفقأ الحصرم في عيون اولاد الذوات !! وكذلك لم اذهب الى المدرسة لان ما ادخرته من اجل القسط قد طار .. اي والله لقد طار بعشرة اجنحة . إن امي بمرضها استنفدت كل ما ادخرته . فهي لذلك تمانع كل يوم في الذهاب الى الطبيب — لانها تعلم ان ما ادخرته يتبخر بسرعة ، ولكنني كنت اريدها ان تظل حية .. وكنت اعتقد انني اشتري لها عاجل دنياها بآجل دنياي . ويوم افتتاح

المدرسة بالذات لم اكن مع الذاهبين وان كنت كذلك لم أعد أبيع العنب فاوراق العنب قد يبست على اعوادها وكذلك العناقيد قد نفدت !

نظرت أمي وهي تتماثل الى الشفاء، نظرة حزينة الى الفراش الذي كان يمنع عنها رطوبة الارض الوافدة مع كل شتاء .. وكأنها كانت تقول لي بعيونها :

– ألا نستطيع ان نبيع بعض صوفه يا امين .. بقدر ما يعادل قسط المدرسة ؟

وكأنها نسيت ان المدرسة لا تقبل طلاباً في ارجلهم احذية ريفية حمراء، إنها تريدني ان انتعل حذاء مدنياً جديداً وان ارتدي بزة جديدة، وان ادفع القسط وان اساهم في النشاط المدرسي، وذلك كله، لا يوفيه ما في الفراش من صوف حتى ولو قلنا لأبي المشلول :

– قم عن فراشك يا ابي لندفع بثمنه ضريبة العلم !

جارتنا ام خالد ما زلت اذكرها بالخير .. انها هي التي حدثت ابنها عني، فدبّر لي عملاً كأجير عند احد باعة الغزل في السوق التي يعمل فيها .. كان معلمي الجديد، شاباً في حدود الخامسة والعشرين .. ولكن كانت له اطماع خمسة وعشرين محتكراً !! كانت ايام الاسبوع الاول اياماً صعبة، لانني اختلط بالتجار لأول مرة . وان كنت بعد لم افهم اطماعهم . كان منظر الوف الاوراق النقدية التي يعدها معلمي صباح كل يوم، يثير في نفسي، ما هجع من احلامي في ثمن الحذاء والبزة وبدل القسط .. وكنت اعتقد ان معلمي لا يستطيع ان يفهم انه يظلمني بهذا التحدي ويستفز مشاعري دون ان يدري قط !

وجد معلمي الجديد فيّ منفذاً للاستثمار، فبدأ يحملني ربطات الغزل المباعة للتجار . فكنت احمل في اليوم ما ينوف عن المائة ربطة بالمجّان .. أليس يدفع لي في الاسبوع ثلاث ليرات ؟! اي والله ثلاث ليرات !. كنت اشعر ان ايام العزّ قد مضت مع موسم العنب، كنت يومذاك اربح في اليوم الواحد مقدار ما اناله في الاسبوع بايامه الستة، وكان ان اشتريت باجرة الاسبوع الاول حذاء عتيقاً، وذلك حسب رغبة معلمي التي افضى لي بها وهو يناولني اجري الاسبوعي بقوله :

– ان « الصرماية » العتيقة التي تنتعلها، ليس من اللائق ان تدخل المحل .. انني آمل ان اراك يوم السبت بدونها !

ما زال هذا الحذاء عندي الى اليوم .. كذكرى حية من ذكريات أيام شقية زالت .. ولكن ما زال إعصارها يهب عليّ فيسلبني اعز احلام الشباب !!

في كل يوم كنت اذهب ابان الظهر لأعود اليه بغدائه .. كنت اجلس امامه، فاتناول غدائي وحدي خبزاً وزيتوناً، او خبزاً وحمصاً وبصلاً بيروتياً ابيض . وكان يأكل امامي بشراهة ارزاً ولحماً وفواكه، دون ان يدعوني لمشاركته طعامه ولو من باب المجاملة .. حتى ولو تبقى بعض الطعام. كان يجمع الاواني النحاسية، بعضها الى بعض، ويختم عليها بالكلاليب ويقول لي دون ان ينظر في وجهي :

– تستطيع ان تعيدها الى البيت لتنظفها الخادمة مع اواني المطبخ !!

انني احتقره لا لشيء، الا لأنه يعاملني معاملة فظة .. انه يحملني ربطات الغزل، كحمار الحمال ابي محمود، دون ان يدفع لي ما كان يدفعه لأبي محمود، ويرسلني الى البيت لجلب غدائه، دون ان يدعوني لمشاركته، وان كنت قد صممت بعد اليوم الاول ان امتنع عن اجابته ولو كنت سأموت جوعا !

في اكثر الاحيان كنت اسخر منه ومن امثاله في هذه الحياة، ولكن دون ان يظهر صدى ذلك عبر الشفاه .. كانت السخرية تنتشر فيما بين الضلوع، ولهذا السبب وحده، بقي القلب سليما، والرئتان كذلك، وان كانت المعدة ما زالت تشكو قلة اسباب الرفاهية !

وما زلت الى اليوم اضحك من الذين يتكئون على الارائك ويحدثون الجيل الجديد عن العصاميين والعظاميين ..

ألا ما اسخف القول الذي يقال في غير محله .. انه كالتينة التي تسقطها الريح على الارض، غير ناضجة !

حلب **علي بدور**

بحث الشهر



بقلم الدكتور قسطنطين زريق

منذ اقدم الأزمنة * يضطرب العقل الانساني بين فكرتين متناقضتين : هما فكرة الثبات والدوام ، وفكرة التغير والتبدل . فطوراً يميل الى الأولى ويؤمن بانها الحقيقة الأساسية في الكون والحياة ، وطوراً يخضع للاخرى وينظر الى ماحوله بمنظارها وتحت تأثيرها . حيناً يخلد الى الاستقرار متمسكاً بحقائق وعقائديعتبرها أزلية متعاليةعن ظروف المكانوالزمان، وحيناً آخر يسبح في بحران من الشك والاضطراب موقناً بان كل ما حوله متبدل زائل .

واذا نحن أمعنا النظر في حالة العالم اليوم وجدنا ان الفكرة الثانية هي الغالبة . فتقدم العلوم التطبيقية والفنون العملية وما احدثه من تطور سريع بالغ في حياة الانسان المادية ، وما كان له من اثر في تعديل النظم الاجتماعية والمقاييس والمفاهيم العقلية ، وما وقع فيه العالم بنتيجة هذا من أزمات حادة ومن منازعات وحروب شاملة — كل هذا قوى في المجتمعات البشرية اليوم الشعور بان كل شيء هو وليد الظروف التي تحيط به ، يتحول او يزول بتحول هذه الظروف او زوالها .

ولذا كان من الخير ان نعود بين آن وآخر في هذه الأيام الى تبين العناصر الثابتة الباقية من خلال التغير والتطور ، والى تلمّس الحقائق غير المتأثرة بالمكان او الزمان او سواهما من الظروف ، وان نذكر ان الواقع الانساني هو دوماً وليد عاملين مترافقين متفاعلين : هذه الحقائق الثابتة من جهة ، ومن جهة ثانية مقدرة العقل الانساني على إدراكها وتكييف الحياة بحسبها . وما الاختلاف الذي نشاهده في مظاهر الحياة وفنونها واساليبها سوى اختلاف في مقدرة العقل ، في مراحل تطوره المتتابعة ، على إدراك هذه الحقائق ، وفي مدى قربه منها او بعده عنها ، ودرجة خضوعه لها او ثورته عليها .

وموضوع هذا البحث — التربية العربية — مثل واضح على ما اقول . فأهداف التربية هي واحدة — او بالأحرى يجب ان تكون واحدة — مهما اختلفت الأمم او البلاد او الشعوب ، لأنها مرتكزة على أصل ثابت هو الانسان ، الانسان أينما ومتى وكيفما كان . والتربية العربية لا يمكن ان تفترق في غاياتها الرئيسية البعيدة عن اية تربية اخرى ، ما دامت كل منهما ترجع الى اصلها الانساني الواحد . هذا الأصل هو ان الانسان كائن ذو شخصية ، وانه يتفرد عن الكائنات الأخرى بهذه الصفة ، وان الغاية التي يجب ان يسعى اليها هي تفتح هذه الشخصية ونُموّها ، واكتسابها الحرية والكرامة . فالانسان البدائي عبد: عبد للطبيعة التي تسطو عليه بمعالمها وقواها ، وعبد لنفسه التي تتحكم به باوهامها وأهوائها . وتقدّمه ونموه وحضارته انما تقوم على مدى ما يتحرر من هذه العبودية المزدوجة ، وما يحقق بذلك من كرامته الذاتية .

ان جميع الجهود الايجابية الانسانية : كالثورة على الظلم بشتى انواعه ومظاهره ، والاصلاح الاجتماعي بمختلف اشكاله ، والانتاج العلمي والأدبي والروحي ، والتربية والتعليم ، كلها تتجه الى هذه الغاية الأصيلة وتسعى الى إدراكها . وللتربية من بينها دور بارز ومقام ممتاز . ذلك لسببين : اولهما فعلها المباشر واثرها النافذ ، فهي تتوجه الى الشخصية الانسانية رأساً وتعمل لتحررها من الوهم والجهل والهوى ، منمية قواها العقلية والروحية ، باعثة إياها على التمييز بين قيم الحياة وعلى اكتساب ارفعها واصفاها . قد تكون بعض الوسائل الأخرى اسرع من

* محاضرة ألقيت بمؤتمر الدراسات العربية في جامعة بيروت الاميركية .

التربية فعلاً ، وأبين اثراً ، ولكن نتائج التربية تظل اعمق غوراً واقوى ترابطاً واكثر استمراراً وتراكماً . اما السبب الثاني فهو ان جميع الجهود الاصلاحية الأخرى موقوفة الى حد ما عليها ، لأنها هي التي تصل بينها وتنقلها من جيل الى جيل ، وتوجد العناصر البشرية الكفيلة بتنفيذها وبدفعها في سبيل التقدم والتكاثف . أليست التربية هي التي تغرس في النفوس تعاليم الثورات الاصلاحية والاندفاعات التقدميه فتحفظ نتائجها وتمهد لما يأتي بعدها ؟ أليست هي العامل الأساسي في نقل الاكتشافات العلمية والانبعاثات الروحية ، وفي نشرها وتعميم ثمارها ؟ أليست هي التي تكوّن الرجال والنساء المؤهلين للنهوض بهذا كله ، بل بكل إنتاج منتظم تقدمي ؟ ؟ إذن لا بدع ان يكون لها – كما قلنا – بين الجهود الايجابية الانسانية المقام الممتاز والأثر البارز .

على ان هذه النظرة الى التربية – كعامل اساسي في تحرر الشخصية الانسانية واكتمالها واكتسابها كرامتها الذاتية – لم تكن هي النظرة السائدة في جميع العصور ، ولعلها ليست السائدة في عصرنا هذا . إذ كثيراً ما كانت التربية تعتبر وسيلة لتلقين معلومات معينة ، او للتدريب على مهنة من المهن ، او تنمية ناحية واحدة من الشخصية الانسانية ، كالتفكير النظري او الوضوح الذهني . وما يزال الأمر الى حد كبير كذلك في وقتنا هذا . غير ان المفهوم الصحيح الشامل للتربية كما بيّنا آخذ في الاتضاح والانتشار ، وعلى مدى هذا الاتضاح والانتشار يتوقف ما يرجى من إصلاح في التربية نفسها ، وفي المجتمع الانساني عموماً .

★

ومفهوم التربية العربية لا يمكن ان ينفصل عن هذا المفهوم العام للتربية . فالتربية العربية يجب ان تهدف الى تنمية شخصيات افراد المجتمع العربي لتحرر من الفقر والمرض والجهل والهوى ولتحقق كرامتها ، فتتحقق للمجتمع العربي عامة حريته وكرامته . غير ان هذا المجتمع هو الآن في موقف معين من تاريخه ، وفي مرحلة من مراحل تطوره ، فلا غرابة في ان تتأثر التربية العربية في غاياتها ووسائلها بهذه الظروف المعينة ، وان تتفاعل وهذه الظروف فتقترب حيناً وتبتعد حيناً آخر من الهدف الأصيل للتربية الصحيحة .

ولكي نفهم التربية العربية الحاضرة ، ونحكم بانصاف لها او عليها ، يقتضي ان نقف على حال المجتمع العربي ونطلع على القوى التي توجهه والحاجات التي تستنهضه .

ان اهم هذه الصفات والحاجات هي ، في نظري ، ما يلي :

اولاً : انه مجتمع في المرحلة الاولى من نهضته . فلقد مضت عليه قرون أخضع فيها لحكم اجنبي انضب موارده ، واطفأ اضواءه العقلية والروحية . وها هو الآن ينشط وينبعث ، ويتلمس طريقه الجديدة في الوجود . فهو في اكثره فقير ، جاهل ، مريض . هو فقير لان موارده الطبيعية اما في يد غيره او لا تزال بوراً لم يستغل منها الا القليل ، ولان هذا القليل المستغل ليس موزعاً توزيعاً عادلاً بين افراده . وهو مريض وجاهل لان عصور الظلام التي تتالت عليه افقدته حيويته ، وجعلته مستعبداً لسلطان الطبيعة ولسلطان اوهامه واهوائه . ولذا فان اولى حاجاته الاساسية هي الى تحرير جماهيره من هذه الامراض الاجتماعية الطاغية عليها : الفقر ، والمرض ، والجهل ، وما يتولد عنها من علل فتاكة اخرى .

ثانياً : انه في مطلع هذه النهضة مقبل على تنمية موارده ، بتوسيع الزراعة والصناعة والتجارة ، والمواصلات ، وتحسينها . لقد نفذت اليه مؤثرات المدنية الغربية واحاطت به من كل جانب . ولما كان الوجه التكنيكي الانتاجي من هذه المدنية هو الابرز ، وكان المجتمع العربي قد اخذ يتنبه بسرعة متزايدة لحاجاته المعيشية والقومية ، فقد عمد افراده وجماعاته وحكوماته للعمل على استخراج موارده الدفينة واستثمارها . فبذلوا جهوداً ناشطة تتعاظم سنة بعد سنة ، ولكنها لا تزال في المراحل الاولى بالنسبة للامكانيات الغزيرة ، وللحاجات الوافرة التي تفرض نفسها بازدياد والحاح .

ثالثاً : ان المجتمع العربي الحاضر يحاول إيجاد اجهزة جديدة للحكم وللتنظيم الاجتماعي بشتى وجوهه . فتنمية موارده الاقتصادية تستدعي تنظيماً يختلف عن حياته الاقتصادية البسيطة السابقة ويتبع قواعد التنظيم الاقتصادي الحديث المتشابك المعقد . وكذلك القول في شؤون الدفاع والاصلاح الاجتماعي والتنسيق الاداري وما اليها . ويدخل في هذا كله ويسيطر عليه الجهد في انشاء حكم دمقراطي يكون للشعب الكلمة الاولى فيه ويوجه لمصلحة الشعب ذاته . وبعبارة اخرى ان المجتمع العربي مدعو الى اقامة تنظيم دولي حديث بما يستتبع من ترتيب وتنسيق في الشؤون الداخلية ، وما يقتضي من اتصال بالدول الاخرى في عالم قد تعددت روابطه وتوثقت صلاته ، ولم يعد

بامكان اي مجتمع من مجتمعاته ان يعيش بعزلة عن سواه .

رابعاً : ان المجتمع العربي متعدد النزعات التي تتقاسمه والعصبيات التي تتوزعه ، وفي مقدمتها الطائفية والقبلية والاقطاعية والاقليمية. وهو يحاول التغلب على هذه النزعات، وصهرها في بوتقة واحدة – بوتقة القومية – ، ولذا يحتاج الى ما يمكنه من توثيق وحدته وجمع كلمته وضم جهود ابنائه المتفرقة – المتنافرة احياناً – الى غاية واحدة في سبل متوافقة متساندة .

خامساً : انه مجتمع محاط بالاخطار الخارجية : خطر الاستعمار السياسي الذي لا يزال جاثماً على بعض اجزائه ، والاستئثار الاقتصادي الذي يتحكم بقسم هام من موارده ، والاطماع المختلفة التي تحيط به من كل جانب ، وخطر حرب عالمية عاتية تكون بلاده ميداناً من اهم ميادينها وتتعرض فيها جميع مظاهر حياته للتبديد والتهديم والزوال – وقبل هذا كله ، وفوق هذا كله خطر اسرائيل التي غلبته على امره ، واقامت كيانها في قلب وطنه وهي تستعد الآن لجولة ثانية في صراع لا يستهدف مالاً او غنيمة وانما ارض الوطن ذاتها والوجود القومي في كنهه ، صراع حياة او موت لأي من الفريقين .

فمن حاجات المجتمع العربي الاساسية أن يتنبه الى هذا الخطر ويشعر بجسامته ، وان تكوّن فيه الصفات التي تؤهله للصمود في وجهه ثم التغلب عليه .

سادساً : انه مجتمع حائر بين تراثه القديم والمدنية الحديثة ، فهو من ناحية يتحسس بمدنيته العربية الغابرة ، ويرغب في تمتين اصوله المغروسة فيها ، ويفاخر بما انتجت هذه المدنية في زمن ازدهارها وما اغدقت على العالم من ثقافة وحضارة ، ويسعى إلى ان يبعث في نفسه الصفات والمواهب التي ولدتها هذه القومية . ولكنه ، من ناحية ثانية ، محاط بالمدنية الحديثة تطل عليه من كل صوب ، وتفرض نفسها عليه بالحاح وتستهويه بنتاجها الايجابي الباهر وبمظاهرها المادية الخلابة. ولذا نراه ، على العموم ، متردداً بينهما ، منقسماً على نفسه في النظر اليهما ، لم ينجح بعد في ان يستخرج منهما قيماً منسجمة يسير اليها بوضوح وعزم. فهو بحاجة ماسة الى هذا التوفيق بين مصادر حياته العميقة ، التي تغذي جميع مجاري نشاطه .

سابعاً : ان المجتمع العربي يسعى الى جمع هذه المحاولات كلها التي اشرنا اليها في جهد شامل هو الجهد لانشاء كيان قومي يوفي هذه الحاجات الاساسية ، كيان متحرر من الاستعمار والتحكم الخارجيين ، نام منتظم اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، متغلب على الفقر والمرض والجهل وسواها من الآفات الاجتماعية كيان متراص موحد الغايات والنزعات ، شاعر بما يحدق به من اخطار غير هياب لها ، موفق بين تراثه القديم والمدنية الحديثة واصل صلة صحيحة ماضيه بحاضره ومستقبله . ولست اعني ان الفكرة القومية بمفهومها هذا هي السائدة في المجتمع العربي اليوم ، فهناك فكر وعقائد اخرى تنازعها ، كما ان القائلين بالقومية لا ينظرون اليها جميعاً هذه النظرة الجامعة الشاملة . وانما اعتقد ان هذه النظرة ، وهذا النوع من التفكير والجهد ، هما اللذان يقويان على الايام وسيسودان في المستقبل ، وهما المؤهلان لتحقيق اغراض المجتمع العربي وإدراكه غاياته .

ثامناً وأخيراً : ان المجتمع العربي المجابه لتلك الحاجات الاساسية ، المدعو الى بذل هذه الجهود الجبارة داخليا وخارجيا يتطلع الى قادة يحددون له الغايات ويخططون له السبل ويوجهونه اليها ، قادة فكر يوضحون ويرسمون ، وقادة عمل ينظمون ويدفعون . فكل ناحية من نواحي حياته تفتقر الى هذا النوع من القيادة ، وجهاده القومي العام بحاجة الى القيادة المختارة التي هي الشرط الاول لبناء الامم وانشاء الحضارة .

★

فلنتساءل الآن : الى اي حد تفي التربية العربية بهذه الحاجات ؟ ماذا حققت واين اخفقت ؟ وما هي السبيل التي يجب ان تتبعها لبلوغ غاياتها القريبة والبعيدة ؟

قبل محاولة الاجابة عن هذه الاسئلة ، لا بد من القول اولاً ان النظم التربوية التي انشئت في البلاد العربية لم ترتكز على دراسة شاملة منظمة لحاجات المجتمع العربي . لا شك ان هذه النظم تستهدف بعض الغايات التربوية العامة لهذا المجتمع ، او المجتمعات التي تؤلفه والتي من اجلها انشئت هذه النظم ، لا شك انها تسعى الى نشر التعليم ، وتنشئة المهنيين والاختصاصيين ، وتحقيق الوحدة القومية .

ولكن النظم بروحها وشكلها لم تأت نتيجة لايضاح مسبق لهذه الغايات وتحديد واف لحاجات المجتمع ، وعزم على توفية هذه الحاجات عن طريق التعليم . وانما نقلت هذه النظم نقلاً عن بعض النظم الغربية – الفرنسية والبريطانية – مع بعض تعديلات في البرامج والأساليب والوسائل لتتفق مع مقتضيات المحيط . ويجب ألا ننسى ان اسس هذه النظم ومعالمها الرئيسية

وضعت في زمن الحكم الأجنبي وبيد الأجانب انفسهم ، ولم يلحقها في عهد السيادة تبديل أساسي يصلها بالمجتمع ويمتن جذورها فيه . إني لست من الذين ينكرون الاقتباس من الغرب ، فالغرب لا شك سابق لنا بمراحل في شؤون التعليم وسواها ، وعلينا ان نستفيد من اختباره الواسع في هذه الشؤون كلها . انما يجب ان يكون اقتباسنا صادراً بالدرجة الأولى عن حاجاتنا الأصيلة وملبياً لها . كما يجب ان نسعى الى آخر ما توصل اليه الغرب من اختبار وإنتاج . وهذا لا يصدق على النظم التي اخذناها في حقول التربية والتعليم ، إذ هي اليوم في بلادها موضع شك وتساؤل ، وتعديل وتحسين . اما نحن فقد قبلناها على علاتها ، وما زلنا بها متمسكين .

من ضمن هذا التحفظ ننظر الى التربية العربية ونحاول قدر النتائج التي حققتها .

قلنا ان المجتمع العربي لا يزال في المرحلة الأولى من نهضته وان الفقر والمرض والجهل وما ينتج عنها من امراض اجتماعية فتاكة لا تزال ساطية عليه . ولذا كانت حاجته الأولى ، من الناحية التربوية ، هي الى مكافحة الجهل . ولا ريب ان الحكومات العربية والأفراد والهيئات الأهلية قد قامت بجهود عظيمة في هذه السبيل . فدساتير الدول العربية الديمقراطية تنص على واجب الدولة في تعميم التعليم وتمكين أبناء الأمة منه ، وفي مكافحة الجهل والقضاء على الأمية . وعدد الطلاب في المدارس ، وعدد المدارس نفسها ، في ازدياد مستمر ، يدعو في بعض الحالات الى الفخر والاعتزاز ، ولعل من الضروري التنويه بصفة خاصة بالتوسع العظيم الذي حدث في تعليم البنات ، مما لم يكن منتظراً حتى عهد قريب . كما تجب الاشارة الى الارتفاع المتزايد في نفقات التعليم التي تتحملها الدولة ، وفي النسبة المخصصة من ميزانيتها لهذا الغرض .

لست بحاجة الى ذكر الأرقام والاحصاءات ، اذ يمكن الرجوع اليها في حولية الثقافة العربية التي وضعها العلامة الأستاذ ساطع الحصري ، وهي كلها تدل على الجهد النامي الذي يبذل في المجتمع سعياً الى هذا الهدف . كما ان هناك ظاهرة لا تنكر في جميع البلاد العربية يراها ويحس بها كل منا : هي اقبال الشعب على التعلم ، وازدياد الطلب على الحكومات لفتح مدارس جديدة وتوسيع ابواب العلم ، والتضحيات التي يبذلها افراد الشعب في سبيل تعليم ابنائهم وبناتهم . والحكومات تشعر بضغط متزايد لانماء جهودها في هذا الميدان ، وتلبية المطالب الشعبية المنصبة عليها من كل ناحية .

على ان هذه الجهود تصطدم بعقبتين كؤودين : اولاهما امكانيات الحكومات المادية ، فان هذه الحكومات اذا استمرت على تحمل هذا الواجب على النحو الذي فعلت في السنوات الأخيرة ستجد نفسها عاجزة عن القيام به ، اذ انه يتطلب نسباً متزايدة من ميزانياتها ، ويشل فاعليتها في الميادين القومية الأخرى . ولمواجهة هذه الصعوبة يقتضي اولاً : إلقاء جزء من هذا العبء على السلطات المحلية ، كالبلديات وامثالها ، فتساهم هذه في تقديم ابنية المدارس او سواها من النفقات . لقد عمدت بعض الحكومات العربية الى محاولات من هذا القبيل ، ولكن هذه المحاولات لا تزال في مراحلها الأولى ، لم تأت بعد بالنتائج المطلوبة . ثانياً : تشجيع الهيئات الشعبية على تأسيس المدارس ، وبسط شيء من العون لها في هذه السبيل ، شرط ان تلتزم الأهداف القومية المفروضة في تربية النشء . ان في هاتين الخطوتين فائدة مزدوجة ، فمن ناحية ، تخفيف عن كاهل الحكومة المركزية الذي اخذ ينوء بتبعات التعليم المالية ، ومن ناحية ثانية إثارة لاهتمام افراد الشعب وجماعاته بشؤون التعليم في مناطقهم ، بحيث تصبح المدرسة لا جزءاً من جهاز الحكومة ، بل خلية من خلايا المجتمع تتفاعل والخلايا الأخرى تفاعلاً حياً لنمو المجتمع وتقدمه . اما الخطوة الثالثة فهي الخطوة الرئيسية ، ومؤداها تنمية موارد الأمة وتحقيق امكانياتها الاقتصادية وتوفير دخلها القومي ، ثم فرض الضرائب الضرورية العادلة على افرادها . ويجب ان نذكر ان تعميم التعليم الابتدائي لم يتحقق في الغرب الا بقدر ما تم لامه من نهضة صناعية استغلت مواردها على نطاق واسع ومن استعداد عند افرادها لتأدية واجبهم من الضرائب والتخلي عن قسم متزايد من دخلهم لحكوماتهم .

على ان العقبة المالية قد تذلل وتبقى العقبة الثانية ، وهي ايجاد المعلمين . فالبلاد العربية بحاجة الى عشرات الالوف من المعلمين للقضاء على الامية ونشر التعليم . وتنشئة المعلم اشد صعوبة وابعد منالاً من ايجاد المال ، لما تتطلب من زمن للاعداد ولما تفرض من اختصاصيين للقيام بهذا العمل . وهكذا دوماً شأن الامور الانسانية ، لا تتحقق باليسر والسرعة اللذين تتحقق بهما الامور المادية . وان هذه الصعوبة في توفير

المعلمين لتعظم وتشتد إذا لم تستهدف الكم فحسب ، بل الكيف ايضاً ، واردنا ان نهيء للجيل الجديد العناصر الصحيحة المؤهلة حقاً لهذه المهمة الخطيرة . لهذا كان من اهم الغايات التي يجب ان تنشدها التربية العربية في هذه المرحلة من تطورها العناية المستمرة بدور المعلمين : زيادة عددها ، وتعزيزها ، ورفع مستواها ، وذلك بتوفير الاعتمادات الوافية لها ، وبايجاد الاختصاصيين القادرين على تعهدها ، وبكل وسيلة اخرى تكفل تخريج المعلمين الذين تحتاج اليهم البلاد العربية كما وكيفية .

لقد نجحت التربية العربية ، ضمن الحدود والقيود التي ذكرنا ، في القيام بواجبها في نشر التعليم ومكافحة الامية . كما نجحت ، ضمن حدود ايضاً ، في رفع مستوى التعليم عما كان عليه . فانا إذا نظرنا الى البلاد العربية نظرة عامة وجدنا بلا ريب ان هذا المستوى قد ارتفع عما كان عليه قبل ادخال النظم التربوية الجديدة ، واخذ الدول العربية على عاتقها هذا القسط الكبير من واجب التعليم . فالمدرسة الابتدائية اليوم هي غير الكتّاب وامثاله من المدارس القديمة ، والتعليم الثانوي الذي كان في غاية الضآلة قد تركزت اصوله وهو آخذ بالنمو السريع ، والتعليم الجامعي الوطني قد غُرس وتُعُهد وبدأ يعطي اول ثماره .

هذا فيما يتعلق بالحاجة الاولى للمجتمع العربي : مكافحة الجهل . اما الحاجتان الثانية والثالثة وهما تنمية الموارد وانشاء اجهزة الحكم والتنظيم الاجتماعي ، فان نجاح التربية العربية في تلبيتهما كان وما يزال ادنى كثيراً من المطلوب ، وذلك لعيوب اساسية في النظم التربوية التي اتبعتها البلاد العربية في جميع مراحل التعليم : الابتدائي والثانوي ، والجامعي . فمركز الثقل في التعليمين الابتدائي والثانوي هو التعليم النظري التقليدي . والمدرسة الابتدائية هي على العموم نفسها في الريف وفي المدينة مع ان حاجات ذاك غير حاجات هذه . ان المطلوب من المدرسة الابتدائية الريفية هو ان تكسب ابن الريف مبادىء المعارف وتجعله بالوقت نفسه عضواً منتجاً لمجتمعه بما تلقنه اياه من مبادىء الزراعة الحديثة وحفظ الصحة وامثالها من مقتضيات محيطه . اما مدرستنا الابتدائية الحاضرة فانها بروحها ونظامها وبرنامجها تبعد ابن الريف عن ارضه وتنفره منها ، وتدفع به الى المدينة لمتابعة دراسته النظرية او لطلب الرزق من اعمال ليست في اغلب الاحوال انتاجيه كالعناية بالارض . ولذا بدلاً من ان تكون هذه المدرسة عاملاً في تنمية موارد البلاد تصبح اداة لاقصاء النشء عن الارض واهمال امكانياتها . انني لست من القائلين بحصر ابناء الريف في مناطقهم ، وعدم استفادة مراكز الحضارة والحكم من مواهبهم — فالامة تحتاج في تكوين قيادتها الى ما عند ابناء الريف من مواهب فطرية ونشاط طبيعي واتصال عميق بارض الوطن وتقاليده . ولكنها اذا استنزفت الريف ، خسرت اهم مصدر من مصادر قوتها . والتربية اذا اتجهت الى هذا الاستنزاف — كما تتجه التربية العربية اليوم — اعرضت عن هدفها الصحيح وجرت البلاد الى عواقب وخيمة .

والحال نفسها نجدها في التعليم الثانوي . فالقسم المهني منه ضئيل جداً بالنسبة الى القسم النظري . والحكومات والاهلون لا يبذلون له من العناية بقدر ما يتطلبه انماء موارد البلاد . ولا اظنني بحاجة الى ايراد الادلة والاسناد لأبيّن ان الشريان الرئيسي للتعليم الثانوي في البلاد العربية (واعني به ذلك المؤدي الى الشهادة الثانوية العادية) هو نظري بحت يكاد يكون خلواً من اي اتجاه عملي ، وان الشرايين الفرعية الموازية له — التعليم الصناعي والزراعي والتجاري — ضيقة ضعيفة بالنسبة إليه . فالمدارس المهنية قليلة العدد ، وهي لا تحتلّ في نظر الحكومة والرأي العام مقامها اللائق ، كأنها وقف على الفقراء المحتاجين او الذين يلفظهم التعليم النظري . ونتيجة لهذا كله تجد البلاد نفسها مفتقرة الى المهنيين المدربين على المساهمة في الأعمال الانشائية الانتاجية ، بينما هي تعج بالشبان الساعين الى الوظائف غير المؤهلين للانتاج المنمي موارد البلاد ، المحقق قابلياتها .

وكذلك الأمر في التعليم الجامعي . ان نتاج الجامعات في البلاد العربية غير متفق مع ما تحتاج اليه البلاد من إنماء وتنظيم . فالمهندسون والكيميائيون والزراعيون والمختصون بعلم طبقات الأرض والتعدين اقل من الأطباء والمحامين . ولهذا كانت مساهمة جامعيينا في الانماء الاقتصادي دون المطلوب في هذه المرحلة من حياتنا التي ندعى فيها لتفجير مواردنا واستغلال امكانياتنا الى ابعد حد ممكن . ونكاد نقتصر في سد حاجتنا الى التنظيم على تخريج الحقوقيين ، بحيث اصبحت شهادة الحقوق عندنا السبيل الرئيسي لوظائف الحكومة ولكثير من الأعمال الحرة . اين المختصون بالاقتصاد والمالية والتجارة الذين يعتمد عليهم في تنظيم هذه النواحي الهامة من حياتنا ؟ ؟ اين الذين

انكبوا على العلوم الاجتماعيـــة ليوضحوا لنا مشاكل الأسرة والعامل والفلاح والفئات غير المنسجمة في المجتمع ، ويرسموا لنا طرق حلها ؟ بل اين الذين انصرفوا الى دراسة شؤون التربية نفسها ، ليعمدوا الى تنظيمها على ضوء احدث نتائج العـــلم والاختبار ؟ الحق ان تعليمنا الجامعي مقصّر – كالتعليمين الابتدائي والثانوي – في سد حاجة الأمة الى الانماء الاقتصادي، ورفع مستوى معيشة الشعبُ . ومقصر كذلك في ما يرجى منه ، دون ذينك التعليمين ، من توفير الاختصاصيين المؤهلين للقيام بشؤون التنظيم في شتى نواحي حياتنا .

لقد ذكرنا ان من الحاجات الرئيسية للمجتمع العربي الحاضر توثيق عرى تضامنه وصهر نزعاته المتباينة في بوتقة واحـــدة . والناظر في امر التربية العربية يرى انها استهدفت هذه الغاية . غير انها سلكت طريقاً بعيدة معوجة لم توصل اليها ، وأدت بالوقت نفسه الى مساوىء تربوية واجتماعية خطيرة. هذه الطريق هي المركزية الشديدة في الادارة، ووحدة البرامج ، وسيطرة الدولة على الامتحانات والكتب الدراسية وسواها من شؤون التعليم،والسبل المماثلة التي يعتقد خطأ انها تحقق الوحدة القومية. اجل ! ان من حق الدولة ، بل من واجبها ، ان تتأكد ان المعاهد العلميـة تعنى العناية الكافية بلغة البلاد وتاريخها ودراسة احوالها الحاضرة ، كي لا يصبح ابناؤهـــا غرباء في وطنهم . وكذلك من حقها – بل من واجبها – ان تسهر على ان تكون الكتب التي توضع بين ايدي النشء موافقة للأهداف الوطنية ، عاملة عـلى بعث الروح القومية وتقوية رابطتهـــا . ولكني لا ارى ان في توحيد برامج المواد العلمية – مثلاً – ما يؤدي الى هذه الغاية .

ان تعزيز الوحدة القومية بالتربية له عندي سبيل رئيسيـة واحدة ، هي المعلم . المعلم هو نقطة الانطلاق وخاتمة المطاف . وشخصيته اقوى عامل فعال في نفس الطالب . فقد ننظم افضل المناهج ، ونحرص على ايجاد احسن الكتب التدريسية ، ونبقى دون الوحدة القومية المرجوة اذا كان معلمونا ضعاف الأخلاق والقومية ، مختلفي المنازع والأهواء . وبالعكس إنا بالغو هذه الوحدة عن طريق التربية اذا أحسنا اختيار المعـــلم وجهزناه تجهيزاً صحيحاً علمياً وخلقياً وقومياً ، حتى لو ظلت مناهجنا خاطئة وكتبنا فاسدة . فالى العناية بالمعـلم : بحسن اختياره ، بصحة تدريبه ، بتنمية روح المسؤولية فيـــه ، ببعث روحه القومية ، بتعزيز شأنه في المجتمع – الى هذا يجب ان تتجه انظارنا لادراك غايتنا في التوحيـد القومي ، بل كل غاية من غايات التربية .

اما الطريق التي سلكناهـا فقد أدت كما قلت الى مساوىء جمة نعرفها جميعاً وأكتفي منها بما يلي :

اولاً : طغيان سلطان الدولة على شؤون التعليم ، مما يخفف اهتمام الشعب وحرصه على المساهمة بهذه الشؤون ، ويولد عنده فكرة خاطئة هي ان المدرسة جزء من جهاز الدولة لاخلية من خلايا المجتمع .

ثانياً : طغيان المركزية في الدولة ذاتها بحيث ان السلطات المحلية تفقد روح المبادرة، وتصبح مجرد آلات خاضعة للمركز، تتحرك بحركته وتقف بوقوفه .

ثالثاً : تعرّض سياسة التعليم ، ونظمه ، ومؤسساته للتغيير والتبديل بتغيير الحكومات ، وفقدانها بذلك صفـة الاستقرار والتقدم الذاتي على مر الأيام .

رابعاً : إضعاف روح الابتكار في المدارس ، وإحجامهـا عن إنتاج طرق تربوية جديدة ، واستنباط الوسائل والأساليب التعليمية واختيارها .

خامساً : انصراف الطلاب الى الحفظ وتلقن المعلومـــات وحشو الدماغ استعـــداداً للامتحان ، بدلاً من تنمية قواهم العقلية ومداركهم الفكرية .

سادساً : قصر الاهتمام في التربية على الناحية العقليـــة من شخصية الطالب ، دون الناحيتين الخلقية والروحية .

سابعاً : انتشار الاعتقاد ان عناصر التربية هي : البرنامج ، والكتاب ، والامتحان . مع ان العنصرين الأساسيين همـــا الأستاذ والطالب . ان التربية الحقيقيـــة هي اتصال شخصية بشخصية ، شخصية فاعلة مكونة بشخصية منفعـــلة متكونة ، وليست اتباع برنامج او حفظ مواد او اجتياز امتحـان ، او هذه الثلاثة معاً .

★

مما سبق يتبين مقدار نجاح التربية العربية أو إخفاقها في إيفاء الحاجات الأساسيـــة الأربع الأولى للمجتمع العربي : وهي مكافحة الجهل ، وتنميـة الموارد ، وتنظيم الحكم والاجتماع ، وتحقيق الوحدة القومية . واذا كانت تربيتنا قد أصابت شيئاً من النجاح في هذه المواطن ، فانها أخفقت في تذليل الحاجات

الأربع الباقية ، وهي تنمية إحساس النشء بالخطر المحدق بامته ، التوفيق بين التراث القديم والمدنية الحديثة ، تكوين العقيدة القومية الشاملة وتخطيط سبلها ، إنشاء قادة الأمة في ميادين الفكر والعمل . والأسباب المؤدية لهذا الاخفاق هي نفسها التي أشرنا اليها ، وأهمها آلية التعليم منهاجاً وادارة ، وتوجهه الى التلقين والحفظ ، واهماله النواحي الخلقية والروحية من شخصية الطالب ، وعدم العناية الكافية بتدريب المعلم. وبذا يخرج الطالب ولم يتعرف من دراسته أحوال أمته ، ولم يحس بأزمتها العميقة ، ولم يدرّب على التقشف والتضحية وتحمل التبعة ليحيا الحياة الصارمة التي يتطلبها موقف أمته الخطر ، وبذا تقصر تربيتنا عن تكوين الفضائل وتنشئة الشخصية الفردية والاجتماعية الضرورية للصراع العنيف الذي ستجابهه الأمة. خارجياً وداخلياً والذي عليه يتوقف بقاؤها وتقدمها وازدهارها.

اما فيما يتعلق بالتوفيق بين التراث القديم والمدنية الحديثة ، وتكوين العقيدة القومية الشاملة وتخطيط الجهاد القومي ، فانها مرهونان بالحاجة الاخيرة والاهم ، وهي تنشئة القادة . فاذا وفقت تربيتنا الى اخراج القادة الصالحين ، تولى هؤلاء هاتين المهمتين الخطيرتين ، واخذوا على عاتقهم المهام القومية الاخرى في التربية وسواها من الحقول. على ان تربيتنا الحاضرة — وهنا اقصد بالتخصيص التربية الجامعية — ليست موجهة لتنشئة القادة وتكوينهم . فالطابع التدريبي المهني لا يزال غالبا عليها، وهي خاضعة، بدرجات متفاوتة ، للآلية الحكومية التي تسلب التربية كثيراً من محتواها الذاتي والانساني . كما انها تعمل الآن في سبيل الكمية فلا تعنى العناية اللازمة بالكيفية، ولا تبذل الجهد المطلوب لتنمية الابتكار الشخصي ، والاستقلال الفكري ، والمقدرة على التتبع والبحث ، والفضائل الخلقية والروحية التي يجب ان يتحلى بها القادة . ان اوضاع تربيتنا الجامعية ، الذاتية والظرفية ، تجعلها تتوجه الى انتاج وسطي وافر لا الى انتاج ممتاز مختار . فلا بدع الا تخرج لنا القادة الصالحين ولا تولد لنا الزعامة المطلوبة .

ولا بد لي من الاشارة هنا الى الدور البارز الذي تلعبه كليات الآداب والعلوم في تنشئة قادة المجتمع ، في الميدان الفكري خاصة . فمع ان هذه التنشئة ليست مقصورة عليها ، فان للكليات المهنية حصتها واثرها في هذا العمل الخطير ، فلا ب ان كليات الآداب والعلوم هي المعاهد التي فيها تعالج المشاكل الانسانية الاصيلة ، وتوضح الفكر والمبادىء العامة التي عليها يرتكز كل بحث واستقصاء . فيها يدرب الطلاب على التأمل ، وعلى مجابهة قضايا العقل والروح ، وعلى استكشاف المنابع الاولى لحياة المجتمع والمثل العليا لنهضته ورقيه ، وعلى التمييز بين القيم واحترام ارفعها وارقاها . فهي بهذا الوصف لب « الجامعة » ، وازدهارها ضروري لتغذية الكليات الاخرى كي لا يكون متخرجو هذه الكليات مهنيين فحسب ، بل مثقفين ثقافة عامة بكل ما في هذه الكلمة من معنى شامل عميق. كما انها ، كما قلنا ، مدعوة قبل سواها لصنع قادة الفكر ، وما أحوج المجتمع اليهم ، خصوصاً اذا كان كمجتمعنا على مفترق الطرق ، وفي غمرة أزمة كيانية يتوقف عليها كنه وجوده .

★

والآن ، بعد ان استعرضنا التربية العربية الحاضرة ، وقدرنا نتائجها ، وبينا جهد المستطاع حدود نجاحها وإخفاقها ، سنرسم بايجاز كلي السبل التي يجب ان تتبعها تربيتنا والشروط التي يقتضي ان تستوفيها لتقوم بمهمتها في المجتمع على الوجه الصحيح.

اولاً : حماية الجهد التربوي من أهواء السياسة ، وهي الداء الوبيل الذي يجعل التربية عرضة للتبديل وغذاء للأطماع والمصالح. والتربية اقدس من ان تكون وسيلة لأغراض شخصية او حزبية ، او اي غرض آخر غير اكتشاف الحق وتنمية الشخصية الانسانية . فعلى رجال السياسة ان يرعوا لهذا الميدان المقدس حرمته ، وعلى اهل التربية ان يبرهنوا على انهم اهل لهذه الحرمة وانهم حريصون على صيانتها ، وعلى الرأي العام اليقظ المستنير ان يسهر على هذه الصيانة ويكون لها الحارس الأمين .

ثانياً : تخفيف وطأة المركزية على التعليم ، وذلك باشراك السلطات المحلية الحكومية بنفقات التعليم العام وإدارته ، وتشجيع الأهلين على إنشاء المدارس ومكافحة الأمية شرط ان يخضعوا في هذا لاشراف الدولة ومراقبتها ، وتوزيع المسؤولية في إدارات المعارف او التربية المركزية ، وإثارة روح المبادرة والانتاج الشخصي والابتكار عند جميع المعنيين بهذه الشؤون .

ثالثاً : تعزيز الأجهزة الفنية في إدارات المعارف . ان الحكومات بأخذها على عاتقها هذا القسط الوافر من شؤون التربية حريّة بان تعدّ له عدته وتهيء أسبابه . وفي مقدمة هذه الأسباب الأشخاص المختصون بهذا العلم . فلم يعد بالامكان في هذا العصر الذي غدت فيه التربية علماً من أدق العلوم وأسرعها

تقدماً ان تسلم هذه الشؤون الفنية الى اي موظف كان ، وأن تطغي عليها الروح الوظيفية الروتينية ، بل يجب ان تكون في أيدي المختصين بها ، المتتبعين لأبحاثها ، القائمين هم أنفسهم بابحاثهم وتحرياتهم الخاصة كلّ في موضوعه .

رابعاً : تعزيز التعليم المهني في المرحلتين الابتدائية والثانوية وإيثار التعليم المهني الانتاجي (الهندسة ، الزراعة ، التجارة) على سواه من التعليم المهني في الجامعة . وقد بينت أهمية ذلك في حفظ موارد البلاد وتنميتها .

خامساً : تعزيز دور المعلمين ورفع شأن المعلم . وليسمح لي ان أردد هنا مجدداً ان المعلم هو نقطة الارتكاز في اي إصلاح تربوي ، وانه هو — لا البرنامج ، ولا الكتاب ولا الامتحان ، ولا الموظف المسؤول — العامل الأول في اي جهد او تقدم في هذا المضمار . وليُسمح لي أيضاً ان أناشد افراد الأمة ، وأناشد المعلمين أنفسهم ، وأناشد كل من له اتصال بهذه الشؤون ان نتعاون جميعاً لنعيد لهذا اللفظ — المعلم — حرمته وقداسته وما ينطوي عليه من بذل وارشاد ورعاية عقلية وخلقية وروحية .

سادساً : توسيع البعثات العلمية ودعمها . لم نبلغ بعد في البلاد العربية الحد الذي نستغني به عن علم الغرب وثقافته ، بل نحن في مرحلتنا الانسانية هذه أحوج ما نكون اليها . ومن الضروري ان تظل صلتنا العلمية بالغرب مستمرة ناشطة ، وان يُسهّل لشبابنا النابهين الاغتراف من معينه والاختيار في جوه .

سابعاً : صوغ برامج التعليم على ضوء حاجات البلاد . وتحقيق هذا يتوقف على تمكين الاعتقاد ان التعليم إعداد لحياة معينة محددة الظروف ، متلائمة مع الحياة الانسانية الأصيلة . ويقتضي عقلية تطورية تتطلع الى سبر غور المجتمع وتتبع اتجاهاته وتحرص على ان تظل برامج التعليم منسجمة مع الحاجات الاساسية التي تدل عليها هذه الاتجاهات .

ثامناً : تغليب مفهوم التعليم على مفهوم التلقين والحفظ . فالتعليم جهد فعلي يتضمن الاكتساب الذاتي لا مجرد التلقي من الغير كما هي الحال في التلقين ، ويؤدي الى تنمية المدارك الفكرية ، لا الذاكرة وحفظ المعلومات فحسب . وتلك صفات اساسية يجب ان نولدها في الشخصية العربية المرتقبة .

تاسعاً : تغليب مفهوم التربية على مفهوم التعليم . فالتعليم ضيق النطاق ومقصور على ناحية واحدة من الشخصية الانسانية ، في حين ان التربية تتناول الشخصية بكاملها ، وتسعى الى تنميتها تنمية متزنة ، تشمل الصفات والمزايا الخلقية والروحية بالاضافة الى الصفات العقلية وبالانسجام معها .

عاشراً : توجيه التربية الجامعية الى تكوين قادة المجتمع . وقد ذكرت خطورة هذا المعنى الارفع من معاني التربية الجامعية ، الذي يسمو بالجامعة عن مجرد التدريب المهني الى مستوى المهمة الخطيرة التي قامت بها خلال التاريخ ، مهمة صنع الرجال وتكوين القادة .

★

وهكذا نعود ، بعد اختتامنا مطافنا بالتربية العربية الى المبدأ الذي انطلقنا منه في مطلع هذا الحديث ، وهو ان مفهوم التربية العربية لا يمكن ان يفصل عن المفهوم الاساسي للتربية مهما اختلفت الظروف والأمكنة والشعوب ، الا وهو تنمية الشخصية الانسانية وتحررها وتكاملها واكتسابها بهذا كله كرامتها الذاتية . ان التربية في العالم اجمع ، ومن ضمنها التربية العربية ، تتعرض اليوم لمنافسات شديدة واخطار جسيمة . فبعد ان كان المعلم في الماضي هو العامل المؤثر الاكبر في حياة الطالب خلال دراسته ، اذا به اليوم يجد بجانبه الزعيم السياسي والمفكر العقائدي والآمر الحزبي والصحافي والمذيع وسواهم ، ينازعونه النفوذ على عقل الطالب ونفسه . في هذه الحال يصعب عمل المربين ، وتثقل تبعته وتزداد خطورته . ولا امل لهم بالقيام بهذه التبعة على الوجه الصحيح الا اذا ركزوا اصولهم في المعاني الاساسية للتربية ، المعاني التي جلاها اختبار العصور ، وابرزها العلم المتطور المتقدم . هذه المعاني هي التي تصل بين التربية والشخصية الانسانية وتجعل التربية العامل الاساسي في تفتح هذه الشخصية واكتمالها ، وبالتالي في تفتح المجتمع واكتماله .

انا نبغي بناء مجتمع عربي جديد ، فلنركز اصوله في القيم الانسانية الاصيلة ، مدعوماً بقيمنا القومية التي ابرزها ماضينا وفرضها حاضرنا ومستقبلنا .

لقد قال احدهم : «ان الحضارة سباق بين التربية والدمار» . ترى ايكون لنا تربية عربية سباقة ، تصون مجتمعنا من الدمار وتبعثه مجتمعاً عربياً جديداً محققاً لأخلص معاني الحضارة وارقاها ؟ ترى ايكون لنا تربية عربية حية محيية ؟ لعل هذا هو اهم سؤال يتحدانا به واقعنا المتأزم الحاضر .

قسطنطين زريق



«حول اللغة والحياة..»

بقلم الدكتور بهي الدين زيان

١ – تناول الزميل الصديق الدكتور عبد الحميد يونس موضوع اللغة والحياة في العدد السابق من (الآداب)وقد وقف عند مسائل جديرة بالتأمل والتأني لأهمية هذا الموضوع بالنسبة الى حياة الأدب في هذا العصر وتطوره المنتظر أو المأمول ... ولما له من صلة وثيقة بالقديم والجديد في كل شيء–في اللغة، في الفكر ،فيالثقافة عامة، في الأدب... وقد عرض الدكتور الفاضل للمعركة الدائرة بين دعاة الجديد ومن يقال انهم محافظون فقضى فيها برأي سريع إذ قال : « والمحافظون اليوم او الذين ننظر اليهم كذلك كانوا منذ ربع قرن مجددين وخاضوا معركة حامية مع الجيل الذي سبقهم وانتصروا في هذه المعركة ولم يكن انتصارهم في الواقع لعبقريتهم الفنية او الادبية ولكنه كان انتصاراً حيوياً طبيعياً اعلنته الحياة نفسها باعتبارهم جيلا جديداً ووقعته بأسمائهم وأذاعته على السنتهم وأسنـة اقلامهم » . وغاية ما وصلوا اليه من جهد أن الحياة قد « نجحت في بعض تجاربها » اما هم فانهم « لم يحققوا مطالب النهضة الادبية كلها » .

٢ – ثم عرض حضرته للديمقراطية السياسية المنشودة والسعي اليها وقال ان الامر يلزم بالديمقراطية الوجدانية الادبية التي يخلقها الفن الجميل بصفة عامة والفن الادبي بصفة خاصة، ووسيلة هذا الفن الادبي هياللغة ومن هنا بدأ يتحدث عن هذه اللغة ويصف صلتها بالحياة ...

٣ – ولا أود ان اتابع هذا الموضوع الا بعد ان ننظر الى جملة القضايا العامة التي وردت في ذلك المقـال – فقصة القديم والجديد عند حضرته هي قصة الاجيال ليس إلا – جيل حاضر فهو مجدد وجيل غابر فهو محافظ ، وكل تطور فانه يرجع الى قصة هذه الولادة مطلقا، ولا شأن لهذا التطور بالعبقرية الفنية أو الادبية ... بل هو خاضع للحياة نفسها التي هي « دائمة التجربة دائمة التنقيح دائمة النسخ دائبة السير الى الأمام » كما قال . وفي الحق فان هـذه القضية من القضايا التي تخيل للانسان كثيراً. وتفتح الابواب الى السموات العليا دون ان يهتدى الى شيء، فالكاتب الفاضل مع اطلاقه هذا القول لم يجعـل للجيل الماضي من فضل الا ان الحياة قد وقعت باسمائهم واذاعت بالسنتهم واسنة اقلامهم انتصارها على الجيل الاسبق ... وقياساً على هذا فان الحياة ستوقع باقلام الجيل الحاضر انتصارها على الجيل السابق وهكذا ، ولن تكون هناك عبقريات فنية أو ادبية تقف بنفسها او تنتصر بنفسها عـلى القديم في السياسة او الادب او الاجتماع او الفن عامة ...

٤ – وهذا القول – ان تجاوزنا في التعبير – يعـد فلسفة جديدة او محاولة جديدة لبيان أثر الافراد بالنسبة الى الحياة.وتسأل أنت كما سألت نفسي: وما هيهذه الحياة التي توقع باقلام الافراد أو بالسنتهم قصة تطورها ؟ وكيف يكون ذلك؟ وهل كانت هكذا في الأجيال السابقة والعصور الماضية البعيدة ؟ فلا تخرج بشيء ، ولا اظن ان هذا يؤدي الى شيء ... وانت تعرف كما اعرف ان الحياة هـذه قد توقفت عن النمو في فترات وخملت في عهود ، وتقهقرت في عصور من الازمان التاريخية التي نستحضرها وتعرف انت عنها الكثير ...

٥ – غير ان احتفال الدكتور عبد الحميد بهذه المسألة قد قرن معـه التطور السياسي الحاضر نحو الديمقراطية التي يعترف هو بأنها كانت من جهدنا – أي جهد الأفراد فيقول : « وكل مثقف في مصر والشرق العربي يسلم باننا قد قطعنا اشواطاً فساحاً في ايقاظ الرأي العام واعداده لحكومة نفسه بنفسه في غير غفلة او جهـل وكل مثقف في مصر والعالم العربي يرى معنا أننا اقتربنا او كدنا نقترب من الديمقراطيـة السياسية المنشودة ، وانا حطمنا كثيراً من الأصنام وأزلنا كثيراً من العقبات وبددنا كثـيراً من الخرافات والترهات » . وتسأل مع هذا لماذا كان هذا التطور في الميدان السياسي راجعاً (الينا) ولم يكن ذاك التطور في الميدان الادبي راجعاً (اليهم) ؟ مع الاعتراف بان الحيـاة وحدة متكاملة وأن تطورها يخضع لقانون عام مطرد ...

٦ – وانت لا ترى من بأس مع هذا في ان تقرير هـذين الرأيين لم يكن تقريراً حقيقياً واقعياً وانما كانت الغاية منه الاشعار بأن الجانب الأدبي كان التطور فيه ضئيلا ... وعاش الشرق العربي وما يزال في حاجـة الى ديمقراطية وجدانية او ادبية وأن هذه الديمقراطية في حاجة الى إعداد والى دعاة ...

٧ – واني لأعرف كثيراً عن طموح الصديق العزيز واقدر ما يسعى اليه في حرص حين يكتب عن رأي له أو يثير افكاراً بـين القراء ، كما أعرف لباقته في الحديث وأجد هذه اللباقة في ربطه بين تطور الأدب وتطور اللغة التي يكتب بها – وهو الموضوع الذي عالجه في مقاله – فقد اشار الى ظاهرة الازدواج اللغوي في العالم العربي وان كلا من هاتين اللغتين تتمايزان ولكل منهما تراث أدبي وان احداهما رسمية والأخرى عادية وانه قد استقر في أذهان المتعلمين ان التفنن الأدبي لايقوم الا باللغة الرسمية وحدها فآثروها على لغة الحديث اليومية ... ولكني أجد الأمر هنـا يستدعي كثيراً من المناقشة، فهل عندنا حقاً لغة رسمية ولغة عادية؟وأين هذه اللغة الرسمية التي يشير اليها الصديق الفاضل ؟ أهي لغة العرب القدماء والفحول من الشعراء ؟ أهي لغة اهل الجزيرة العربية حتى آخر العهد الأموي أو ما بعده الخ ... الحقيقة أن لا – فليس عندنا الآن لغة يمكن ان توصف بانها رسمية،ولا نعيش اليوم على لغة القدماء .وأظن ان الزميل الفاضل ملزم بان يقر بهذا – فقد كتب مقاله بلغة غير قديمة،وهو قد أقر بمبدأ التطور الذي تفرضه الحياة وتنصر فيه الاجيال الجديدة، فكيف يكون هذا التطور مبدأ مسلماً به ونقول ان لدينا لغة رسمية تعيش بيننا في العصر الحاضر ؟ .. وأين هي هذه اللغة ؟.. ان احداً لاينكر ان هناك لغة ادبية ولغة يومية وان افترقت هذه اللغة اليومية بصورة اوضح بين اقطار الشرق العربي او الغرب العربي واصبحت لغة وطنية محلية . ولكني لا اشك ان هناك على مر العصور لغة ادبية – لغة صحيحة يكتب بها ادباء هذه الاقطار ونكتب بها الى اليوم ، وان هذه اللغة تطورت وما تزال تتطور حتى اصبحت اليوم لغة قريبة نكتب بها ويكتب بها الاستاذ الفاضل وهي ليست لغة رسمية أبدا ، والفرق بينها وبين اللغة اليومية التي تعيش معهـا فرق طبيعي وهوموجود من غير شك في كل لغة،وأظن انه وجد في الجزيرة العربية في زمن نهضتها الاولى ووجد بجانب القرآن الكريم ادب شعبي يفترق عنه في مستواه اللغوي والادبي ... وهذه هي سنة الحياة اللغوية .وقد لاابالغ اذا قلت ان الامر سيظل على هذا الوضع الى يوم يبعثون، مادام الدكتور الفاضل يقرر في مقاله أن هناك طبقات اجتماعية او وحدات اجتماعيـة في هذه الحياة ...

٨ – ولا ادري بعد هذا كيف نقر بالتطور في اللغة الادبيـة ونقول عنها انها لغة رسمية استطاعت ان تحظى باعتراف المثقفين لهذا السبب او ذاك وسجلت ادبها ودونت قواعدها ؟ وهل هـذا هو عمل الجيل الماضي او هو عمل اجيال سابقة ؟ وكيف نقرر أن هذه اللغة التي نزعم انها رسمية قـد

قصرت تراثها على طبقة اجتماعية لها رسومها او تقاليدها ... ونخلص من هذا الى القول بان تراثنا الادبي (الرسمي) بعيد عن حيـــاتنا الحاضرة البعد كله ? ... هل هذا هو واقـــع الامر ام انه واقع التعلق بأقوال بعض القدماء الذين كانوا يرصدون ما يرصدون لدراسة الانتاج الادبي ? وهل يقر الدكتور الفاضل ان ما كان يقول به بعض اهل اللغة من وضع قواعد او مقاييس للغة القدماء ويقصرون ذلك على جيل او زمن بعينه – كان يلتزم به المعاصرون من الشعراء والادباء ? ... أظن أن لا ...

٩ – لقد تعرض حضرته الى بعض المسائل التي تمس تطور هذه اللغة التي نزعم انها رسمية فذكر منها التعليم وطريقته والمجمع اللغوي والمثال اللغوي المنشود والمحاولات التي قام بها ادباء الجيل الماضي والصحافـــة والراديو ... فنقد التعليم على اساس انه يتعلق بالعصور السابقة والتراث القديم، ونقد المجمع اللغوي على ان عمله بجانب ما تقوم به المجامع اللغوية التي ترصد ما هو جار من اوضاع لغوية فيخرج مجمعنا على هذا ليخلق او يضع الفاظاً جديدة ... وقال انه ليس عندنا مثال لغوي نحتذيه الان ولم يرض بمـــا قام به الادباء كأفراد... اما السهولة التي قامت بها الصحافة فانها ليس بالطريقة التي يعتمدها . واما الراديو فلم يقم باتجاه واحد في سبيل هـذا التطور ... والرأي في كل هذه الوسائل قد يختلف عليه بدءاً ، فلا اظن ان التعليم قد سار في طريقـــة خاصة تباعد بين اللغة وبين الحياة، ولا ارى ما يوجب اتخاذ ما يلقى للدرس في المدارس والجامعات على انه مثال على فشل هذا التعليم،فالناحية الدراسية لها حقها تاريخية او موضوعية . ومشاركة المجمع في هـــذا التطور اوسع من ان تقتصر على وضع كلمات ... بل انه لمن العجب ان ننعى عليه هذا الاتجـــاه ويضع الدكتور من عنده اسما جـــديداً للراديو فيسميه (الرداد) ... أما المثال اللغوي الذي يقول انه لا يوجد عندنا فهذا أمر ينقض ما قرره سابقاً من ان التعليم والمجمع والادب الرسمي عامة يتعلق بأمثلة قديمة ? . وامـــا حديثه عن عمل الافراد في الجيل الماضي فانه يخالف مبدأ التطور وينفي اثر الأفراد في الحياة ... وبالجملة فليس هناك وسيلة عن تطور هذه اللغة قد خلت من نقد. واذن فما هو السبيل ? ...

١٠ – لقد اوضح حضرة الدكتور الفاضل ان كل هـــذه الاساليب التي اتخذت لتطويع اللغة للحياة قد جانبت امراً هاماً في رأيه – وهو انها لم ترع الجانب الثاني من الموضوع وهو التراث غير الرسمي او الأدب الشعبي فحينئذ نصل الى محو (الازدواج اللغوي) ... وتعود لنسأل من جديد وهـــل عندنا الآن ازدواج لغوي في الحياة؟وهل هناك ادب رسمي بالمعنى الذي يقصد اليه الدكتور الفاضل ... أما أنا فأقول لا ... هناك فقط شيء واحد خالط بين الواقع والتاريخ أو حياة ولغو .

القاهرة **بهي الدين زيان**

مأساة فلسطين وأثرها في الأدب العربي الحديث

بقلم عيسى الناعوري

اخي رئيس التحرير

انتهيت الآن من قراءة مقالك الافتتاحي في العدد الخامس من«الآداب» العزيزة ، بعنوان « شكاوى الأدب العربي الحديث » وهو مقال جدير بكل ثناء وتقدير.ولكن الذي استوقفني فيه – واسمح لي بأن أقول اني اخالفك فيه كل المخالفـــة ، لا بعضها – هو قولك : « هل في تاريخ العرب الحديث فاجعة أروع وأدمى من ضياع فلسطين ، ومن نكبة لاجئي فلسطين ? ومع ذلك فهل هناك الا ملحمة او ملحمتان شعريتان قصيرتان ، وبضع قصائـــد واقاصيص متفرقة في الصحف ، تصور هذه النكبة وتلك الفاجعة ? ... ثم هدأت المعركة ، وأقفرت الساحة ، وساد الظلام ، وأصاب الألسن البكم ! »

ان قولك ان كل ما انتجته المأساة في الادب العربي « ملحمة او ملحمتان قصيرتان ، وبضع قصائد وأقاصيص متفرقـــة في الصحف » بعيد جداً عن تصوير الحقيقة ، وأبعد كثيراً عن رؤية الواقع قولك « ثم هدأت المعركة ، وأقفرت الساحة ، وساد الظلام ، واصاب الألسن البكم ! » . ولست أنساق مع العاطفة إذا قلت ان نكبة فلسطين قد هزت العرب والفكر العربي هزة لم يسبق ان عرفها تاريخ الامة العربية الا مرة واحـــدة ، يوم خرج من جزيرة العرب يتيم قريش ليقود أبناء الصحراء الى وراثة حضارات الدنيا ، منذ نحو اربعة عشر قرنا .

والحقيقة التي لا مجال لانكارها ان مأساة فلسطين قـــد خلقت في نفوس العرب تمرداً طاغياً ، واحدثت في الحياة السياسية انقلابات باهرة ، كما أحدثت في الحياة الفكرية العربية انقلابات أبهر وأبقى وأروع .

واما الانتاج الأدبي الذي أوحت به هذه المأساة فانني شديد الدهشة لعدم اطلاعك منه على اكثر من ملحمة او ملحمتين شعريتين قصيرتين ، وبضـــع قصائد وأقاصيص متفرقة في الصحف ... » ، كما استغرب جـــداً ان ترى « المعركة قد هدأت ، والساحة قـــد اقفرت ... » من الاقلام التي تحترق بالمأساة ، وستظل تحترق وتنير بلهيبها الطريق للاحرار المجاهدين .

لقد خطر لي ان استعرض حصة « دار العلم للملايين » وحدهـــا من الانتاج الفكري الذي خلقته هذه المأساة ، فكان بين يدي منه : « معنى النكبة – لقسطنطين زريق ؛ بعد النكبة – لقدري طوقان ؛ ارض الشهداء – لابراهيم العريض ؛ وعي المستقبل – لقـــدري طوقان » . ونضيف الى هذه الكتب – مما طبع في بيروت ، وفي دار الكشاف – كتاب « عبرة فلسطين – لموسى العلمي » الذي اعيد طبعه ثـــلاث مرات في ثلاثة اشهر متتابعة من سنة ١٩٤٩

ولست اريد ان ارجع الى الوراء ، لأحصي ما صدر من وحي جهـــاد فلسطين قبل المأساة من مؤلفات كثيرة العدد كبيرة الأهمية ، ولا ان اتعرض للكثير جداً مما ظهر بعدها ، ولكنني أقول ان هذه المجموعة الصغيرة جداً التي اوردت اسماءها ، هي وحدها اكثر بكثير ممـــا ذكرته انت من انتاج النكبـــة ، فكيف اذا اردت ان اسرد لك عشرات الكتب والدواوين الشعرية التي ظهرت في الاردن وسوريا والعراق خاصة ، وكلهـــا من وحي المأساة ، ومن لهيبها المقدس ?

الواقع المؤلم جداً انك يا اخي بما قلته في افتتاحيتك ، قد صورت الحقيقة في الانتاج الادبي في لبنان خاصة ، والى حد ما في مصر ايضاً ، ولكنك لم تصور إلا جزءاً ضئيلامن حقيقة الواقع الأدبي في الاردن وسوريا والعراق، فهناك لا تزال مأساة فلسطين هي الملهم الأول والأهم للانتاج الادبي ، فكأنما تجمعت مصائب الدنيا عامة ، ومصائب العـــالم العربي كله خاصة ، في فلسطين ومأساة فلسطين ؛ فالشعر ، والنثر ، والقصة ، اغلبها مستمد منهـــا ، او هو بتأثيرها ووحيها ، او بتأثير الروح المتحفزة المتمردة العارمة التي خلقتهـــا وبثتها في نفوس الجيل الادبي الجديد .

حقيقة ان الادب الذي خلقته هذه المأساة لم يقدر له ان يطبع كله ، واغلبه لم تتح له الفرصة للظهور حتى في الصحف ، ولو قـــدر له كله ان ينشر لاطلع العـــالم على ثورة فكرية تهز الدنيا ، ولا تقـــل اهمية عن الانتاج الفكري الذي مهد للثورة الفرنسية ، وثورات الحرية في كل مكان .

وبودي ان اشير الى عدد ضئيل جداً من الكتب التي ظهرت في الآونة

الاخيرة ، مستمدة وحيها وروحها من المأساة . فهل قرأت : « المعركة – لمعين بسيسو » ، و « المشرد – لأبي سلمى » ، و « مع الفجر – لسليمان عيسى » ، و « المهزلة العربية – لمحمود الحوت » ؟ – وكلها شعر – وهل قرأت : « من وحي الواقع – لأمين ملحس »،و « كفر – لنبيل شحاده » والأقاصيص الفلسطينية في « الاخوات الحزينات – لنجاتي صدقي » ؟ – وكلها اقاصيص – . وهل قرأت قصائد القروي ، وفرحات . وابو ريشه، وغيرهم في مختلف صحف الادب العربي في الشرق وفي المهجر ، مما اوحت به مأساة فلسطين ؟ وهل قرأت العدد الكبير من مقالات نقولا حـداد في « الرسالة » إبان المأساة ؟ وماذا اعدد لك من الانتاج المنشور في الصحف ؟ إنه اكثر من ان استطيع احصاءه ، ولكنني اود ان الفت انتباهك ايضاً الى المقالات والقصائد والأقاصيص العديدة في العدد الخامس من « القلم الجديد » الخاص بالادب الاردني، ففيه الشيء الكثير مما يستحق الاشارة في هذه المناسبة.

والحقيقة ان دور النشر في العالم العربي لو انصرفت ببعض عنايتها الى نشر الانتاج الادبي الواقعي الدسم الذي تنتجه الاقـلام اليوم ، لرأيت كيف يستوحي هذا الادب الواقعي قوته وروحه من مأساة فلسطين واثرها العميق.

وبعد ، فاسمح لي ان اقولها صريحة ، بدون ان اخشى المبالغة :

اذا نبغت في بلاد العرب من الشعراء والادباء والقصاصين ، اقوى طائفة عرفها تاريخ الآداب العربية ، فقولوا ان نكبة فلسطين قد خلقتها ، وخلقت اقلامها مغموسة بالدم ، ومطهرة بروح الحرية والثورة .

واذا ظهرت في العالم العربي اخلص مجموعة من الابطال المحررين الثائرين على العبودية ، فحطمت العروش والتيجان ، وطهرت البـلاد من الاستعمار وعبيده وانصاره ، فقولوا ان نكبة فلسطين قد علمت الرجال كيف يثورون على الظلم ، ويخلصون في طلب الحرية لأمتهم وبلادهم العربية .

واذا تمردت الامة العربية في كل اقطارها تنشد الكرامة والحرية ، فقولوا ان نكبة فلسطين قد انضجت فيها الوعي ، وعلمتهـا معنى الكفاح لاسترداد الكرامة والحرية .

واذا توحدت الامة العربية في كفاح واحد ، ووطن واحد ، وقيـادة واحدة وتاريخ جديد واحد – وهي ستتوحد رغم كل شيء – فقولوا ان نكبة فلسطين قد جمعت قلوب الاخوان، وعلمتها معنى الايمان والتعاون والوحدة.

هذه هي الصورة الواقعية الصحيحة لمأساة فلسطين واثرها في الحياة العربية وفي الفكر العربي ، وهي صورة لايمكن ان يصدق عليها بأي حال قولك ان « المعركة قد هدأت ، والساحة اقفرت ، وساد الظلام، واصاب الالسن البكم ! » فما تزال المعركة تدور . والساحة تعج بالرجال ، ونور النهـار يشرق في نفوس الاحرار ، والألسن والاقلام ما تزال بألف خير ، وهي تشحذ باستمرار ، وتشحذ النفوس وتهيئها ليوم الحرية القريب . ولا يمكن ان يكون عكس هذه الصورة الا يوم لا يبقى على وجه الارض انسان عربي ، ولا يجري على الطرس قلم عربي .

ولك مني اعطر التحية .

عيسى الناعوري

ردّ رئيس التحرير

يقول الزميل الكريم الاستاذ الناعوري « ان مأساة فلسطين احدثت في الحياة الفكرية العربية انقلابات ابهر وابقى واروع » من انقلابات الحياة السياسية .

واراه بعد ذلك يعترف بانني ، بما قلته في افتتاحيتي ، قد صورت الحقيقة في الانتاج الادبي في لبنان خاصة الى حد ما ، وفي مصر ايضاً . ولكنني لم اصور جزءاً ضئيلاً من حقيقة الواقع الادبي في الاردن وسوريا والعراق حيث « لاتزال مأساة فلسطين هي الملهم الاول والأهم للانتاج الادبي » واني اسأل الاستاذ الناعوري : اين هو هذا الانتاج ، وما هو قيمته الادبية ؟ هل في هذه الآثار الضئيلة التي ذكرها أثر « رئيسي» هام يصور النكبة الهائلة التى اصابت الامة العربية بضياع فلسطين ؟ اين تأثير هذه الفـاجعة في نتاج كبار ادبائنا ، هؤلاء الذين كنت اقصدهم في مقالي ؟ الا يوافقني الاستاذ الناعوري على ان قيمة الكتب والاقاصيص والقصائد التي ذكرها تظل ضعيفة بالنسبة لما كان منتظراً ان تخلفه هذه المأساة من ادب ؟

ثم ان الكاتب يعترف بان الادب الذي خلقته هذه المأساة لم يقدر له ان يطبع كله ، « وأغلبه لم تتح له الظهور في الصحف »...فلنفرض ان هـذه حقيقة واقعة ، فما يكون موقف المؤرخ الادبي ؟ هل تراه يستطيع ان يحكم الا على ما بين يديه من آثار مطبوعة ؟

اما غير ذلك مما ورد في كلمة الاستاذ الناعوري فاحسبه يمت الى حماسة عاطفية محمودة لالهاب النفوس وإذكاء الشعور والامل بالمستقبل، ولكنها مشكوك بقيمتها في مضمار التاريخ والتقويم الادبي . اننا مثله نرجو ان ينبغ في بلاد العرب شعراء وادباء وقصاصون ، وتظهر اخلص مجموعة من الابطال المحررين الثائرين ، وتتمرد الامة العربية في كل اقطارها ، وتتوحد في كفاح واحد ... نرجو هذا كله واكثر منه ، نتيجة لمأساة فلسطين ؛ ولكن هذا شيء يمت الى المستقبل ، وليس هو واقعاً مع الأسف الشديد. ونحن اذ نكتب تاريخاً ادبياً ، انما نحاول ان نكون علميين لا عاطفيين . ولعل هـذا هو الفرق بيننا وبين الزميل الكريم .

سهيل ادريس

عودة الى الأدب المحنط

بقلم رمضان لاوند

سرني ان يسجل الاستاذ كمال اليازجي دفاعه عن وجهة نظره في ادبنـا العربي التقليدي . ففي تبادل الافكار والخواطر شحذ للقريحـة ومحاولة ايجابية لاكتشاف الحقيقة الدائمة . وقد اتاح لي بذلك فرصة توضيح وجهة نظري في هذا الموضوع لاسيما وان رائدنا جميعاً هو المعرفة فحسب .

لن اعود الى ما وافقني الاستاذ عليه كالعنصر الشخصي في النقد ثم الاتباعية والتحررية في الادب . وان انس لا انس لباقته في توجيه الحديث ومعاجة الفكرة . وارجو ان يسمح لي بايراد رأيي الخاص فيما يسميه « باصول الادب الجمالية » .

ليس الجمال في نظري حساً غامضاً يتمثل في اللفظ الرقيق او الصورة الفنية المبتكرة او الفكرة الجديدة الاصلية او التشبيه الرائع ولكنه هذه كلها، فهو رصيد تجهد نفسية الشاعر في تكوينه بواسطة هذه العناصر كلها على تفاوت في تقديرها لاحد هذه العناصر . فقد تعتمد اللفظ الرقيق او الصورة الفنية باكثر مما تعتمد الفكرة الجديدة او التشبيه الرائع في تكوين التعبير الجميل .

وكما يتوفر في الأديب الصدق في الاحساس بالموضوع يتوفر فيـه ايضاً صدق في تذوق اللفظ وقدرة على ابتكار المعنى وايراد التشبيـه واختراع الصورة الفنية الرائعة. فاذا فرضت الظروف على الاديب ان يمدح من لايستحق المدح او يرثي من لا يجده موضعاً للرثاء فهي لا تستطيع ان تفقده ذوقه في اختيار اللفظ الجميل وقدرته على ابتكار الفكرة الجديدة والصورة الفنية الرائعة.

والملاحظ في ادبائنا الشعراء الذين عالجوا هذه الموضوعات التقليدية انهم كانوا يصرفون همهم الاكبر الى ما سوى الاحساس الصادق بالمناسبة التي ينظمون الشعر في سبيلها . فصدقهم صدق فني لا صدق في تصوير عاطفتهم نحو الممدوح او المرثي . واذا لم يكن الأمر كذلك ، فكيف نفسر موقف عمر ابن ابي ربيعة من عشرات النساء اللاتي أحبهن او حاول تصوير حبــه لهن ؟ فهل كذبه في الحب يفرض كذبه في فنه ؟

ولا يرد علينا ان يقول بعضهم بان هم عمر هو في جمال المرأة لا المرأة بالذات . ومن يستطيع ان يفصل جمال المرأة عن المرأة ؟ ان الجمال كقيمة مطلقة شيء لايعبر عنه . فاذا تجسم في فتاة ، اية فتاة ، صلــح ان يكون موضوعاً للشاعر يتناوله في قصيده .

ثم ما قول الاستاذ في شعر جرير ؟ وهل صحيح انه كان يعني ما يقول في هجائه ومدحه ورثائه ؟ ام انه يباري خصومه في ايراد اللفظ الجميل واختراع الصورة المبتكرة والتشبيه الرائع ؟ وقل مثل ذلك في شعر البحتري وابي تمام وابن الرومي . على انني لا اقلل من قيمة الصدق في الاحساس بالموضوع فهو عامل اساسي بالاضافة الى العوامل الاخرى التي تكون القطعة الفنية .

وهل كان الرسامون الذين تركوا وراءهم اروع الرسوم الدينية يدينون حقاً بالمسيحية ؟ وهل عاش رافييل ودافنشي ورعين تقيين ؟ ام انهما ربيا في نفسيهما تذوق اللون وفهم الخطوط وادراك روعة منحنياتها الغامضة الواضحة؟ بالاضافة الى الهبة التي منحتهما الطبيعة اياها ؟

ولماذا تحرر ابن الرومي والمتنبي في كثير من شعرهما من الروح الجماعية واستغرقا استغراقاً عميقاً في شعورهمـــا بذاتيهما بينما كان استغراق الفرزدق وجرير والاخطل واضرابهم في شعورهم بالجماعة التي معها يعيشون .

ان هذه الظاهرة هي التي جعلتني افصل بين نوعين من الفن، فن تقليدي قومي جماعي ، وفن رومانتيكي فردي انطوائي . وطبيعي ان يكون في كل منهما صدق في اي صدق في اختيار اللفظ الجميل المنسجم مع طبيعـــة الموضوع وابتكار الصورة الفنية والفكرة الجديدة والتشبيه الرائع .

ولا اعني بذلك انه لم يكن بين شعر المرحلة التقليدية الاولى انتاج مبتذل وتكرار ممل ولكنني اقصد من ذلك بان فيما يسميه الاستاذ (ادب المناسبات) مئات من الصور الفنية الرائعة والافكار العميقة والالفاظ الموقعة توقيعـــاً ينسجم مع طبيعة الموضوع .

ان في الادب التقليدي نتاجاً خصباً وآخر قاحلاً وفي الادب التحرري الفردي مثل ذلك. اولهما يمثل في طريقته شعوراً جماعياً قوميـــاً والثاني يمثل تمرد الفرد على الجماعة وما يتبعه من قلق نفسي وتشاؤم وشك .

فاذا ادرك الاستاذ الكريم ما استهدفته من استعمال هذين التعبيرين لم يعد هناك مجال للقول بان ادب المناسبات ، ادب الارتزاق والتزلف ، هو ادب ميت. فالميزان الذي نزن به جمال الشعر وقبحه ليس فيما نظنه تزلفاً او ارتزاقاً بل فيما نكتشفه من الابتذال والتقليد السقيم او الجدة والاصالة .

وظني ان الاستاذ في غير حاجة الى تدبيج النصائح التي وجهها الي ولا سيما الرابعة والخامسة والسادسة . فنحن العرب في حاجة الى ادب يحررنا من التكرار والعبودية اللفظية ولكننا في حاجة الى حس عميق بالجمـــاعة اي بالانسان المطلق وهو الانسان المنفتح لا المنطوي خلافاً لما كان عليه ادب ابن الرومي واضرابه رغم ما في ادب هؤلاء من صدق فني واحساس عميق بقيم الاشياء من خلال انفسهم الشقية او السعيدة . والتحرر من الاوضاع القديمة لايعني تحرراً من احساسنا بالشخصية التاريخية التي تمنحنا الشعور بخلود الامة وقدرتها على البقاء . وان ما ادركته من طبائع النفس الانسانية ، واصول الادب الجمالية هو الذي دفعني الى اعتبار ما سميته (بالادب التقليدي القومي) ادباً حياً خالداً .

رمضان لاوند

حول « نزوع الادب »

الى الاستاذ داود جرجس درويش

قرأت ما تفضلتم بنشره في مجلة « الآداب » حول « نزوع الأدب » الى الالتزام أو الاعتزال حيث تحسب أنني حائر ، متردد ، منعزل ! وكنت قد تناولت الموضوع اكثر من مرة في اكثر من مجلة ، بحيث لا اجد من فائدة في تكرار وجهة النظر التي اعتمدها في هذه القضية .

وهذي هي لائحة بالمقالات التي اوضحت بها فكرتي :

١ – بين السياسة والأدب	مجلة الأديب
٢ – بين الأدب والقومية	« «
٣ – أدب ام دعاوة ؟	مجلة الحكمة
٤ – الأديب حزب وطنه	« «
٥ – نحو ادب خلاق	« «
٦ – عافية الأدب	مجلة الأديب

اظن ان هذه المقالات ، في مجموعها ، تكشف بشكل لا يقبل الجدل ، انني لا ارضى للأديب ان يكون « معتزلاً » كما انني لا ارضـــاه « بوق دعاوة » !

ولك في الختام ، جزيل شكري ، ووافر اعتبازي .

عبد اللطيف شراره



ابو القاسم الشابي

البقية من الصفحة ٣٢

الحبيبة، كانت تصيبه كلما اصطدم باحدى العقبات في حبه او في مساعيه النضالية التحررية .

وفي هاتين المرحلتين بدا تأثر الشاعر بالآداب المعاصرة ولا سيما المهجري منها ، في اقوى مظاهره وابرز صوره. فهو اديب ناشىء ذو شاعرية ملتهبة تنساب انغاماً رقيقة وتحاول ان تشق لها بين الخالدين طريقاً ، عاملة على تكوين شخصيتها المستقلة بما اوتيت من الهام وبيان ، يمدهما الخيال الجميل بحلو اللوحات وفتان الالوان .

وفي هاتين المرحلتين انشد الشاعر حلو ابياته ثائراً على ظلم المستعمر باكياً لخطب تونس الرازحة في الاغلال ، يصرخ في وجه الظلم النازل بالتونسيين بابيات تعيد الى ذاكرتنا قصائد الشاعر القروي في ديوانه الملتهب ، الاعاصير .

ثم نسمع الشابي بعد ذلك يتأوه ويتألم. وتنتشر غيوم القنوط الكثيفة حول قلبه الواجف المعنى فيقول :

سئمت الحياة وما في الحياة ولما تجاوزت فجر الشباب
سئمت الليالي واوجاعها وما شعشعت من رحيق بصاب
فحطمت كأسي والقيتها بوادي الاسى وجحيم العذاب

هذه الفلسفة اليائسة اتلفت جراثيمها قلب الشابي ، وهو بعد في فجر الشباب وريق العمر ! وعلام اليأس والتشاؤم الى هذا الحد ، واعمارنا على مسرح الحياة اقصر من ان نفنيها في القنوط والبكاء ؟ ! ان الشباب عزيمة وامل، وايمان بالقيم الانسانية وعمل على السمو بها ! وهو في نظري تحرر من الخوف وتغلب على الآلام . ونضال اوسع لا يقف في افق معين من الآفاق !

ولكن ما يبرر في نظري احزان الشاعر انه كان ما يزال في سن تسمح للمؤثرات ان تعمل عملها في النفس ، ولذا رأيناه خريجاً لامعاً للمدرسة الرومنطيقية الباكية ، كما كتب له ان يصادف في حياته من الهموم ما جعل الهواء الذي يتنفسه هواء آسناً مثقلاً بالمكروب .

ثم تدخل حياة الشاعر في مرحلة ثالثة يصاب فيها بفقد ابيه الذي كان قاضياً لاحدى المحاكم الشرعية ، يمده بالمعونة ويحمل عنه اعباء الاسرة وتكاليف حياتها ، فتكون وفاة الاب صدمة عنيفة تصيب النفس المكلومة ، فتزداد هموم الشاعر ويعرف عندئذ عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه ، ويجد في العمل لاعالة اسرة كبيرة فيتذوق ثانية الوان المتاعب .

ان ابا القاسم لم يرث احداً في حياته لأنه كان يعاف هذا اللون من الشعر ويستنكر ان يكون الشعر اداة امتداح او رثاء . ولذلك فقد خلت اشعاره من قصيدة في رثاء ابيه . وفي هذه المرحلة نفسها نرى غزل الشاعر غزلاً باكياً لأنه الغزل الذي افتقد فيه حبيبته التي صلى في هيكل حبها زمناً .

ان قصائد الشابي الغزلية ناطقة بالحسرة تفيض لوعة على الحبيبة التي غادرته الى الابد . وكأنما هذا القلب الذي نسجت خلاياه الدموع ، كتب له لا يعرف في الحياة الا نوعا واحداً من الوانها واعني به الاحتراق في اتون الآلام . لقد بحث الشاعر عن السعادة فلم تكن في نظره الا حلماً ، ولكن هذا الحلم قد تحقق يوماً عندما وجد السعادة في الحبيبة . غير ان الموت الجائر اختطف من الشاعر حبيبته ليفتح في قلبه جراحاً جديدة فراح يقول :

بالامس قد كانت حياتي كالسماء الباسمة
واليوم قد امست كاعماق الكهوف الواجمة

وبعد ان يحدثنا عن حلم السعادة الذي حققه له قرب حبيبته منه راح يتحرق بعد موتها ويشكو بحسرة ولوعة :

ثم اختفت خلف السماء وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالدات يمسن ما بين النجوم
ثم اختفت اواه طائرة باجنحة المنون
نحو السماء وها انا في الارض تمثال الشجون

وفي المرحلة الرابعة من هذه الحياة الزاخرة بالشجون ، يصاب الشاعر بمرض خبيث يسببه الارهاق والتعب المستمر الذي انهك اعصابه .

ويعرف الاطباء في مرضه هذا تضخم القلب ، فيشيرون عليه بترك المدن والابتعاد عن المطالعة والاعمال الذهنية المرهقة واللجوء الى الطبيعة حيث تهدأ الحياة ويصفو الجو في القرى البعيدة عن ضوضاء المدن .

ومرحلة المرض هذه ، هي المرحلة التي مكنت جذور اليأس في قلب الشاعر . ولم يكن ليستطيع ان ينصرف عن ارسال الانغام المبكية فراح يتغنى بجمال الغاب ويبثه ما في خاطره من افكار سود ، ويودع الشعب ناقماً عليه مرتلاً آيات الموت ضاحكاً لهمس القبور .

وكأنه كان يدرك ان الموت كان يعد له اكفاناً خالدة ، فلم يرهبه ، بل راح يناديه ويتعجله لينقذه من هذا العالم الموبوء الطافح بالآلام والشرور :

اما إذا خمدت حياتي وانقضى عمري واخرست المنية نائي
وخبا لهيب الكون في قلبي الذي قد عاش مثل الشعلة الحمراء
فانا السعيـد بانني متحـول عن عـالم الآثام والبغضـاء
لأذوب في فجر الجمال السرمدي وارتوي من منهل الاضواء

واخذ يبتسم للشاعر ويقترب منه رويداً رويداً ، والشاعر آنس به يمد ذراعيه للقائه ؛ وساعة شعر باقتراب الاجـل ، رأى نفسه يدخـل عالماً جديداً فيغرق في صباح من النور فصرخ يقول :

اسكتي يا جراح واسكني يا شجون
مات عهـد النواح وزمان الجنـون
واطـلّ الصبـاح مـن وراء القرون

وودع الشاعر دنياه غير آسف عليها وارتقى زورق الخلود سائراً في خضم الموت ويداه تلوحان للهموم ، ولسانه يرسل آيات الوداع :

الوداع الوداع يا جبال الهموم
يا ضباب الأسى يا فجاج الجحيم
قد جرى زورقي في الخضم العظيم
ونشرت القلاع فالوداع الوداع

وانطفأت هذه الشعلة الشعرية في عام ١٩٣٤ بعد ان ملأت الاجواء انغاماً شجية فياضة باللوعة والاسى .

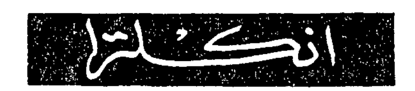
ومهما قيل في شعر الشابي ، فان احداً لن يستطيع ان يفيه حقه من الدرس ، ما دام القسم الكبير منه لم ينشر بعد . ان الشابي كان لوناً جديداً في الشعر العربي الحديث ، وكان ثورة على الشعر القديم . فاض شعره موسيقى مبكية واغاريد حزينة . وإذا كان الشعر الصادق هو ماصوّر النفس فانعكست عليه خفاياها ونزعاتها فكان مرآة صادقة التعبير لأدق الخلجات ، فما كان اشعر الشابي إذن وما كان اصدقه عندما حلل نفسه بنفسه فقال :

انت يا شعر صفحة من حياتي انت يا شعر قصة من وجودي
انت ياشعر إن فرحت اغاريدي وان رنت الكآبة عودي
انت يا شعر كأس خمر جميل اتلهى بها خـلال اللحـود
انحسّاه في الصباح لأنسى ما تقضى في امسى المفقـود
واناجيه في المساء لألهـو بحميّاه عن ظلام الوجـود
اما لولاك لم اطق عنت الدهر ولا فرقـة الصباح البعيـد

بيروت سعاد ابو شقرا



النشاط الثقافي في الغرب



انكلترا

١ . في دنيا القصة

من أبرز الآثار القصصية التي صدرت مؤخراً في لندن قصة « الصانع المتدرب » The Apprentice للروائي جوزيف توميلتي Tomelty .

والصانع المتدرب الذي يقص علينا توميلتي قصته في هذه الرواية كان يعمل في خدمة جماعة من الفنانين المشتغلين في زخرفة البيوت وتزيينها بالرسوم ، في مدينة بلفاست بأيرلندة الشمالية . وكان يعيش مع عمة له اعتادت ان تفرج عن كربتها وتعوض عن خيبتها في الحياة بأنزال اشد ضروب التعذيب والتنكيل بهذا الصانع المسكين . إنه فتى تعوزه السعادة ، ويحز في نفسه ان يكون قصيراً بالغ القصر ، تماماً ما يكاد يبين. انه يستشعر النقص والدونية، في علاقاته بزملائه في العمل ، ومع الفتيات بخاصة ، وكان هؤلاء لا يعفونه من التندر به، حتى اذا سمت نفوسهم اقصى ما تستطيع السمو جعلوه موضع عطف وإشفاق . والواقع ان المؤلف عرف كيف يقدم الينا قصة هذا الفتى التعس حتى بلوغه مبلغ الرجال ، في براعة وحسن تفهم . وعرض لنا في كثير من التوفيق مختلف الاتجاهات السياسية والدينية التي عصفت بمدينة بلفاست في الجيل الماضي ، مقدماً خلال ذلك صوراً سريعة لستة او سبعة من العمال الايرلنديين . وكان ثمة خطر من ان يغيب البطل في غمار هذه الشخصيات المصورة اقوى تصوير وأبرعه ، وينتهي إلى ان يصبح شيئاً ثانوياً ، ولكن المؤلف عرف كيف يجعل من « فرانكي » شخصية محببة ومشوقة تسعى الى التمكن من صنعتها ، والبحث عن فتاة تستطيع ان تحبه على علاته كلها . ولا نكاد نبلغ نهاية القصة حتى نجد « فرانكي » رجلاً بلا عمل ، فقد اضطر الى ترك مركز عمله الاول بعد انتهاء مدة تدربه. ولكنه لم يعد يحيا على الاقل ، عبداً رقيقاً لعمته القاسية الفؤاد .

٢ . احتجاب مجلة ادبية شهيرة

نشر الشاعر الانكليزي الشهير ، ت . إليوث ، منذ ايام قليلة ، مقالاً نعى فيه مجلته المعروفة « كريتوريون » Criterion التي كانت نقطة تحول في الأدب الانكليزي ، والتي صدرت اول ما صدرت منذ خمسة عشر عاماً .

ومما يذكر ان صاحب هذه المجلة حائز على جائزة نوبل ، ومالك لدار من اكبر دور النشر في انكلترة ، ومع ذلك فلم يجد بداً من ان يقف مجلته الشهيرة عن الصدور دفعاً لاستمرار الخسارة .

ان سوق الصحف الادبية كاسدة في بلدان العالم كافة ، على ما يبدو، وما عهدنا باحتجاب الزميلتين « الرسالة » و « الثقافة » ببعيد .



روسيا

١ . في جامعة موسكو

انتهى مؤخراً تشييد « قصر العلوم » الجديد في جامعة موسكو ، وهو بناء رائع يمتاز بقاعات محاضراته الواسعة ، ومخابره المجهزة بأحدث وسائل البحث وادواته ، وبحدائقه الجامعة لكل ما يحتاج اليه طلاب علم النبات في دراساتهم العليا ، وبمرصد ضخم ، ومتاحف جديدة واجنحة خاصة لسكنى الطلبة . وتستعد جامعة موسكو كلها ، في هذه الفترة ، ليوم افتتاح « قصر العلوم » هذا ، الذي ينتظر ان يكون مرحلة تاريخية من مراحل تطور هذا المعهد العلمي الكبير .

ولجامعة موسكو تاريخ عريق حقاً . فلم تكد تنشأ بفضل العالم الروسي الكبير لومونوزوف ، سنة ١٧٥٥ حتى غدت ينبوعاً ثراً من ينابيع المعرفة ينهل منه الشباب ضروب الثقافة على اختلافها . وطوال قرنين من الزمان كان تاريخها يشكل جزءاً حيوياً من تاريخ الثقافة الروسية . ففيها تم عدد غير يسير



المدخل الرئيسي للبناء الجديد في جامعة موسكو

من الاختراعات التي حققتها الروسيا في حقل العلم ، وفيها لمع نجم كل من سيشينوف ، وستوليتوف ، وليبيديف ، وزوكوفسكي وغيرهم من ائمة العلماء ، ومنها تخرجت كوكبة من المفكرين من مثل بيلنسكي وهيرزن واوغاريوف وعدد كبير من مشاهير الكتاب من مثل تورغنيف ، وغريبويدوف ، واوستروفسكي ، وتشيكوف .

وتضم جامعة موسكو اليوم اثنتي عشرة كلية ومئة وثمانين دائرة. ويبلغ عدد اساتذتها وتلامذتها معاً نحواً من ٢٠,٠٠٠ طالب واستاذ .

٢ . في دنيا العلم

في شباط الماضي عقدت الاكاديمية السوفياتية العامة للعلوم مؤتمراً رسمت فيه خطط النشاط العلمي للسنة الجارية .

افتتح الجلسة رئيس المؤتمر الاستاذ الكسندر نسميانوف معلناً ان اكاديميات الاتحاد السوفياتي الاثنتي عشرة تنتظم اليوم ما يزيد على اربعمائة معهد ومؤسسة علمية ، يشرف عليها مئات من كبار العلماء الذين اسهموا في الحركة العلمية السوفياتية بنصيب كبير .

النشاط الثقافي في الغرب

والواقع ان نشاط الاكاديميات العلمية في السنة الماضية قد اثمر اطيب الثمرات . فوفقت الاكاديمية الاوكرانية مثلاً الى اكتشاف حقائق جديدة في كيمياء الدماغ الحيوية ، وفي حقلي الكهرباء والذرة . وحققت اكاديمية الروسيا البيضاء نجاحا ذا شأن في تصنيع وسائل استصلاح الاراضي والعمليات الزراعية . كما وفق علماء آذربيجان الى اكتشاف طرائق جديدة لاستخراج البترول وتكريره. في حين حقق رياضيو جورجيا ومهندسوها وجيولوجيوها انتصارات هامة في ميادين عملهم المختلفة .

٣ . زجاج جديد

أصدر مصنع الزجاج الفني في لينغراد مؤخراً كأساً زجاجية ياقوتيةاللون تزينها صورة بارعة ، وتمثل راوية من « حديقة الصيف » وسياجا وبناء قائما على الضفة اليمنى من نهر النيفا كما يبدوان من خلال اغصان الاشجار .

وقد يخيل الى الناظر ، لاول وهلة ، ان الصورة من رسم فنان بارع . بيد ان قليلاً من إمعان النظر لا يلبث ان يظهر له ان سطح الكأس على غاية من النعومة ، فليس فيه اثر ما لريشة زيتية ، وان الصورة ليست على سطح الكأس،ولكنها داخل الزجاج، هذا الزجاج الذي يبلغ ثخنه مليمترين اثنين .

اما السر فكامن في ان الزجاج يمتاز بحساسيته الفوتوغرافية ، وان صورة « حديقة الصيف » لا تعدو ان تكون رسما فوتوغرافيا ليس غير .

وإنما بديء العمل في إعداد هذا الضرب من الزجاج في مخابر الشركة ، سنة ١٩٥١،على ايدي جماعةمن الباحثين يرئسهم المهندس ي.غوركوفسكي، والواقع انهم انطلقوا في ابحاثهم من هذه الحقيقة ، وهي ان الاشعة فوق البنفسجية تحدث ارجاعاً (ردود فعل) كيميائية في الزجاج وتغير لونه من ضارب الى الزرقة ، الى بنفسجي ، ثم انكبوا على استخراج نوع من الزجاج يكون ذا حساسية للتصوير الفوتوغرافي بفعل الاشعة فوق البنفسجية . وبعد سنتين من التجارب الموصولة اوفوا على الغاية .

لقد اضافوا الى عناصر الزجاج العادية — وهي الكلس والصوديوم والسيليكيت — مقداراً صغيراً من اوكسيد النحاس . حتى اذا أعد الزجاج وضعت « صورة سلبية » (Negative) على سطحه وسلطت عليها الاشعة فوق البنفسجية ، بنفس الطريقة التي يلتقط فيها المرء صورة فوتوغرافية عادية . اما تظهير الصورة فسهل جداً : يحمى الزجاج الى درجة من الحرارة خاصة ، فتبرز الصورة رائعة تخطف الابصار .

وينصرف الباحثون اليوم الى تحسين نوعيةالصورة الفوتوغرافية . وقد اكتشفوا انهم اذا ما اضافوا مركبات الذهب او الفضة الى الزجاج استطاعوا ان يبدعوا صوراً ذات الوان اخرى .

الولايات المتحدة

١ . آخر نظريات انشتاين

بلغ البير انشتاين هذا الشهر الرابعة والسبعين من عمره . وتتحدث الصحف الاميركية عن ان العالم الكبير منصرف منذ حين الى وضع نظرية جديدةتضم في صيغة واحدة جميع احداث الكون ، منذ الذرة حتى اللانهاية .

ومعروف ان انشتاين يعيش منذ١٩٣٣ في برنستون بالولايات المتحدة . وقد درّس حتى عام ١٩٤٥ في « معهد الدراسات العليا » ، ثم استقال منذ ذلك الوقت وكرس جهوده للبحث والاستقصاء . على انه يتردد دائما على المعهد حيث يقوم مكتبه ومعاونوه . وهو يدعو بين حين وآخر الى اجتماع يعرض فيه اعماله ومعادلاته الاخيرة . ومنذ ثلاثة اعوام عقد مثل هذا الاجتماع بمناسبة اصداره ملحقا لكتابه « معنى النسبية » ، فاحدث صدى بعيداً في جميع انحاء العالم ، وتناولته الصحف العلمية بشتى التعليقات . وهذا الملحق — وكان رياضيا محضا — ينطوي على نظرية الجاذبية المعممة . والواقع ان انشتاين لم ين يوسع الفكرة التي انطلق منها : منذ عام ١٩٠٥، حول النسبية المحدودة ، وهكذا توصل فيما بعد الى اقامة نظرية النسبية العامة التي تعبر عن رأيه الشخصي بالجاذبية. ولكن هذا التعميم نفسه قد ترك على الهامش « القوى الكهربائية المغنطة » واستدعى من اجل ذلك مرحلة اخرى من التوسيع . وفي عام ١٩٢٩ عرض انشتاين « نظرية موحدة » قادرة على ان تمثل جميع قوى الجاذبية والقوى الكهربائية المغنطة . ومنذ ذلك الحين برزت احداث عديدة في الفيزياء الذرية وفي الاشعاع ، كان لا بد من اقامة بناء نظري قادر على تعليلها وعلى التنبؤ — عن طريق معادلات مناسبة — بجميع الاحداث التي تتألف منها لوحة العالم الفيزيائي .

هذه المعادلات الرياضية هي التي توصل اليها انشتاين اخيراً ، والتي نشرها في كتابه « لويس دوبروغلي الفيزيائي والمفكر » والتي صدرت منذ حين .

٢ . همنغواي يفوز بجائزة بولتزر

فاز بجائزة بولتزر الادبية هذا العام الروائي الاميركي الكبير أرنست همنغواي لقصته الاخيرة «الشيخ والبحر» The Old Man and the Sea وهي القصة التي قدمت « الآداب » خلاصتها الى القراء في العدد الماضي مع تعريف واف بالمؤلف الفائز (ص ٥٧ — ٦٤) .

ومنح وليم أنجه جائزة احسن كاتب مسرحي لروايته « نزهة » Picnic التي تحظى الآن بنجاح كبير في برودواي .

ومنحت جائزة الشعر لارشيبالد ماك ليش لمجموعة اشعار وقصائد نظمت في ما بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٥٢ . في حين منح دان هوايتهيد من محرري وكالة « الصحافة المتحدة » جائزة الريبورتاج الصحفي لمقال وصف فيه رحلةقام بها الى كوريا . اما جائزة الريبورتاج الصحفي الدولي ففاز بها اوستن وهروهاين لسلسلة من المقالات كتبها عن كندا .

ومنحت جوائز عدة لصحيفتين من كارولينا لحملتهما على جمعية الـ كو كلوكس كلان » المعادية للزنوج .

اما جائزة تراجم حياة العظماء فمنحت لدافيد مايس لكتابه عن ادموند بندلتون (١٧٢١—١٨٠٣) واما جائزة التاريخ فمنحت لجورج دانجرفلد.

٣ . ذكرى الشاعر محمد إقبال

اقيمت في « المركز الاسلامي » بواشنطن ، يوم الثلاثاء الواقع في ٢٣ نيسان الماضي حفلة تذكارية لمناسبة انقضاء خمسة عشر عاماً على موت شاعر الهند الكبير محمد إقبال . وقد تكلم في الحفلةعدد من الخطباء نذكر منهم الاستاذ حسن صعب السكرتير الاول للمفوضية اللبنانية بواشطن ، الذي القى كلمة جامعة تحدث فيها عن حياة الشاعر العظيم وشعره وأثره في حياة امته .

قرأتُ العددَ الماضي من "الآداب"

بقلم
محمد النقاش

لما التقيت بصديقي سهيل ادريس في باريس ربيع ١٩٥١ ، وكان مكباً على عمله الدراسي في السوربون يجمع المصادر والوثائق لاطروحته عن القصة العربية الحديثة ومدى تأثرها بادب الغرب ، يسلخ من ربيع عمره ومن ايام باريس الحافلة عشر ساعات في اليوم ، سألته وقد هالني هذا الجهد يبذله سهيل في الدرس والتحصيل بعد ان شق لنفسه في الصحافة والادب طريقاً تحف به الآمال ، وتلوح في آفاقه الوعود :

— ما عساك فاعلاً حين تعود ؟

وجاء الجواب واضحاً شفافاً كنفس سهيل :

— لا اعرف ما الذي سأفعله على وجه التحقيق لكسب معاشي . لكن اعرف بالتأكيد ان هناك شيئاً لن افعله ، وهو ان اعود الى الصحافة اليومية . وان شيئاً سأفعله ، وهو ان اصدر مجلة ادبية ، مجلة تعنى بالادب وحده ، بارقى ما يمكن ان تنجبه الاقلام العربية الحديثة ، مجلة تحمل رسالة الادب العربي في اعلى ما يمكن ان يصل اليه ، ان يصبو اليه ...

واذكر اني وافقته على الشطر الاول ، وأبديت مخاوفي من الشطر الثاني . اذ كيف تكتب الحياة في بلدنا لمجلة من هذا الطراز الذي ينتويه . ورحت اعدد المصاعب المعنوية والمادية — لا سيا المادية — التي لا بد ان تقف حجر عثرة في وجه المشروع .

وعاد سهيل — الدكتور سهيل هذه المرة — الى بيروت في مطلع صيف ١٩٥٢ ، وسألته مجدداً عما ينوي ان يفعل، فقال: المجلة التي حدثتك بها .

وعاودت الكرة احاول تثبيط همته وثنيه عن عزمه ، خاشياً عليه ان يُضيع في المجلة كل انعابه في اعماله الثانية من تدريس واذاعة وتحرير . وكان الجواب :

— هذا موالٌ يدوي في رأسي ، ولا مفرّ من ان اغنيه .

وفي منتصف ذلك الصيف تغدينا انا ومحيي الدين النصولي وعبد الله المشنوق وانيس النصولي على مائدة سهيل فوق كتف من اكتاف عيناب الهادئة ، ودفعنا له ثمن الغداء اللطيف متضامنين متكافلين، معزوفةً من التثبيط ، وكان قائد الجوقة الاستاذ المشنوق الذي دخل في التفاصيل واستشهد بالارقام ليعلن في النهاية افلاس سهيل ادريس اذ ما اصر واقدم على اصدار المجلة الجميلة البديعة العظيمة ، لكن الخاسرة ...

ولا أدري اذا كان سهيل قد ندم إذا اضافنا ذلك اليوم... لكنه على أي حال لم يغير فكره ، وظل الموال في رأسه أقوى من معزوفتنا ..

***

واليوم ، وبعد شهور ، يطلب الي صديقي سهيل رئيس تحرير « الآداب » ان أروي انطباعاتي عن العدد الخامس من مجلة « الآداب » . العدد الخامس.. سامع يا محمد ، يا عبدالله ، يا انيس ، يا محيي الدين ؟ خمس اصابع في عيني الشيطان ..

هل يربح سهيل ؟ هل يخسر ؟ هل يوسمل ؟ لا أعرف ! لكن الذي لا شك فيه انه مثل شيخ همنغواي قد ضرب في البحر واندفع في عرضه إلى ابعد ما يستطيع ، وصاد سمكة جميلة ضخمة ومن حسن الحظ انه لم يذهب وحيداً ، ولم يذهب معه غلام،بل ذهب معه صيادان مثله هما الصديقان منير البعلبكي وبهيج عثمان . وقد استطاعوا جميعاً ان يردوا عن السمكة أذى الأقراش حتى الآن، وليس ما يمنع ان يردوا هذا الأذى في بقية الطريق .

ان الاصدقاء الثلاثة الذين جمعتهم في الماضي اكثر من صلة يناضلون اليوم في قارب واحد . ولسنا نملك بعد أن رأينا صيدهم إلا ان نعترف باننا كنا على خطأ وانهم كانوا على صواب.

***

بعد هذه المقدمة الاعترافية التي كنت اشعر بالغصة والضيق لو لم انفس عن صدري بها ، اعود إلى المهمة ، وأتأمل هذا العدد الخامس فأجده خواناً حافلاً بالأطباق الفكرية الشهية ، توحد بينها جميعاً مادة الأدب ، وتتخللها بمقادير مختلفة . فهي هنا — في الشعر والقصص — الأدب ، قاعدتها ومرقها وزينتها . وهي هناك — في الدراسات والابحاث — عليها من فلفل الأدب ما

يسيغها ويعري بها . ولئن كانت حصة البحث والدرس تفوق بكثير حصة الخلق والابداع ، فذلك طبيعي ومطلوب في مجلة ذات رسالة رسمت خطوطها منذ العدد الأول في ما سمته أدب الالتزام ، وعليها اولاً ان توجه النتاج الأدبي في سبيل رفع المستوى العربي ثم ان تقدم نماذج لهذا النتاج الذي ما زال في البراعم ، كما تُقدم من روائع الأدب العالمي جرعة ترطب الحلق وتفتح النفس .

ولست أذهب مذهب زميلي الدكتور شكري فيصل الذي علق على العدد الرابع فأطالب بموضوعات علمية مبسطة . فـ « الآداب » مجلة ادبية اولاً ، وفيها من الابحاث الجدية العميقة ما يكفي لاثقال الدماغ . ولا يطلب منها ان تعنى بالعلوم ، إلا بقدر ما يكون لهذه العلوم من أثر في الحياة ، أي في الأدب . واوضح فأقول ان المطلوب أن لا يكون هناك باب خاص للعلوم ، وإنما أن تُسلك العلوم في العقد الأدبي ، ان تأتي في معرض الكلام عن الانسان خلال الشعر والقصص والمقالة الاجتماعية . أما التحدث عن العلوم في نطاق الاختصاص أو التبسيط ، فنحن في حاجة ماسة اليه ، كما قال الدكتور فيصل ، لكن شريطة ان تكون له مجلة خاصة .

انا على العكس لاحظت أن ما ينقص « الآداب » هو بعض النوادر والنكات . فقد قرأت العدد الخامس من الدفة إلى الدفة ، فأثار فيّ ألواناً شتى من العواطف ، تراوح بين القلق والذعر والحزن ، وبين الرضى والاطمئنان والفرح ، واستفز في رأسي التفكير في نواح شتى من مشاكلنا وقضايانا ، لكني لا أذكر ان شفتيّ انفرجتا عن ضحكة بله عن ابتسامة . وهذا كثير .. فاذا فاتنا الأديب الساخر او الكاتب الفكه ، فلا أقل من ان نستعيض بحفنة من النوادر والنكات ننثرها خلال المجلة الرصينة ، ونخفف عن القارىء بعض التوتر ، ولو انه توتر خصيب .

ولا مراء في ان الشعر ينهض بجانب من مهمة الترفيه عن القارىء ، وهو موزع في المجلة توزيعاً حسنا . ولست ازعم اني ناقد شعر ، اتوفر على تحليله وغربلته . لكني في تذوقي هذا اللون العالي من الأدب أستعذبه واستعظمه من خلال مقياس شبه تقليدي : المعنى النادر والصورة الجديدة في قالب بديع . واعلق اهمية خاصة على الصياغة ، فحيث تضعف الصياغة يموت الشعر . وأسارع فأقول ان كل اشعار العدد الخامس جيدة تحت هذا المقياس ، بما في ذلك طبعاً القصائد التي استشهد بها ميخائيل نعيمة لدن حديثه الجميل عن الشاعر نسيب عريضه .

على ان هناك قصيدة تبرز باسقة وسط واحة الشعر في هذا العدد ، بل وسطَ واحة الشعر العربي على الاطلاق . انها « الملجأ العشرون » لعبد الوهاب البياتي . فهذا التحليق إلى إسمى المعاني ، هذا التحليق إلى دنيا الملاحم على أجنحة حادث يومي تافه فتحٌ جديد في لغتنا . وإني لأتساءل إذا كان في امكان التاريخ أن يحصل على أبدع وأروع وأوجز من هذه الصفحة في تصوير حالة اللاجئين الفلسطينيين والتعبير عن آمالهم وأحلامهم .

***

اذا لم تكن مجلة يرئس تحريرها سهيل ادريس غربالاً جيداً للاقاصيص ، وهو من عانى الاقصوصة ابداعاً ودراسة منذ ان برى قلمه ، فاية قيمة تبقى لهذه المجلة ؟

ان الاقاصيص الثلاث التي حواها العدد الخامس ممتازة ، وكلها ذات نعرة إنسانية مؤثرة ، حتى تلك التي بطلتاها من البقر ! وفيها كلها دليل على ان الاقصوصة العربية في مصر وسوريا والعراق تنحو نحواً جديداً يبشر بكل عميق معقد بديع . « فالصديقتان » لعبد الملك نوري من بغداد ، على ما فيها من هنات لغوية ، قصة غنية بجوها الواقعي الرمزي في آن واحد ، ممتعة بسردها واسترسالها . و « احلام تحت الحذاء » لمحمد ابو المعاطي ابو النجا من القاهرة تزخر باعنف العواطف تحت مظاهر اللين والاستسلام ، فكأنها بركان يراوده الانفجار . و « مرآة النفوس البشرية » لفارس زرزور من دمشق فيها من الوصف وطول النفَس في العرض واصطياد اصغر التفاصيل دون إملال ، ما ينبيء ان في إهاب المؤلف قصصياً مؤهلاً لمعالجة القصة الطويلة بنجاح .

وكان كتاب الشهر رواية اميركية لارنست همنغواي ، لخصها صباح محيي الدين بعد مقدمة نقدية صغيرة عن المؤلف . وكان بودي ان اعرف حجم الرواية الاميركية لادرك مدى الجهد الذي بذله صباح في تلخيصها ، وأزداد إعجاباً بابقائه على روعتها . الصحيح ان صباحاً احسن الاختيار واحسن اكثر ما احسن العثور في العربية على مفردات بحرية قليلة الاستعمال ، وضعها في محالّها باحكام . وكان اسلوبه طوال السرد نابضاً بالحياة .

* * *

يمكن القول ان بين مقالات سهيل ادريس « شكاوى

الادب العربي الحديث » وعبد الحميد يونس « اللغة والحيـــاة » وكمال اليازجي « عـــلى هامش الادب المحنط » ، بين كل هذه المقالات صلة نسب ، او قاسماً مشتركا ، يتلخص في ان الادب العربي الحديث لم يتغلغل بعد كل التغلغل الى صميم الشعب ، ولم يعكس حياته بكل ما فيها من هموم واحلام ونزوات . وجد سهيل ادريس العلة في عدة اسباب فصلها وحللها ، لكن نسي ان مطلق الرصاصة الاولى في الثورة العربية هو شريف ، وامير ، وليس من ابنـــاء الشعب . وعندما تكون الثورة نفسهـا اريستوقراطية ، فمن العسير ان تكـون اصداؤها في الأدب شعبية . ووجد عبد الحميد يونس العلة في ازدواج اللغة : لغـة للخاصـة ولغة للعامة . وكاد في عرضه المنطقي المحكم للمشكلة يدخل القنوط على قلوبنا ، لولا انه ختم مقاله بنبرة متفائلة تبشر بقرب خلاصنا من هذا الازدواج عن طريق التعليم والصحافـة والاذاعة بحيث نصل الى لغة واحدة للحياة. وكان كمال اليازجي على حـق في ثورته على الادب المحنط ، او الادب التقليدي ، نلقنه الصغار والكبار من طلابنا ، مع العلم ان في تراثنا القديم شعراً ونثراً اكثر انسانية ، واولى بان يطبعا نفوس الناشئة .

ولعل المنعكس الجامع لكل ما في هذه المقالات التي تكمن فيها بذور الثورة والتمرد هو في مقال الثورة والقصـة لألبير كامو – وهو مقال اثني على جهد مترجمه ولو كنت افضل لو أنه اعاد النظر في ترجمته اكثر من مرة عساها تأتي ايسر على الفهم – فقد اكد لنا كامو ان القصة هي بنت المجتمع الثـــائر والانسان الثائر . ولعلنا مجتمعاً وافراداً بدأنا ننطلق من قيود الاستسلام الى آفاق الثورة لنبلغ آفاق القصة التي هي في عصرنا اداة التعبير المهيمنة في الادب .

* * *

لن استطيع التحدث عن بقية المقالات فقد اطلت ، لكن لن انسى التنويه بناحية لم نعهدها في المطبوعات العربية ، هي العناية بالتنقيط ووضع الشكل حين يقتضي الأمر وضعه ، مما يسهّـل الفهم على القارىء . كما انى ان انسى التنويه بابواب المجـلة وجودة ما فيها من معالجات ومناقشات واخبار ، شريطـة ان لاتستمر المناقشة طويلاً بين ادباء يتلمسون كتب مي ويحركون مباضعهم في حروفها ليحكموا على حقيقة انوثتها ...

محمد النقاش

النشاط الثقافي في العالم العربي

لبنان

حول الحياة الادبية في لبنان

اصبح الحديث عن الحياة الادبية في لبنان بدعة جذابة ، لكل من تفوته موضوعات الكتابة ...

وحسب المتحدث في هـذا الموضوع ان يدور قلمه حول كساد الادب وقحط الاقلام وجفاف القرائح حتى يظن ان مقالاً للنشر قد استوى بين يديه!

نشرت جريدة «الحياة» في صفحتها الادبية في ١٥ نوار الماضي، كلمة لأحد محرري صفحتها هـذه ، عن اسباب فقدان المجلة الأدبية في لبنان . وبعد ان اظهر المحرر الخبير غيرته على الأدب وإشفاقه على مصيره الذي صار اليه ، أطال في تعليل هذه الظاهرة التي تستحق الدرس ، ظاهرة فقـدان المجلات الأدبية .

ولسنا في حاجة الى ان نقول : لو زار هذا المحرر النابه ، يوماً ، مكتبة من المكتبات لعرف ان لبنان لا يشكو من فقدان المجلات الادبية ، بقدر ما يشكو من جهل من يحملون الاقلام ويتصدون لموضوع لم يستكملوا اسباب الاطلاع على جوانبه ...!

واذا كان لهذا المحرر عذره في عدم اطلاعه ... فماذا نقول حين يتحدث الاستاذ صلاح لبكي رئيس جمعية « اهل القلم» عن الحياة الادبية في لبنان، في مقال طويـل نشرته جريـدة « الجريدة»، ويقول كلاماً كثيراً يدور حول القحط والجـدب والنضوب ... ثم يقول : «ولولا الندوة اللبنانية وما تبذل من همة لاستحثاث الفكر عندنا عـلى التفكير وعلى القاء المحاضرات في شتى المواضيع ولولا عقودهـا الاسبوعية ولولا نشرتها الشهرية لما كان لنا ان نشير الى نهضـة ولا ان ننوه بحركة ادبية » .

رويدك يا رئيس جمعية «اهل القـلم» ! .

اما ان الندوة اللبنانية تبذل همتها لاستحثاث الفكر والقـاء المحاضرات، فهذا أمر لا ننكره، بـل نقره ونهنيء الاستاذ ميشال الاسمر مؤسس الندوة عليه .

واما ان النهضة الأدبية تتمثل في محاضرات الندوة فهذا يدل على احد امرين: إما ان الاستاذ لبكي لا يقرأ الكتب والمجلات الـتي تخرجها المطبعة اللبنانية كل اسبوع بل كل يوم . واما انـه يتصور النهضـة تصوراً خاصـا ينحصر في محاضرة تلقى، وعشرات من المستمعين الدائمين الذين لا يكادون يتغيرون !...

ليعلم الاستاذ لبكي ان في لبنان عدداً كبيراً من الجمعيات الجامعيـة والمدرسية تساهم ، الى جانب الندوة ، في القاء المحاضرات .

وليعلم ان في بيروت دوراً للنشر يبلغ معدل ما تخرجه مجتمعة كتاباً واحداً كل صباح ... وليعلم رئيس جمعية «اهل القلم» ان الى جانب نشرة الندوة التي تردد ما القي على منبرها ، مئات الاقلام تعالج مشكلات الحياة العربية ، في كل عدد من اعداد الابحاث والثقافة الوطنية والاديب والعرفان والحكمة والآداب.

رويدك ، يا استاذ لبكي !

صحيح ان الحياة الادبية لم تبلغ بعد ما نريد من الكمال والازدهار والعمق والتشجيع ، ولكن هـذا النشاط الذي نلحظه في عالم النشر دليل على ان حديث القحط والكساد اسطورة لا يصح ان يرددها رئيس جمعية «اهل القلم» !

« بهي »

مؤتمر الدراسات العربية

دأبت هيئة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية ببيروت على عقـد مؤتمرات سنوية لدراسة مختلف نواحي المجتمع العربي . وعقد المؤتمر الاخير في السابع والعشرين من نيسان واستمر الى مطلع نوار ١٩٥٣ ، في قاعة « وست هول » . وقد افتتح المؤتمر الدكتور نبيه امين فارس بكلمة عبر فيها عن امله في ان يكون المؤتمر ، بما هو فيه من نواح هامة لمجتمعنا الحاضر ، ذا فائدة تعود على العرب في مختلف اقطارهم.

وكانت المحـاضرة الاولى للدكتور حكمت هاشم ، استاذ الفلسفة العامة في الجامعة السورية وموضوعها « البيت العربي » . واستهلها بذكر الصعوبات الـتي تواجهنا عند معالجة هذا الموضوع منها ان مدلول البيت العربي غير محدد ، وان التحاليل الوصفيـة نادرة على المستويين المـكاني والحضاري ، وان التطور في البيئات العربية مختلف السرعة . ثم تناول المحاضر البيت العربي من وجوهه الثلاثة: المادية والاجتماعية والمعنوية الصرفة . وبين عند بحثه في الوجه المادي تفاوت مستويات الحياة في البيئات العربية المختلفة والانخفاض المخيف في مستوى الحياة عند غالبية العرب ، وحث عـلى وجوب التسوية العادلة بين طبقات الشعب على نحو ديمقراطي . كما اشار عند بحثه الوجه الاجتماعي الى ان الاتجاه الحاضر بصدد

أشتات ادبية

- صفق الاستاذ كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية للاستاذ عبد الله العلايلي تصفيقاً حاراً حين قال في تكريم الاستاذ وديع البستاني : « ان عبقريات لبنان تصب في غير اقنيته » .
- وزعت التشكيلات الاخيرة مناصب وزارة التربية الوطنية الرئيسية كما يلي : رئيس الجامعة اللبنانية الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، رئيس المصلحة الثقافية : الدكتور كمال الحاج ، رئيس مصلحة التفتيش : الدكتور توفيق الصباغ ، امين دار الكتب : الاستاذ واصف البارودي .
- اقام المعهد الثقافي الايطـالي في بيروت ، هذا الموسم ، سلسلة من المحاضرات باللغتين العربية والفرنسية ، وقد اشرف على إعدادها المستشرق الايطالي الاستاذ مورينو .
- زار بيروت هذا الشهر، المستشرق الفرنسي الاستاذ بلاشير في زيارة للبعثات العلمانية في سورية ولبنان ، والاديب الفرنسي مالرو في طريقه الى الهند الصينية، كما زار بيروت الدكتور محمد حسين هيكل والسيدة امينة السعيد في طريقهما الى حلب حيث القى كل منهما محـاضرة بدعوة من دار الكتب فيها .
- انشأ السيد خليل طعمه داراً للتوزيع باسم (دار الثقافة) والذين عرفوا نشاط السيد طعمه في ادارة دار المعارف ببيروت يتوقعون له في عمله المستقل الجديد نجاحاً ملموساً في توزيع الكتاب العربي والترويج له.

الطلاق يهدف الى ان يتخذ من نية الشارع العميقة سندا لاناطة التفريق بالقضاء المدني . وذكر عندما تناول الزواج ان الميل التقدمي هو الى « وحدانية » الزواج .

ولا بد لنا من الاشارة الى التوفيق الذي اصابه المحاضر في تقديمه دراسة عميقة موضوعية تركيبية دقيقة العبارة .

وقد دارت في اليوم المخصص لمناقشة هذه المحاضرة ، مناقشات عديدة قيمة اشترك فيها الاساتذة صبحي المحمصاني ، عمر فروخ ، زكي النقاش ، منير تقي الدين وغيرهم .

وكانت المحاضرة الثانية للدكتور عفيف طنوس ، وموضوعها « الريف العربي » . تناول المحاضر بالبحث الحياة البدوية والحياة القروية وأبرز مشاكل الريف وخاصة مشكلة اسكان البدو ، واشار الى ضرورة الاسراع بمعالجتها لأن مصير حياة العالم العربي بأسره يتوقف على مصير اهل الريف . وقد اشار الدكتور نقولا زيادة — اثناء تعليقه على المحاضرة — الى خلوها من كثير من الاحصاءات الدقيقة الضرورية ، والى ان الجهد الذي يبذل في تعليم الأميين الكبار من اهل الريف جهد ضائع ما دام في البلاد عدد من الصغار يتسكعون في الشوارع . وأضاف الى هذا ان اي اصلاح يراد ادخاله في الريف يجب ان يتم عن طريق أبناء الريف أنفسهم . وعند مناقشة أقوم السبل لمعالجة مشاكل الريف قال الاستاذ محمد توفيق حسين بأن حلها يتوقف على نوع الحكومة التي تتصدى لمعالجة قضايا الريف وعلى قدرة رجالها على الاضطلاع بمثل هذه المهمة الشاقة .

وقد ذكر الدكتور عفيف طنوس في محاضرته ان العالم العربي بدأ يحس بخطر الملكيات الواسعة وانه يحاول ايجاد حل لهذه المشكلة الخطيرة . وقال ان في العراق قانونا زراعياً يقضي بتقسيم الارض بين الفلاحين قسمت بموجبه أراض حكومية بين عدد من صغار المزارعين . ولكن احد اعضاء المؤتمر وهو عراقي ، بين انه لا وجود لقانون بهذا النص ، وأن المشكلة ما تزال قائمة في انتظار حل لها .

وكانت المحاضرة الثالثة للدكتور قسطنطين زريق ، رئيس الجامعة الاميركية بالوكالة ، وموضوعها « التربية العربية » * . ولم يقتصر المحاضر على تقديم دراسة موضوعية بل عني كذلك بالناحية التوجيهية فذكر السبل التي لا بد للتربية العربية من أن تتبعها لتقوم في المجتمع على الوجه الصحيح .

واقترح الاستاذ زكي النقاش ان تقدم هذه التوجيهات للقائمين على شئون المعارف ، فرد عليه الدكتور نبيه امين فارس رئيس المؤتمر بقوله ان عمل المؤتمر يقتصر على الدراسة فقط .

واثناء مناقشة المحاضرة سأل احد الاعضاء عما اذا كانت هناك « تربية عربية » لها ذاتية وخصائص واضحة مميزة . فرد عليه المحاضر بأنه لايوجد في البلاد العربية تربية تقوم على دراسة فلسفية لحاجات المجتمع العربي وانما هي نظم مقتبس اكثرها عن اساليب التربية في الغرب .

وقد اكد الدكتور زريق على ضرورة تعزيز المعلمين ورفع شأن المعلم . وعندما سئل عن كيفية رفع شأن المعلم ما دامت ميزانيات المعارف في البلاد العربية لاتهيء للمعلمين الحياة الكريمة التي تجعلهم يقبلون على مهنتهم باخلاص ، قال انه لاننتظر من دوائر المعارف الرسمية ان تجاري التوسع في التعليم الذي تشهده البلاد العربية في الوقت الحاضر وأنه لا بد من أن يساهم الشعب في نفقات التعليم ، ثم اشار الى انصراف اغنيائنا عن تقديم المساعدات الضرورية في هذا الميدان .

واثيرت خلال المناقشة مسألة اشتغال الطلبة بالسياسة فقال الدكتور زريق بأنه لايرى حرمان الطلاب ، وهم فئة واعية من المجتمع ، من الاشتغال بالسياسة . ولكنه يرى أن يتم هذا خارج نطاق المعاهد والجامعات ، فيستطيع الطالب أن يكون عضواً في اي حزب يختاره ولكن بصفته الشخصية كمواطن .

وكانت المحاضرة الاخيرة للدكتور حنا رزق احد الاساتذة بالجامعة الاميركية بالقاهرة وموضوعها « الفرد والمجتمع » وكان القسم الاول منها دراسة نظرية عميقة لعلاقة الفرد بالمجتمع . وانتقل بعد ذلك الى المجتمع العربي الحديث فذكر أنه من الناحية الاجتماعية ينقسم الى طبقات تفصل بينها فجوات واسعة ، وأن الطبقة الدنيا تؤلف نحو ٨٠٪ من مجموع السكان ، وان الطبقة العليا اقلية ضئيلة من الناحية العددية ولكنها تملك ثروات واسعة تمكنها من استغلال الطبقة الفقيرة . ثم تناول المجتمع العربي من النواحي الاقتصادية والثقافية والسياسية وذكر ان اهم ما ينبغي ان تعنى به السياسة الداخلية هو تأمين حقوق الافراد وحرياتهم وذلك بمساواتهم جميعاً ، وأن العالم العربي في حاجة الى زعامة شعبية لها من الشجاعة ما يجعلها تنهج نهجاً واقعياً في معالجة مشاكلها .

وكان المؤتمر في جملته موفقاً من نواح كثيرة : ولعل ابرز هذه النواحي هي أن ابحاثه ومناقشاته تميزت بواقعيتها وصراحة عباراتها عرضا ونقداً ومناقشة ، ورسمت صورة صادقة لواقع المجتمع العربي الحديث المؤلم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، وأكدت هذه الابحاث على ان معظم مشاكل العالم العربي اقتصادية في أساسها ، وأن اولى العقبات التي تحول دون نهوضه هي تفاوت الطبقات من حيث ما يتملكه افرادها من ثروات . ثم ان حل هذه المشاكل يتوقف اولا وقبل كل شيء على قيام اجهزة جديدة للحكم تستند الى القوى الشعبية وتضطلع بمعالجة قضايانا في امانة وصدق .

محمود يوسف زايد

ترجمة الروائع الانسانية

تتابع « اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية » ترجمة المؤلفات العلمية من اللغة العربية او اليها . واليوم تصدر اللجنة ترجمة عربية لكتاب الفيلسوف الفرنسي ديكارت « مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم » . وقد نقل هذا الكتاب الى العربية الدكتور جميل صليبا ، وصدره بمقدمة تناولت حياة ديكارت وعرضت لخطوط فلسفته ومراحلها ، وشرحت فلسفته الاخلاقية .

واللجنة الدولية التي تقوم بهذه المهمة تأسست في بيروت في شهر كانون الاول (دسمبر) ١٩٤٨ اثر اتفاق بين الاونسكو والحكومة اللبنانية . وهي تتألف من الاساتذة : اسطفان بنروز (رئيساً) ادوين رباط (نائب رئيس) فؤاد افرام البستاني (سكرتيراً عاماً) توم موراي (امين صندوق) عبد الله المشنوق وهنري لاووست (مستشارين) .

وقد تولت اللجنة حتى الآن ترجمة كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا وكتاب البخلاء للجاحظ الى اللغة الفرنسية ، كما نقلت كتاب « ايها الولد » للغزالي الى اللغات الفرنسية والانجليزية والاسبانية .

* يجدها القارىء على الصفحة ٥٢ من هذا العدد .

النشاط الثقافي في العالم العربي

وتعنى اللجنة الآن بنقل مؤلفات اخرى الى اللغة العربية نذكر منها كتاب « السياسة » لارسطو ، وروح القوانين لمونتسكيو ، ودون كيشوت لسرفانتيس .

ويلاحظ ان اللجنة تنقل الى اللغة العربية ، فيما تنقل ، بعض الكتب التي سبق لبعض النقلة العرب ان ترجموها ، فكتاب السياسة قد نقله الى العربية الدكتور لطفي السيد ، كما ان كتاب طريقة ديكارت قد نقله الدكتور عثمان امين تحت عنوان « مقال في المنهج » . ومهما كان رأي اللجنة ، او بعض أعضائها ، في هذه الترجمات ، فان الاولى ان تتجه جهود اللجنة وأموالها ونشاط النقلة واوقاتهم الى كتب جديدة لا تعرفها العربية...

معرض الكتاب العربي

أقامت جمعية العروة الوثقى في جامعة بيروت الاميركية معرضاً للكتاب العربي ، وخصصته هذا العام لنتاج المطبعة في سورية ، بعد ان تناولت في العام الماضي المطبوعات اللبنانية .

وبعد ان افتتح السيد اديب قعوار حفلة الافتتاح بكلمة عن الجهد الذي بذلته جمعية العروة من اجل إعداد هذا المعرض ، القت الآنسة سميرة ابو غزاله كلمة تحدثت فيها عن اثر الكتاب في نهضة الامم ، ورحبت باهتمام شباب العروة بكتابهم العربي ودعت الى تشجيع الكتاب بمختلف السبل .

ثم انتقل المدعوون الى اقسام المعرض فاطلعوا على احدث ما انتجه السوريون في مختلف نواحي المعرفة من فلسفة وتاريخ واجتماع ودين ولغة ، وقد خصص جانب من جوانب المعرض بالصحف والمجلات والنشرات ، كما خصص جانب آخر بالطوابع السورية تمثل مختلف العهود والمناسبات التي حفل بها تاريخ سوريا الحديث .

وان الزائر ليدرك سريعاً مهدى الجهد المبذول في إعداد معرض يضم مجموعة من الكتب بعضها نادر وبعضها الآخر نافد ... ونرجو ان يكون معرض العروة القادم اكثر تصويراً للحياة الفكرية في البلد الذي سيخصص له.

تكريم معرّب المهبراته

اقيم في قاعة الجامعة اللبنانية مهرجان أنيق تكريماً للاستاذ وديع فارس البستاني بمناسبة تعريبه ملحمة الهند الكبرى « المهبراته » شعراً . وقد نشرتها بالعربية دار الاحد في حلة بالغة الاناقة ، سخية الاخراج ، في اربعمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير الصقيل .

وقد اجتمع في حفلة التكريم عشرة خطباء يندر ان يجتمعوا في حفل واحد . وبعد ان القى الاستاذ كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية كلمة طيبة ، قام المحتفى به ووجه كلمة شكر فيها الخطباء والمدعوين .

والمهبراته هي كبرى الملاحم الهندوية ، بل كبرى الملاحم العالمية . نظمها بالسنسكريتية الشاعر « فيازى » في القرن العاشر قبل المسيح : فهي والالياذة من عصر واحد تقريبا . وهي احدى الملاحم العالمية الاربع : المهبراتة والرامايانة الهندوينتين ، والالياذة والاوذيسة اليونانيتين .

واسم المهبراتة مركب من « ماها » ومعناها الكبير (كما في مهاتما : النفس الكبيرة ، ومهراجا : الامير الكبير) وبهرات الملك السابع عشر في الدولة القمرية . واسم الهند الحديثة « جمهورية بهرات » . وموضوعها حرب شبت في شمالي الهند إثر خلاف اذكاه بغض الملك الطالح وحسده لابن عمه الملك الصالح للبار ، وقد فقد هذا ملكه ، ونفسه ، واخوته الاربعة ، وزوجته في مقامرة دنيئة استهواه اليها الملك الطالح .

تحتوي المهبراتة على نحو ٩٥٠٠٠ بيت تتضمن اروع المشاهد الملحمية ، واصدق الاقوال الحكمية مبنية على فلسفات القدامى ، وقفت جميعها على إحقاق الحق ، وإعظام الخير ، فجاءت عبرتها في المثل السنسكريتي « ومن يؤت الفضيلة يؤت نصراً ! »

والمهبراتة كتاب الهندوبين المقدس ، الشامل للنشيد الالهي « البغفادغيتا » وهو الكتاب الذي تقسم عليه الايمان في الهند ، بمثابة الانجيل والقرآن .

أما المهبراتة العربية ، فهي تعريب صحيح للملحمة كما جمعها وبوبها الشاعر الهندوي الكبير رومش دط ، ونقلها شعراً من السنسكريتية الى الانكليزية ولم يكتف الاستاذ وديع البستاني بدراساته ، بين عام ١٩١٢ و ١٩١٧ في الهند ، ولا بمعرفته المحدودة للسنسكريتية ، بل اعتمد ترجمة رومش دط وغيرها من الترجمات الفرنسية والانكليزية . واستعان بكثير من المؤلفات والاسفار التي مكنته من ايفاء الشروح حقها فأتى الكتاب سفر تاريخ وفلسفة واجتماع الى كونه ديوان شعر ملحمي .

وهكذا يتاح لبستاني آخر ان يترجم هذه الملحمة الكبرى الى العربية. كما اتيح لسليمان البستاني ان يترجم الالياذة من قبل .



لمراسل [الآداب] الخاص

١ . جوائز المجمع للشعر والقصة

في تمام الساعة السادسة من مساء الخميس ٧ مايو سنة ١٩٥٣ ، عقد مجمع فؤاد الأول للغة العربية جلسة علنية أذيعت فيها نتيجة المسابقات الأدبية في الشعر والقصة ، وكان برنامج الجلسة التي شهدها عدد كبير من الأدباء والمثقفين يتضمن ثلاث كلمات ، أولاها للاستاذ عباس محمود العقاد ، حيث قدم بها للديوان الفائز بالجائزة الاولى وهو ديوان « وحي المرأة » للاستاذ عبد الرحمن صدقي وكيل دار الاوبرا المصرية . أما الكلمة الثانية فللاستاذ محمود تيمور حيث قدم بها للقصة الفائزة بالجائزة الثانية وهي قصة « أعاصير » للاستاذ عبد الستار فراج المحرر بالمجمع ، وكانت الكلمة الثالثة للمراقب الاداري بالمجمع حيث أعلن فيها نتيجة المسابقات كما اقرتها لجنة الأدب . ولقد قال المراقب الاداري في كلمته ان اللجنة قد تلقت ستة دواوين من الشعر ، كما تلقت اربع قصص وبحثين اثنين في النقد الأدبي، ثم انتهت بعد الفحص والمراجعة الى منح الجائزة الاولى في الشعر وقدرها مائة وخمسة وعشرون جنيهاً لصاحب ديوان « وحي المرأة » ، والجائزة الثانية في القصة حيث لم تستحق الجائزة الاولى

احدى القصص الاربع لصاحب قصة « أعاصير » ، وقيمة هذه الجائزة خمسة وسبعون جنيهاً .. اما جائزة النقد فلم يظفر بها كل من البحثين المقدمين لأنها في رأي اللجنة دون المستوى المنشود.

وقبل ان تلقى هذه الكلمات الثلاث نهض الدكتور منصور فهمي ليعلن افتتاحه للجلسة بالنيابة عن رئيس المجمع وهو الاستاذ احمد لطفي السيد الذي تخلف عن الحضور لعذر قاهر ، ثم قدم الى الحاضرين المتحدث الاول وهو الاستاذ عباس محمود العقاد ثم المتحدث الذي يليه وهو الاستاذ محمود تيمور . وعندما انتهى الدكتور من كلمته الموجزة نهض الاستاذ العقاد ليتحدث في كلمة مستفيضة عن الديوان الفائز ، وهذه هي وجهة نظره الفنية التي قدم بها لهذا الديوان: «قيل بحق وسار مسير الأمثال ان طبيعة الانسان واحدة حيث كان . أو قيل في هذا المعنى ان الانسان انسان في كل زمان ومكان .. ويريدون بذلك ان الطبيعة الانسانية قلما تتغير في جوهرها من عصر الى عصر ، وان ما عهد في الانسان قبل الف سنة قد يعهد فيه اليوم ، وربما عهد بعد الف سنة قياساً على ما غبر .

« وما يقال عن الانسان يقال عن الشعر الذي توحيه الطبيعة الانسانية ؛ فنحن اليوم نتمثل شعراً نظم قبل خمسة عشر قرناً كأنه نظم اليوم ، ولو أنه نظم قبل ذلك بخمسة عشر قرناً أخرى لتبقى فيه ما نتمثله ، وتركناه من بعدنا للمتمثلين والمستشهدين مئات السنين إن لم نقل آلاف السنين ، لا يختلف منه إلا القليل مما عساه ان يختلف بين أبناء العصر الواحد والأمة الواحدة ، وكأنه اختلاف في الصورة الواحدة حين ترى من جانبين او من جوانب متعددة .

« مثل هذا الشعر لا يعيبه أنه من بقايا الماضي ، ولا يطلب منه ان يكون وليد زمنه دون غيره وان يوافق عصراً ولا يوافق جميع العصور ، لأنه يعيش مع الانسان وليس الانسان وقفاً على زمان او مكان ، ومن محاسن الشعر الذي توحيه الطبيعة الانسانية انه كتلك الطبيعة : واحد حيث كان .. إلا ان الشعر قد يرتبط بحالة من حالات المجتمع الانساني ، وقد يتغير المجتمع الانساني من عصر الى عصر ، ومن بيئة الى بيئة ؛ فما يحصل في عصر لا يحصل في عصر آخر او يحصل على مثال واحد ، وما يوحيه الى النفس قد يقصر عليه ولا يسبقه . فاذا قيل فيه شعر او نشأ فيه فن ، كان من محاسنه انه وليد زمنه ، واننا نكاد ان نعرف منه تاريخه ولا نتقدم به حقبة واحدة وراءه ، ويصح في هذه الحالة ان يقال إنه شعر مطبوع لأنه وليد الزمن الذي نظم فيه .

« ومن هذا القبيل ديوان « وحي المرأة » لصاحبه الأستاذ عبدالرحمن صدقي الذي نحتفل باجازته اليوم ، وديوان « وحي المرأة » هو ديوان نظم كله في رثاء زوجة ، ويكفي هذا من البيان عنه ليوصف بانه وليد زمنه ، وأنه نظم في القرن العشرين ولم ينظم قبل ذلك بجيل واحد . فلم يسبق قط فيما نعلم من آداب الأمم القديمة ان ديواناً نظم في رثاء زوجة ، بل ندر في الشعر كله نظم القصيدة الواحدة في هذا الموضوع .

اما البواعث الفنية فلا حاجة بها الى تفسير غير الشعر نفسه ، فاذا كان الشعر تعبيراً جميلاً عن شعور صادق ، فذلك وحده كفيل بحقه في الوجود.. والحق الفني في هذا الديوان موفور ، لأنه احسن التعبير عن عاطفته ، واستقصاها في جميع ظلالها وشياتها ، وكانت له تعبيرات ملهمة في كثير من المعاني .

من هذه التعبيرات الملهمة تعبيره عن الرثاء بالنسيب في موقف من المواقف يستدعيه . كانت الزوجة الفقيدة تسأل الشاعر كأنها عاتبة : او شاعر ولا اسمع منك نسيباً ؟ ويذكر الشاعر ذلك بعد موتها فيقول :

تقولين في عتب المحب أشاعر … وما جاءني منك النسيب المحبب؟
لقد كنت في شغل بموتك شاغل … فهأنذا من بعد موتك أنشب
اعدد اوصافاً وأطري محاسناً … وماأنت في قيد الحياة فأكذب!

ومن هذه التعبيرات « عيد الاحزان » .. خيل الى الشاعر انه يسمع صوتاً يهتف به كصوت زوجته ، فبات ليلته ينوي ان يزور قبرها . وقال في هذا المعنى :

هتاف بقلبي مثل صوتك ناجاني … وحرك شوقي للمزار وأشجاني
وأجمعت امري ان ازورك في غد … فيوم غد كالعيد.. عيد لأحزاني

وهذه هي طبيعة الانسان : يعرف بعد المسافة ما بين الحي والميت فيخلق لنفسه بعداً اقرب من بعد ، ويوهم نفسه لقاء مع الفراق الذي لا لقاء فيه . فليس اصدق في التعبير عن هذا المعنى من الاحزان تتخذ لها عيداً مميزاً بين سائر الايام ! ومن هذه التعبيرات « مزايا الموت » في قول الشاعر :

احدث نفسي إن خلوت مسائلا — وقد خاب من كان السؤال قصاراه
أحيٌّ؟ فما لي لا احرك ساكنا — إلى مطلب لا حيّ إلا تمناه
أميت؟ فما للحزن ملء جوانحي — لي الويل من موت خلا من مزاياه!

... على ان الرثاء لم يستغرق ديوان « وحي المرأة » كله ، فقد اشتمل الديوان على قصائد وصف تجلت فيها قريحة الناقد الفنان وسليقة الشاعر الذواق، ومنها اوصاف المناظر المشهورة والآيات الفنية التي اعجب بها الشاعر في زياراته لمدن الفنون باوربة ، وقد اصاب إذ سماها « طوافاً في الزمان » .

وهنا استشهد الاستاذ العقاد ببعض النماذج الشعرية من قصائد الشاعر الوصفية حتى اذا انتهى من الطواف بها ختم حديثه بهذه الكلمات :

« إن في شعر هـذا الديوان خيالا لاخفاء به على من يرقب الخيال في أساليبه المتعددة ، وفيه نفحة الشعر من فطنة وذوق ، ولا شعر بغير ذوق وفطنة خيال . فهي مقومات الشعر الجيد ما من واحـد منها معدى للشاعر المجيد .. لكنها لا تمتزج على نحو واحد في قصائد الشعراء ، فمن هذه القصائد ما يبده ويروع لأن الخيال طاغ عليه بارز فيه ، ومنها ما يروق ويونق لأنـه يشغل الذوق بالانتقاء والتمييز ، ومنهـا ما ينبه القريحة ويفتـح لها المنادح والأبواب لأنه يخاطبها من جانب الفطنة والفراسة . وقد يكون الخطأ من قارىء الشعر ـ لا من الشعر نفسه ـ إذا كان يطلبه مزاجاً واحـداً تتساوى فيه المقاصد والأساليب .

« اما اسلوب هذا الديوان فقد غلبت عليه الفطنة والذوق ، وجاء الخيال مساعـداً لهما يمشي وراءهما او يمشي معهما ، ولا يسبقها وثباً بعيداً كما يتفق في كثير من ضروب الخيال ، ولا سيما الخيـال الذي لا تقيده عاطفة منتظمة كعاطفة الزوجية او صور متناسقة كصور الفنون والآثار .. وقد توافرت لديوان « وحي المرأة » مزايا من الشعر يقدرها المجمع ، فاستحق جائزته للشعر في هذا العام » .

هذه هي كلمة الأستاذ العقاد عن الشعر، ويؤسفنا ألا يتسع المجال لكلمة الاستاذ تيمور عن القصة .

٢ . الديوان الذي رفضه المجمع

من الكلمة السابقة عرف قراء «الآداب». ان ديوان « وحي المرأة » هو الديوان الذي اختاره المجمع ، ولكنهم لا يعرفون ان هناك ديوانـاً ممتازاً من بين الدواوين الستة المشتركة في المسابقة قـد رفضه المجمع ، ديواناً كان نقاد الشعر ومتذوقوه يتوقعون له مصيراً غير الذي انتهى اليه ، وهو ان يكون هذا الديوان في الطليعة حين توضع الدواوين المقدمة الى المجمـع في الميزان ، وهو ديوان « في طريق الحياة » للدكتور عبد القادر القط المدرس بكلية الآداب بجامعة ابراهيم ! والحقيقة التي يجب ان تذكر هي ان الدكتور لم يكن يود منذ البداية ان يشترك في المسابقة بشعره ، لأنه كان يدرك اثر المجاملات في تقدير لجنة الأدب بالمجمع عند حكمها على الاعمال الفنية ، وبخاصة لأن الناس هنا قـد لمسوا هذا الاثر في مناسبات سابقة ! لهذا تردد الدكتور منذ البداية، ولكن اصدقاءه وقادري شعره قد ألحوا عليـه ، وأملهم من وراء هذا الالحاح هو ان « طريق الحياة » لن يفسح للمجمع طريقاً إلى المجاملة .. ورضخ الشاعر لاجماع الآراء وتقدم بديوانه إلى المجمع فخذله المجمع ، وخذل في شعره كل مقومات الفن الجميل !

بعد ذلك لم يجد اصدقاء الدكتور بـداً من الاحتكام الى القراء في مختلف الأقطار العربية ، واتفقت كلمتهم على ان يتقدم الشاعر بعدد من قصائده التي رفضها المجمع الى مجلة « الآداب»، ومن فوق هذا المنبر الحر يستطيع شعره وهو يحتكم الى الناس، ان يحكم على المجمع .. ومرة أخرى رضخ الشاعر لاجماع الآراء وبعث الى « الآداب » باولى قصائده ؛ اولاها من ناحية ترتيبها في الديوان لا من ناحيـة المستوى الفني لشعره . ان القراء سيرجعون الى هذه القصيدة وسيرجعون الى غيرها في الأعداد المقبلة ، وسيوازنون من غير شك بينها وبين هذا الشعر الآخر الذي ظفر بالجائزة ، بعد ان تخيّرنا لهم منه « أرقى » النماذج في الكلمة التي ألقاها الأستاذ العقاد .. وحسبهم ان المجمع الذي رفض هذا الديوان الممتاز وضنّ عليه بجائزته ، هو بعينه الذي رفض ذلك الأديب الممتاز وضنّ عليه بعضويته ، ونعني بـه الأستاذ توفيق الحكيم ! !

٣ ـ ... والأديب الذي رفضه المجمع !

اما الاستاذ توفيق الحكيم فماذا نقول عنـه ؟ لقد كفانا الاستاذ عباس خضر مؤونة التعليق حين تناول هذا الموضوع

النشاط الثقافي في العالم العربي

في «اخبار اليوم» فقال : « لو ان توفيق الحكيم انتخب لكان الخبر عادياً ، بل لما قدمت له التهنئة بعضوية المجمع ، لا لان هذه العضوية لا تستحق ان يهنأ بها ، فهي من غير شك مكانة علمية لها اعتبارها وخطرها ، بل لان توفيق الحكيم لن يحتاج في تعريفه الى ان يقال انه عضو المجمع اللغوي ، وإن كان يصح ان يقال في بيان قيمة المجمع انه يضم فلاناً وفلاناً وتوفيق الحكيم ..

ولو ان توفيق الحكيم نجح في ذلك الانتخاب لكان الخبر عاماً يساق الى جماهير القراء الذين يعرفونه في مصر وفي غيرها ، ولكنه الآن خبر خاص .. خاص بتوفيق الحكيم نفسه .. فلعله لا يعلم بانه رشح ، وبان الانتخاب جرى على اسمه في المجمع اللغوي .. ولعل هذا هو السبب في انه لم ينل الأصوات العشرين !.. وتحيتي بهذه المناسبة للأديب الكبير الذي لم يضمه المجمع بعد الى اعضائه الخالدين ! »

هذا هو بعض ما جاء في كلمة الاستاذ خضر .. وإذا كان لنا بعد هذا الذي قيل ان نعقب بشيء ، فيكفي ان نقول للقراء ان المجمع الذي رفض قبول « الفنان » توفيق الحكيم ، هو بعينه الذي اختار بدلاً منه « الصحفي » توفيق دياب !!

سوريا

لمراسل « الآداب » الخاص

شعر ونثر وتاريخ في زيارة سعود

ابرز مظاهر النشاط الثقافي في سورية ، خلال الشهر الماضي ، انعكست في هذا النشاط الثقافي-السياسي الذي رافق زيارة الامير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية . فقد كانت هذه الزيارة سبباً في طائفة من القصائد ، وجملة من الاحاديث والمحاضرات ... ألقي بعضها في الحفلات الرسمية التي اقيمت على شرف الضيف ، ونشر بعضها في الصحف والمجلات ، وأذيع بعض ثالث من محطة الاذاعة السورية .

وسواء كان الامر حديثاً او قصيداً ، وسواء اكان في حفل رسمي ام في محاضرة مذاعة ، فان النتاج الادبي كله في هذه المناسبة لم يبلغ حداً من الجودة يضعه في الصف الاول .. في بعض القصائد لفتات بارعة ، وبعض القصائد الاخرى يوشيها الربيع بكل ألوانه ويحتل جزءاً كبيراً منها ... غير انه ليس فيها هذا الكل المتسامي !

ثم ان الذين تحدثوا عن سعود جرتهم المناسبة الى ان يتحدثوا عن الحركة الوهابية ... فاحتلت هذه الحركة جزءاً اساسياً من احاديثهم ومحاضراتهم ، ونظروا اليها كل من الزاوية التي اراد ، واطلق عليها كل النعت الذي يشتهي ، وتراوحت بين ان تكون حركة دينية او تكون حركة قومية ، بين ان تكون حركة اصلاح او ان تكون حركة تجديد ... ومن المؤكد ان الذين اصغوا الى كل هذه الاحاديث وقعوا على وجهات النظر المختلفة هذه ... ولكنهم في الغالب لم يقعوا على الحركة نفسها في حقيقتها !

والظاهرة الواضحة في ذلك ان اكثر الاحاديث كانت تنصب على الماضي ... وهذا الماضي هو الذي كان يبلورها وهو الذي كان يصوغها ... اما هذه الاثارة القوية التي تتصل بالحاضر الكئيب والمستقبل الذي نريده مشرقاً ، واما الدفع العنيف ، واما الاشارة الى الامانات الثقيلة الفادحة فذلك عنصر آخر لم يكن له كبير مجال ... كان يبدو اذا بدا على استحياء ورقة ... ثم يغيب في اشراق الحفاوات .

المحاضرات

في الجامعة السورية : كانت المحاضرة الحادية عشرة من سلسلة المحاضرات العامة لهذا العام الجامعي ١٩٥٢ – ٥٣ للاستاذ الاب دوبره لاتور رئيس المعهد الطبي الافرنسي في بيروت وقد القاها باللغة الفرنسية وكان موضوعها « دور الطبيب الادبي » .

وكانت المحاضرة الثانية عشرة باللغة العربية للاستاذ عبد السلام الترمانيني نقيب المحامين السابق بحلب وموضوعها : « تقدم العلم واثره في تطور الحق » .

اما المحاضرة الثالثة عشرة فكانت للاستاذ عبد الرحمن الحموي احد اساتذة كلية الهندسة بحلب وموضوعها « مشاهداتي في امريكا »

ومع هذه المحاضرة الاخيرة كان ختام الموسم في هذا العام .

في كلية الطب ووزارة الصحة : والى جانب المحاضرات العامة في مدرج الجامعة الكبير كان هنالك بعض المحاضرات التي دعت اليها الكليات او الوزارات المختلفة .

في مجمع اصدقاء الفنون : في الاجتماع العاشر القى الاستاذ انطون مقدسي محاضرة عنوانها (زكي الارسوزي والفلسفة العربية) والقى الاستاذ (ادونيس) منتخبات من اشعاره .

وفي الاجتماع الحادي عشر تحدث الاستاذ اورخان ميسر في موضوع (فوضى المفاهيم في الاتجاهات الفنية الحديثة) وقدم الاستاذ محمد كامل صالح (منتخبات من اشعاره) .

في النادي العربي (حسين هيكل – علال الفاسي)

وفي النادي العربي التقت صفوة ممتازة تستمع الى الدكتور محمد حسين هيكل يلقي محاضرة في موضوع (اثر الحركات الفكرية في بناء الأمم) . ولم يكن في وسع المحاضر ان يتناول مثل هذا الموضوع العام بأعمق مما تناوله .

وقد كان الدكتور هيكل قبل ذلك في حلب بدعوة من دار الكتب الوطنية حيث حاضر فيها . ثم دعاه النادي العربي لزيارة دمشق واستقبله استقبالاً حافلاً .

وفي النادي العربي كذلك استمع الناس الى الاستاذ علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال المراكشي في محاضرة موضوعها « مكانة المغرب من العالم العربي » . وقد كشفت المحاضرة بعض النواحي من حياة المغرب .

المعارض

١ – وشهدت دمشق معرضاً للوحات الفنان الاستاذ نصير شوري في مقر جمعية الفنون السورية . والاستاذ نصير احد فنانينا البارزين وقد عرض طائفة

من لوحاته المختلفة، وكان نجاح المعرض تعبيراً عن الاهتمام بالحياة الفنية وتقدمها.

٢ – والى جانب هذه المعارض لكبار الفنانين بدأت معارض المدارس الثانوية لأبرز اصحاب المواهب الفنية من الطلاب ، وافتتحت مدرسة ثانوية الميدان معرضها الحافل . والطواف في هذا المعرض يبشر بمستقبل فني زاهر .

رجاء

ترجو المجلة قراءها وانصارها في كل البلاد السورية ان يتوجهوا بما يبدو لهم من انباء الحياة الادبية على اختلاف الوانها، ومظاهرها مما يرون ضرورة اطلاع العالم العربي عليه ومشاركته فيه – الى العنوان التالي : دمشق ص.ب ١٩ «الآداب في سورية» فالغرض الاصيل من هذا الباب هو التجاوب والاطلاع والتعريف بين اطراف العالم العربي .

العراق

المعرض الثاني لجماعة بغداد للفن الحديث

عرض الاستاذ جواد سليم عدة صور في هذا المعرض كان ابرزها الصورة الاولى « نساء في السوق » وهي تعبر عن المرحلة الاخيرة لتطور اسلوب جواد ، وكنا قد رأينا لأسلوبه هذا بداية في صورته « الذبيحة » التي سبق ان عرضها في معرض الفن الحديث ، وما زلت اراها خيراً من الثانية في هذا المجال، إذ ان الحركة في « الذبيحة » كانت اقوى تعبيراً منها في « نساء في السوق » ، علاوة على ان الفراغات البيضاء في الاخيرة فككت الصورة فعادت اقساماً ناجحة اكثر منها صورة ناجحة. ويتقارب جواد في هذا الاسلوب كثيراً مع بيكاسو بألوانه وتركيبه العجيب للاشياء ، واستعماله للخطوط كعامل مهم في الصورة كما انه يلتقي معه في ان كلا منهما يؤكد على رموزه كثيراً . ولهذه الصورة اخت في هذا المعرض وهي « حاملة صندوق الزفاف » من ناحية الاسلوب رغم انه لم يستعمل فيها الفراغات البيضاء كما في الاولى كما اختلفت عن الاولى في توزيع الالوان . ومن صوره الصغيرة ، اعجبتني صورة « موضوع » وهي استمرار لاسلوب جواد الذي سبق ان رأيناه في معارض عديدة منذ معرضه الاول الخاص به . وبعد فهناك « شجرة التين » وهي على حد قول الدكتور الجمالي عن الصورة الناجحة « سيمفونية الوان » وهي تعود بجواد الى فترته الانطباعية ايام كان عاقلاً كما قال احد الزوار . ويقول جواد بأنه عرضها ليقول للناس انه يرسم هكذا ايضاً .

... وفي الحقيقة انها رائعة كأكثر اعمال جواد ... وقد عرض ايضاً تماثيله « العامل » وكنت اود ان يعرض تماثيله الاخرى الا اني لا ادري لم يصر جواد على ان يقول لنا « عامله »: «كل معرض وانتم بخير » .

وليسمح لي الاستاذ الدروبي ان اقفز عن صوره مع الاعتذار، والموضوع موضوع اذواق طبعاً، لأصل الى... شاكر حسن وقد عرض في هذا المعرض صوراً عديدة متقاربة كلها في اسلوبها وفي فترة عملها ايضاً ، وكلها تتكون من خطوط تتقاطع لتكون اشكال مواضيعه ثم تستمر في (الباك راوند) فتقدم البعد الثالث بذلك وتصبح الصورة متداخلة كلها ومتراصة، إلا ان هذا التقاطع في صور شاكر يحدد كثيراً الحركة التي فيها فتكاد تكون كل صور شاكر تقريباً ذات صبغة حركية واحدة فتتركز قيمة صوره في الدرجة الاولى في الالوان وصورة « العودة الى القرية » اروع ما عرض شاكر وهي رائعة بانسانيتها وبتعبيرها الطفولي الذي يوافق جوها ومعناها واشخاصها ، فكل ما فيها بسيط وصادق. اما صورة « ام العباية » ففيها بداية تحول عند شاكر لا في تكنيكها اذ انها تكاد تكون جزءاً من « العودة الى القرية » بل في الوانها الغامقة التي بدأت كمقدمة لألوانه في صورته الرائعة « قروية بائعة » حيث اضفت هذه الالوان الغامقة على الصورة مسحة الم طاغية كما نجدها تختلف عن الباقيات بتشكيلها ايضاً ولأول مرة يعود البعد الثالث لصور شاكر فيها وهي بداية ممتازة لأسلوب جديد عنده .

...ولفاضل عباس صورة طيبة « ماهي » وهي تتشابه بعض صور « لوترن» وكنت اود ان تكون الوانها انظف قليلاً رغم ان ملاهينا لاتوحي بها وان لا يقتل خطوطه باضاعتها بين تلك الالوان القاتمة القذرة كما فعل !

ومرة اخرى اريد ان اطفر طفرة اوسع من الاولى لأكفي نفسي شر القتال مع الاستاذ قحطان الذي آمل ان يجعله اصراره على الرسم مهندساً ناجحاً فحسب ... اما لورنا سليم فهي في معروضاتها تكاد تكون قد تخلصت من تأثير جواد عليها الذي عرفناه في صورها السابقة ما عدا صورة واحدة صغيرة لعلها تركتها للذكرى والتاريخ ، واكثر ما اعجبني من صورها « الشحاذ » فهي في الوانها وخطوطها تضع المتفرج امام حقيقة نفسية مؤلمة اكثر مما تضعه امام حقيقة واقعية فحركة الرأس المتهدل وعظام الصدر والالوان الصفراوية التي توحي بالألم ، كل ذلك يستحيل ان يستطيع فنان اكاديمي ان يعطيك اياها ما دام الخط واللون لديه ليسا اكثر من وسيلة لتحديد واقعية الشكل المرسوم. فهي صورة ممتازة ولها اخرى لا تقل عنها روعة رغم تغير الاسلوب فيها وهي « ابو زينب وزينب » وقد اعجبني ابو زينب كعادتي دائماً عندما اقارنه بالآخرين وربما في الامر تحيز !

وقد عرضت الآنسه نزيهة سليم عدة صور في هذا المعرض ، وهي ما زالت تحاول وتحاول في كل صورة معروضة محاولة جديدة وقد اعجبتني صورتها « مونمارتر » جداً بالوانها وتركيبها للحجوم فهي كاملة من كل نواحيها ، وقد كررت المحاولة لرسمها باسلوب آخر جريء لا اظنها كانت ناجحة فيه ... اما صورتها «الالم» فاود لو تتنازل عنها الى محمد الحسني فتتخلص من هذه الكارثة وتعطي لمحمد على الاقل صورة يمكن التحدث عنها ولو بشيء لن يرضيه ولا شك انها ستكون « ست الحسن » بين صوره .

ولنزار سليم « الصيادون » وهي اشبه بصور « هنري مور » برجاله الضخام المشلولين ورؤوسهم الصغيرة وحركاتهم الميتة ، وقد جمد نزار المنظر الخلفي للصورة لحد الموت وقتل السمكة وشل الايدي ، فكل ما في الصورة موت قاس مؤلم وهي تعبير جد ناجح لأولئك الذين يبحثون عن رزقهم خلال الموت.

بغداد **بلند الحيدري**

صندوق البريد

عربي ولكن ... في عصر الذرة

(مهداة للدكتور نقولا زيادة)

ما من مرة تثار فيها ازمة انتاجنا الثقافي والفكري ، الا ويتبادر لذهني – على الفور – قصة كنت قرأتها لكاتب روسي كبير . والقصة – على ما اذكر – تدور حول شاب ، لبث في سجنه الاختياري مدة طويلة من الزمن – احسبها خمسة عشر عاماً – طمعاً في رهان أسال لعابه ، واشترط على مراهنيه توفير الكتب التي يقطع بها ملل الوحدة ، وسآمة السجن . ثم اخذ يقرأ ويقرأ ، ويدرس ويطلع ، وينتقل من قانون الى أدب ، ومن فلسفة الى لاهوت ، فاذا بالمدة الطويلة المخيفة قد انتهت ، واذا بعقله الغر الفتي قد نضج واتسع ، واذا به يغير نظرته الى الحياة التي يحياها الناس ، والتي تدفعهم الى جمع المال، والحرص عليه . واذا به يخرج قبل الموعد المحدد بساعات ، زاهداً في المبلغ الكبير ، ضارباً بأعوام طويلة وعزيزة ، عرض الحائط . هذا موجز القصة وفيها «المسألة» كما يقول شيكسبير .

فما الذي يقرأه الشاب العربي الحديث ، ليتسع عقله ، وينضج فكره ، مما هو موجود في المكتبة العربية العتيدة ؟ * اتراه يفقه ما قالته (يونان) في شتى ميادين الفكر ، وما نقل منه الى العربية ضحل يسير ، او مشوه لايجدي نفعاً ؟

أم تراه يلوي بوجهه عن آثار أمم معاصرة ، تعيش في بؤرة النور ، وتسلط على الكون كل يوم اشعة جديدة ، تؤكد في الانسان انسانيته ، وتثبت للعوالم صلاحيته للسيادة والبقاء ؟

أم تراه يعكف على ما قيل في حرب البسوس، وما نظم في يوم بغاث ، وما ورد في كتب المعتزلة من ردود على اهل السنة والجماعة ، وحجج هؤلاء عليهم ؟

ومعاذ الله ان اريد بأدبنا العربي ، وتراثنا الفكري شراً ، أو ان أهون من شأن البسوس وأمر بغاث، أو أن أستهتر بالقيمة العقلية لأقوال المعتزله وأهل السنة والجماعة، فما يفعل هذا الا جاحد مغرض ، او جاهل أحمق ، ولا اريد ان اكون احد هؤلاء. والاعتزاز بالقومية وتراثها التليد، لايعني مطلقاً اننا لسنا في حاجة الى حاضر جديد ، نجعله تراثاً يعتز به الابناء والاحفاد ، ويضمونه الى جملة المفاخر والمآثر التي خلفها الآباء والأجداد .

فاذا كانت الامة العربية قد أدت – في الماضي – للثقافة العالمية خدمات قال عنها احد اساطير الغرب المشهورين (جوستاف لوبون) لولا حضارة العرب لتأخرت حضارة الغرب خمسة قرون فلنؤد – نحن – خمس ما ادوه ، وليقل التاريخ مرة أخرى : لولا مساهمة العرب المحدثين في بناء الحضارة الحديثة ، لتأخرت عن شكلها الراهن قرناً واحداً ، ونحن اليوم اكثر عدداً وأيسر سبلاً. ورحم الله خلفاء بغداد، فقد كانوا يضعون الكتب – والمترجم منها على وجه الخصوص – في كفة ، والذهب الابريز في كفة ، اقداراً منهم لآثار غيرهم من الامم، وتشجيعاً لحركة الترجمة والنشر.

فلننقل الى لغتنا ، علم الغرب وأدب الغرب ، ولنتخذ من قوتها وسعتها ، مجالاً لفخرنا الحقيقي فنحيي بها وفيها أدمغة جبارة ، وعقولاً ضخمة ، فحسبنا « سلبية وقوقعية وتزوير فكر »

انتقل الى الغرب ، وعرج على مكتباته ودور النشر فيه ، واصغ الى المثقفين والمتعلمين من ابنائه واحضر مجالسهم العلمية والادبية فستجد ان دون كيشوت الاسباني يعيش في فرنسا ، وان فاوست الالماني يمشي على قدميه في انكلترا ، وان لشيكسبير جمهوراً في اسكندينافيا ، وان لآلهة القصة الحديثة في روسيا سلطاناً في اميركا ، وان آثار الاغريق واللاتين تحلق في سماء هذه البلدان جميعها ، وحتى الادب العربي فقد نقله المستشرقون إلى لغاتهم ، فهو بينهم حي يدب دبيباً .

ألا انني عربي ولكني في عصر الذرة .

ألا اننا عرب ولكن في القرن العشرين ، وليس يمنعنا من اعتزازنا بعروبتنا والتغني بامجادها ان نتذوق آراء جديدة وافكاراً جديدة ، وان نخلق عروبة جديدة مبتكرة ، تنير لنا السبيل ، وتسلكنا في عداد الامم الراقية . فمتى يطلع اليوم الذي يلم فيه الشاب العربي بثقافات عصره المختلفة ؟

القاهرة **بدر الدين الحاضري**

(*) استعملت الكلمة حتى عند الكبار ، على غير معناها الحقيقي فهم يقولون : امتنا العتيدة يقصدون القوية أو العظيمة ومعناها كما ورد في القاموس والقرآن الكريم : الحاضرة المهيأة : ال تعالى: واعتدنا لهن متكأ وقال : رقيب عتيد.

حول « القصة العراقية الحديثة »

ارجىء نشر تعليقات الادباء وانتقاداتهم على بحث « القصة العراقية الحديثة » الذي نشر في (الآداب) بقلم الدكتور سهيل ادريس ، إلى العدد القادم .

تصحيح

نشر محرر النشاط الثقافي في لبنان في العدد الماضي من «الآداب» كلمة علق بها على القصائد التي قيلت بمناسبة زيارة سمو الامير سعود للبنان ، وذكر من بينها ابياتاً للاستاذ سعيد عقل . وقد كتب الينا الاستاذ عقل يقول إن هذه الابيات قد قيلت منذ سنتين في مناسبة اخرى . فنأسف لهذا الخطأ الذي نشرته اكثر من صحيفة يومية، وعنها نقلناه .

غرناطة

– البقية من الصفحة ٢٨ –

ان يتحد مع الخالق عن سبيل آخر ، اقل عنفواناً وغروراً ، واقرب الى الهدف ، فانطوى على نفسه واتخذ من عالم الروح ميداناً لفنه ، فجاء هذا الفن صورة عن الروح المشرقية المنطوية على نفسها ، المنصبة على العالم الاصغر، تتخذه مرقاة الى اكتشاف وجه الله ، يكفيها رنة عود او نغمة ناي او بيت شعر لتسبح في تأملاتها وتصل الى كنه الوجود فتتمثله من داخل وتضيع فيه – يستوي في ذلك الصوفيون والبوذيون والطاويون –

ومن هذا الواقع يخلص واقع آخر يتجلى في عدم الاهتمام بأزلية النتاج الفني فالغرب يبدع – في غروره وطموحه – للاجيال المقبلة ، بينما لا يرى الشرق فيما يخلق إلا وسائل للوصول الى غاية الوجود يستغني عن بعضها ببعضها الآخر او بمثله. وفي هذا تفسير اندثار قصور العرب التي بنيت من الآجر ، وذهاب الموسيقى القديمة التي لم يتجشم العرب – وهم مخترعو الجبر – مؤونة كتابتها وتسجيلها . . .

باريس صباح محيي الدين

فهرست

العدد السادس – حزيران (يونيو) ١٩٥٣

بيانات ادارية : تدفع قيمة الاشتراك مقدماً – قيمة الاشتراك : في سورية ولبنان ١٢ ليرة ؛ في الخارج : جنيه استرليني ونصف او ٥ دولارات ؛ في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات ؛ في الارجنتين مئة ريال – توجه المراسلات إلى العنوان التالي : مجلة الآداب ، بيروت ، ص.ب ١٠٨٥